جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ

علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا

(138 - 300هـ /755 - 912م)

إشراف
د. هشام ابو ارميلة

إعداد
سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في كلية الدراسات العليا

جامعة النجاح الوطنية

نابلس - فلسطين

2001

علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا

سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم

نوقشت هذه الاطروحة بتاريخ 25-12-2002 واجيزت

أعضاء اللجنه		التوقيع
١- د هشام أبو ارميلة	رئيساً	
٢- د عدنان ملحم	عضواً	
٣- د جمال جوده	عضواً	
٤- د هاني أبو الرب	عضواً	

الإهداء

إلى روح والدتي .. وأسرتي

محبة وإكراماً ما حييت

إلى المكتبة الأندلسية ..

ليكون هذا العمل إضافة جديدة إلى التراث الأندلسي

سائدة

كلمة شكر

بداية يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل ، من الدكتور هشام أبو ارميلة الذي أشرف على هذه الرسالة ، لما قدمّه من توجيه وأشراف وارشاد وجهد كبير واكب اخراج هذا العمل إلى حيز الوجود ، كما لا يسعني إلا أن أثمن وأقدّر الجهد الذي بذله الأساتذه الأفاضل الدكتور عدنان ملحم والدكتور جمال جوده والدكتور هاني أبو الرب ، أعضاء لجنة المناقشة ، وكلاً من الدكتور نايف العمايره من الأردن لمساعدته اياني في الحصول على بعض المراجع الهامة والأستاذ عبد الله نصر لمساعدته لي على ترجمة بعض النصوص الأجنبية إلى العربية ، وإلى الزميلة فاديـــة أبو لبده التي قامت بالمراجعة اللغوية

كما اتوجه بالشكر والتقدير لأسرة مكتبة جامعة النجاح الوطنية وأخص بالذكر الأستاذ عبد الحي أبو ليل والأستاذ فايز سلوم لما قدماه من عون ومساعده في توفير المصادر والمراجع

المختصرات والرموز

* أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي :-

(١) يذكر في الهامش اسم المؤالف أو اسم شهرته ، والكلمة الأولى من اسم كتابه ، ثم الجزء (إن كان له أجزاء) والصفحة مثلاً :-

- المراكشي ، المعجب ، ص ٣٠ .

- عنان ، دولة الاسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥ .

(٢) إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب يبتدىء بالكلمة نفسها ويذكر اسم كتابه كاملاً مثلاً :-

- الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج١٥ ص ١٥٥ ؛ الونشريسي ، أسنى المتاجر ، ص٥٧ .

* والرموز التاليه تعني ما يلي :-

ت : تؤفي .

ج : جزء .

م : مجلد .

ق : قسم .

ع : عدد .

ط : طبعة .

تر : ترجمة رقم

(م . ن) : المصدر نفسه .

(ب . ن) : بدون ذكر الناشر .

(ب . ط) : بدون طبعة .

(ب . ت) : بدون تاريخ .

(د . ن) : بدون ذكر مكان النشر

فهرس المحتويات

ملخص

علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (١٣٨-٣٠٠ هـ /٧٥٥-٩١٢ م)

تناولت هذه الدراسة العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر الإمارة الأموية ضمن أربعة فصول .

تناول الفصل الأول أحوال الأندلس الإسلامية المؤثرة في علاقاتها مع إسبانيا النصرانية وشمل ذلك الأخطار الخارجية والمتمثلة في حملة شارلمان (ت١٩٩هـ/٨١٤م) الفاشلة على سرقسطة عام (١٦١هـ /٧٧٨ م) ومحاولة العباسيين إستعادة الأندلس من خلال دعمهم للحركات المناهضة ثم هجوم النورمانديين على السواحل الأندلسية وما خلفوه وراءهم من تخريب ودمار ، لكن الخطر الأكبر جاء من داخل الأندلس الإسلامية نفسها وتمثل ذلك في تنازع بعض الأمراء وتحالفهم مع الأعداء ، بالإضافة إلى عدم الانسجام بين طبقات المجتمع الأندلسي نفسه وما نتج عن ذلك من تزايد الثوار وانغماسهم في الصراعات الحزبية والقبلية والتحالف مع نصارى الشمال ضد حكومة قرطبة ، كما شكلت الصعوبات الناتجة عن وعورة التضاريس إحدى العقبات الرئيسة أمام حكومة قرطبة وأطالت من عمر بعض الثورات التي استمرت في بعض الأحيان سنوات طويلة ، كثورة عمر بن حفصون (ت٣٠٦هـ/٩١٨م) .

وتناول الفصل الثاني نشأة الممالك النصرانية وتطورها خلال عصر الإمارة ، وقد قام أول تجمع نصراني ضد المسلمين في منطقة اشتوريس عام (٩٨ هـ /٧١٦ م) وبقيامه بدأ مايعرف بحركة الاسترداد ، واتسمت ببطئها وبشكل ثابت ، وفي عام (٢٩٤ هـ /٩١٥ م) نقلت العاصمة إلى ليون وعرفت هذه المملكة من وقتئذ بمملكة ليون .

أما التجمع النصراني الثاني فعرف بمملكة نبرّه وقاعدتها بمبلونه الحصينة وكان يسكنها شعب شديد المراس يسمى البشكنس ، استقلت بنفسها قرب نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي .

أما التجمع النصراني الثالث فهو إمارة قطلونية وقاعدتها برشلونه أسست بعد سقوط برشلونة (١٨٥ هـ /٨٠١ م) ، وقد حكم هذه الإمارة عدد من الكونتات التابعين لملوك الفرنجة ، أثناء القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

وتناول الفصل الثالث الأحوال الداخلية في الممالك النصرانية ومدى مساهمتها في تقوية حركة الاسترداد رغم أن ظروف إسبانيا النصرانية لم تكن أفضل كثيراً من ظروف

جارتها نتيجة استبداد الملوك والنبلاء ورجال الدين ، بالإضافة إلى ضعف الاقتصاد الإسباني إلا أنها استطاعت دائماً تحقيق مكاسب جديدة على حساب الأندلس الإسلامية ، ليس بفضل قوتها الذاتية وتفوقها العسكري بقدر ما كان بسبب ضعف الجبهة الداخلية الإسلامية .

أما الفصل الرابع فتناول العلاقات السياسية والعسكرية بين الطرفين خلال عصر الإمارة الأموية ، ومن السمات المميزة لهذا العصر استمرار الحروب بين المسلمين والنصارى طوال هذا العصر تقريباً ، لكن حدة المعارك بدأت تخف تدريجياً منذ النصف الثاني لعصر الإمارة ، ووضعت مسؤولية الدفاع عن الثغور الإسلامية أخيراً على عاتق حكام هذه المناطق ، لكنهم أخفقوا – بسبب التناحر الداخلي بشكل أساسي – في وقف الزحف النصراني على الأندلس مما اضطرها في النهاية إلى أن تقف موقف الدفاع عن النفس .

وتناول الفصل الخامس العلاقات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر الإمارة ، وطرق انتقال التأثيرات الحضارية بين المسلمين والنصارى ، والحضارة الإسلامية في الأندلس كانت في كثير من جوانبها امتداداً للحضارة الإسلامية في المشرق الاسلامي ، وكانت أيضاً الأساس القوي الذي بنى عليه الأوروبيون حضارتهم والمنطلق الذي بدأ وا منه تطوير علومهم وصناعتهم ، لكن افتتانهم بهذه الحضارة العظيمة لم ينسهم هدفهم الاساسي وهو إعادة إسبانيا تحت ظل النصرانية .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، والصلاة والسلام على خير عباده وأكرم خلقه وخاتم أنبيائه ورسله محمد الأمين ، بعثه بالحق إلى أهل الأرض كافة بشيراً ونذيراً .

وبعد :

فتح المسلمون الأندلس عام (٩٢ هـ/٧١١ م) ، واستقروا فيها نحو ثمانية قرون ، وقد مرت الأندلس الاسلامية خلال هذه القرون بفترات مختلفة متمايزه ، كان أولها عصر الولاة ، يليه عصر الإمارة الأموية ، وعصر الخلافة الأموية ، ثم عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين والموحدين وأخيراً مملكة غرناطة ، ولم تكن شبه الجزيرة الإيبيرية قط قطراً إسلامياً خالصاً وانقسمت إلى دولة مسيحية في أقصى الشمال ودولة إسلامية في باقي شبة الجزيرة ، وحتى الآن لم يعن الباحثون بإبراز العلاقات بين مسلمي الأندلس ونصارى الإسبان كما يجب ، ومن هنا كان اهتمامي بهذا الموضوع واخترت لمادة بحثي عصر الإمارة خلال الفترة (١٣٨ – ٣٠٠ هـ/٧٥٥ – ٩١٢ م) ، وهدفي من ذلك هو الوقوف على سمات هذا العصر ، والعوامل التي شكلت هذه العلاقات .

ومن أجل إعطاء الصورة الواضحة لموضوع البحث ، كان لابد للباحث من تتبع نشأة وتطور حركة الاسترداد ، وبالطبع إن عملية الاسترداد التي استمرت ثمانية قرون لم تكن حروباً مستمرة ، إذ لايمكن لأي شعب أن يتحمل ذلك ، فقد شهدت تلك السنوات تداخلاً واندماجاً للقوى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الجانبين .

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تختلف في طريقة العرض والمنهاج ، فعلى الرغم من كثرة البحوث حول هذا الموضوع لكنها – مع استثناءات قليلة – جاءت على نسق ووتيرة واحدة إذ شاع بين الباحثين تجزئة الحدث التاريخي عبر السنين مما أعاق تكوين صورة واضحة ومتكاملة عن العلاقات بين الطرفين بشقيها الحربي والسلمي .

تواجه الباحث في هذا الموضوع عدة مشكلات أهمها عدم دقة التواريخ الواردة في المصادر المختلفة بالإضافة إلى الاختلافات الكثيرة في أسماء الأعلام والمواقع الجغرافية ، مما شكل علامات استفهام كثيرة في بعض الأحيان .

تحليل لأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة سواء العربية منها أو المعربة، كما أفدت كثيراً من بعض الدوريات ، وفيما يلي إشارة إلى أهمها:

كتب التاريخ

- ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)

"تاريخ افتتاح الأندلس"

أفاد الدراسة خاصة فيما يتعلق بقيام الدولة الأموية في الأندلس (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) وما رافق ذلك من ثورات ، كما أورد معلومات قيمة عن هجمات النورمانديين على السواحل الأندلسية ، وعن علاقة بني أمية بأمراء الثغور ونصارى الشمال الإسباني .

- ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)

"المقتبس في أخبار الأندلس"

ويعتبر من أعظم مؤرخي الأندلس الإسلامية، وقد امتازت رواياته بالدقة والعمق ، وللأسف إن معظم أجزاء كتابه ضاعت ولم يبق منه إلا أجزاء يسيرة ، وقد استطعت الحصول على قطعتين من هذا الكتاب : الاولى : تناولت عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط من سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) إلى سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) ، أما الثانية فتناولت عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن من سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) إلى سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) ، وأفدت منهما كثيراً عند الحديث عن الأحوال الداخلية لعصر هذين الأميرين . كما أنه انفرد أحياناً بذكر بعض الوقائع الحربية بين مسلمي الأندلس ونصارى الشمال الإسباني .

- ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

"الكامل في التاريخ "

ويعد من أفضل المؤلفات التي ظهرت في المشرق ، وهو يورد أخبار الأندلس في أثناء حديثه عن تاريخ الدولة الإسلامية ، وقد اتبع في كتابه نظام الحوليات.

- ابن عذارى المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" .

يعتبر بأجزائه الأربعة أشمل تاريخ لحوادث الأندلس السياسية والاجتماعية والحروب التي دارت بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين ونصارى الشمال الإسباني والفرنجة، وجاءت معلوماته متكاملة عن كثير من الأحداث التاريخية التي مرت على الأندلس معتمداً على الترتيب الزمني.

لذلك كان اعتمادي عليه كبيراً في فصول الدراسة كافة ، وبصفة خاصة على جزئه الثاني الذي يعالج الفترة موضوع البحث .

– النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

" نهاية الأرب في فنون الأدب"

وقد أفاد الدراسة بكثير من المعلومات في الجزء الخاص بالأندلس وهو الجزء الثالث والعشرون، إذ تضمن هذا الجزء معلومات حول الصراع على كرسي الإمارة والثورات التي قامت ضد قرطبة ، وذكر بعض أسماء ملوك النصارى ، لكن معلوماته كانت مختصرة.

– ابن الخطيب، الوزير لسان الدين الغرناطي (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

" أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"

يقع في ثلاثة أجزاء وأفاد الجزء الثاني المسمى بتاريخ إسبانيا الإسلامية الدراسة من خلال ما أورده عن الممالك النصرانية وتسلسل أسماء ملوكها حيث يكاد يكون الوحيد الذي أورد لنا مثل هذه المعلومات المتكاملة ، وقد نقل لنا هذه المعلومات عن أحد علماء قشتالة الذي كان سفيراً لبلاده لدى السلطان المريني أبي فارس بن عبدالعزيز.

– ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

يقع في ثمانية أجزاء ، وقد استفدت من جزئه الرابع في كثير من المواضيع التي تناولتها الدراسة، وخاصة علاقة الإمارة الأموية مع الممالك النصرانية ، كما أفاد الدراسة عند ذكره للممالك النصرانية وأسماء ملوكها والخلافات التي حدثت بينهم رغم وجود الكثير من الأخطاء في ذكر التواريخ والأسماء .

– المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)

"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب "

رغم أنه مصدر متأخر إلا أنه يعتبر موسوعة أدبية وتاريخية ، وتكمن أهميته في أنه نقل كثيراً عن كتب ضاعت أصولها كمؤلفات الرازي وابن حيان، وقد أفاد هذه الدراسة كثيراً فيما يتعلق بأخبار الأمراء الأمويين ، وفي علاقة المسلمين مع الممالك النصرانية في شمال إسبانيا.

– مجهول ، " أخبار مجموعة في فتح الأندلس " .

رغم الإيجاز في هذا الكتاب إلا أنه أبدى اهتماماً خاصاً بحركة المقاومة النصرانية ، والحركات المناهضة لحكومة قرطبة مما أفادنا في الحديث عن هذه النواحي .

كتب التراجم

– الخشني ، أبو عبدالله محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م)

"قضاة قرطبة وعلماء افريقية"

يعتبر كتاباً هاماً في تاريخ قضاة قرطبة ، أورد فيه معلومات قيمة أفادتنا في التعرف على التيارات والتأثيرات الحضارية في مجال الحياة الاجتماعية.

– ابن الفرضي ، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)

"تاريخ علماء الأندلس"

أفاد الدراسة في الترجمة لبعض الشخصيات الواردة في ثنايا البحث .

– الحميدي ، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

"جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس"

أورد في أوله تاريخ أمراء بني امية، بالإضافة إلى الاستعانة به في الترجمة لبعض الشخصيات.

– الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)

"بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"

نقل عن الحميدي ، أورد في البداية تاريخ أمراء بني أمية، بالإضافة إلى أنه أفاد الدراسة في الترجمة لبعض الشخصيات الواردة في البحث .

– ابن الأبار ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)

"الحلة السيراء"

يقع في جزئين ، أورد التراجم في كتابه حسب القرون مبتدئاً بالقرن الهجري الأول ومنتهياً بالقرن السابع ، الأمر الذي سهل مهمة الباحث ، وقد أفاد الدراسة كثيراً من خلال حديثه عن بعض التراجم التي وردت في ثنايا الكتاب .

كتب الجغرافية

– ابن حوقل ،أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)

"صورة الأرض"

تكمن أهمية المادة التي قدمها لنا عن الأندلس أنه قام بزيارتها بنفسه وروى مشاهدته عنها، فقدم لنا وصفاً جغرافياً لشبه الجزيرة الايبيرية ، كما أورد معلومات في غاية الأهمية عن قوة الدولة السياسية والاقتصادية.

– العذري، أحمد بن عمر بن أنس، المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ ١٠٨٥م)

"نصوص عن الأندلس" من كتاب ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك.

وهو كتاب تاريخي جغرافي ، من افضل الكتب التي تحدثت عن الثغور الإسلامية ، وعن الأسر التي استقلت بها وعلاقتها بقرطبة وبنصارى الشمال الإسباني .

– البكري، أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)

"جغرافية الأندلس وأوروبا " من كتاب المسالك والممالك .

أفاد الدراسة كثيراً في التعريف ببعض المواقع سواء في الأندلس الإسلامية أو في إسبانيا النصرانية ، وتضمن كلامه عن المواقع والبلاد الكثير من المعلومات التاريخية خاصة فيما يتعلق بعلاقة المسلمين بنصارى الشمال.

– ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

"معجم البلدان"

وهو من المعاجم الجغرافية المهمة التي لا يستطيع الباحث في التاريخ الأندلسي الاستغناء عنه ، حيث أفاد الدراسة في التعريف ببعض المدن والقلاع والحصون ، وترد في معجمه معلومات لا ترد عند غيره.

- ابن الشباط ، محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

"وصف الأندلس" من كتاب صلة السمط وسمة المرط

من الكتب الجغرافية المهمة التي أفادت الدراسة حيث أورد وصفاً لشبه الجزيرة الايبيرية ، ومعلومات عن عدم استكمال فتح شبه الجزيرة بالإضافة إلى التعريف ببعض المدن الأندلسية.

- الزهري ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت أواخر القرن السادس الهجري)

"كتاب الجعرافية"

تكمن أهمية الكتاب أنه ترجم للعديد من المواقع الأندلسية والإسبانية على حد سواء، كما وردت لديه معلومات قيمة عن هجمات النورمانديين على السواحل الأندلسية.

- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)

" الروض المعطار في خبر الأقطار"

من أفضل الكتب الجغرافية التي كتبت عن المدن والحصون الأندلسية يتضمن معلومات تاريخية واقتصادية عند ترجمته لبعض المدن ، لذا أفاد الدراسة كثيراً وخاصة بالنسبة للتعريف بالمواقع والوضع الاقتصادي فيها .

أما المراجع العربية الحديثة التي أفادت الدراسة فأهمها :

- مؤنس ، حسين

" فجر الأندلس"

وهو من المراجع الهامة التي عالجت بداية تكوين الممالك النصرانية في اشتوريس ، والتعريف بمؤسس هذه المملكة "بلاي" ونفس هذا الكلام ينطبق على مقالته بلاي وميلاد اشتوريس ، وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا.

- عنان ، محمد عبدالله

" دولة الإسلام في الأندلس" العصر الأول – القسم الأول

وأفاد الدراسة بمعلومات وافية عن الممالك النصرانية وعلاقتها مع بعضها البعض وعلاقتها بالمسلمين في عصر الإمارة ، أما القسم الثاني من العصر الأول فقد أفاد الدراسة عند الحديث عن الأحوال الداخلية للممالك النصرانية ، وتميز هذا الكتاب باعتماد المؤلف على مراجع ومصادر بلغات مختلفة مثل الإسبانية والإنجليزية والألمانية.

- أرسلان ، شكيب

"تاريخ غزوات العرب"

تضمن هذا المرجع معلومات هامة عن سقوط المناطق الشمالية الشرقية بيد الفرنجة وتأسيس مملكة برشلونة .

- عبدالحليم ، رجب

"العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف"

ويكاد يكون أفضل من تناول موضوع العلاقات بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الايبيرية ، إذ تناول الموضوع بشكل موضوعي ومترابط ، لذا أفاد الدراسة في كافة فصولها.

- عمايرة ، محمد نايف

" مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان"

ويعتبر من الدراسات الأندلسية التي صدرت حديثاً ، وأفاد الدراسة كثيراً بما كتبه عن نشأة الممالك النصرانية وتطورها، وعلاقاتها مع بعضها البعض ، وعلاقتها مع المسلمين .

المراجع المعربة

- دوزي ، رينهرت ، ترجمة حسن حبشي ١٩٩٤م .

"المسلمون في الأندلس"

يقع في جزئين ، الجزء الأول أفاد الدراسة عند الحديث عن طبقات المجتمع الأندلسي وما انغمست فيه من صراعات وما سببته من مشاكل لحكومة قرطبة .

أما الجزء الثاني فقد أفاد الدراسة فيما أورده من معلومات حول نشأة وتطور مملكة ليون.

- بروفنسال ، ليفي ، ترجمة ذوقان قرقوط ، (ب.ت) .

" حضارة العرب في الأندلس"

أفاد الدراسة في مجال العلاقات الحضارية بين الأندلس الإسلامية ، وإسبانيا النصرانية ويبرز من خلال كتابه تفوق الحضارة العربية الإسلامية وافتتان النصارى بها .

- مورينو ، مانويل جوميث

"الفن الإسلامي في إسبانيا والبرتغال"

أفاد الدراسة عند الحديث عن التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في مجال الفنون والعمارة.

- بالنثيا ، آنخل جونثالث ، ترجمة حسين مؤنس ١٩٠٠م .

"تاريخ الفكر الأندلسي"

وهو موسوعة في تاريخ الآداب والفنون الأندلسية ، أفاد الدراسات في معرفة التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الإسبان ومسلمي الأندلس.

المراجع الأجنبية

- Hole , Edwyn . 1958
  "Andalus: Spain Under the Moslims"

تكمن أهميته في إعطاء الرواية النصرانية للعلاقات والأحداث التي وقعت بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية .

أفاد الدراسة فيما قدمه من معلومات عن عناصر السكان في الأندلس الإسلامية، ودور الوساطة الذي لعبه اليهود بين المسلمين والنصارى في مجال العلاقات الحضارية بين الجانبين.

- Chapman , charles . 1965
  " A history of Spain"

أفاد الدراسة عند الحديث عن أحوال ممالك إسبانيا النصرانية ، وكذلك عند الحديث عن جغرافية الأندلس.

- Crow John Armstronh . 1985
  "Spain : The root and the flower"

تميز هذا الكتاب بأن مؤلفه تعمق في العوامل المحركة للأحداث ، وأفاد الدراسة كثيراً خاصة عند حديثه عن طبيعة الأرض وأثرها على الشعب وعلى مجرى الأحداث، وعن الممالك المسيحية وطبيعة صراعها مع المسلمين ونتائجه ا

الفصل الأول

أحوال الأندلس المؤثرة في علاقتها بإسبانيا النصرانية
في عصر إمارة بني أمية
(١٣٨ – ٣٠٠ هـ / ٧٥٥-٩١٢م)

يتوجب قبل الحديث عن العلاقة بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية في عهد الإمارة الأموية ، توضيح الظروف والعوامل التي اثرت في العلاقة بين الطرفين في محاولة لتوضيح أسباب التفوق النصراني والانحسار الإسلامي .

والعوامل التي أثرت على الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية بعضها أخطار داهمت الأندلس من الخارج ، وبعضها مرتبط بالمجتمع الأندلسي نفسه ، ومن هنا تبرز أهمية دراسة التحديات والاعتداءات الخارجية ، ثم التعرف على البنية الداخلية للمجتمع الأندلسي ، بما يمكننا من معرفة ذلك التراجع الذي عرفته الأندلس خلال تلك الحقبة .

١- الأحداث الخارجية :

واجهت الأندلس خلال عصر الإمارة (١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٥-٩١٢م) جملة من المخاطر والتحديات الخارجية التي استهدفت أمنها وحضارتها ، وبالتالي الوجود الإسلامي فيها تمثلت في :
محاولة العباسيين إستعادة الأندلس ، هجوم شارلمان (١٦١هـ/٧٧٨م) ، غزوات النورمان (الفايكنج) .

وسنلاحظ من خلال دراسة هذه الأحداث مدى الارتباك والفوضى الذي سببته لحكومة قرطبة ، وبراعة القوى المسيحية في استغلال هذه الظروف لتمرير مخططاتها وتحقيق مكاسب جديدة على حساب المسلمين .

أ- محاولة العباسيين استعادة الأندلس:

شهد المشرق الإسلامي صراعات مريرة على السلطة ، منها الصراع بين الأمويين والعباسيين ، نتج عنه تنحية العائلة الأموية ، وصعد إلى الحكم الخلفاء العباسيون (١٣٢هـ/٧٤٩م) (1) وصدر الأمر بملاحقة الأمويين وقتلهم ، لكن بعضهم أفلح في الهرب . (2)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ص ٤٠٨ ؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج١ ص ٢١٠ .
عمر، فاروق ، العباسيون الأوائل ، ج٢ ص١٣ ؛ الدوري ، ابراهيم ياسر ، عبدالرحمن الداخل، ص ١٤ .
(2) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ص ٤٣٧ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٩ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، م٣ ص ٤٦٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤١٨ .

ومن أبرز الناجين شاب يدعى عبدالرحمن بن معاوية (1) ، لجأ إلى مصر وشمال إفريقيا على التوالي (2) ، وبعد أن أيقن أن وجوده في المغرب العربي لن يجدي نفعاً (3) ، اتجهت أنظاره إلى الأندلس التي كانت ميداناً للصراع بين الولاة المتنازعين على كرسي الحكم ، وتموج بالفوضى والاضطرابات بسبب الفتن والعصبيات القبلية (4) ، وفي الحقيقة ، فقد استطاع تحويل مظاهر الضعف هذه إلى مصلحته ، إذ أن هذا التشرذم والتفرق يمكن أن يكون مصدراً كبيراً للقوة (5) ، كما استطاع أن يجد لنفسه وسط هذا الصراع وهذه الظروف مجالاً يجدد فيه دولة آبائه ، ولكن ليس دون كفاح (6) .

---

(1) عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الأموي (١١٣-١٧٢هـ/٧٣١-٧٨٨م) ، يكنى أبو المطرف ، وهو الأشهر في كنيته ، أمه أم ولد بربرية من سبي المغرب اسمها راح أو رداح . نشأ يتيماً ، فكفله جده هشام بن عبدالملك (ت١٢٥هـ/٧٤٣م) وخصه برعايته ، وهو أول من ملك الأندلس من بني أمية سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) . ينظر : مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص١٦٨ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٥ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٤٩-٥٠ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ص٣٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ص ٢٤٤ ؛ الكتبي، فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٣٠٢ ، ترجمه رقم ٢٦٧ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، شخصية عبدالرحمن الأول ، ص ٢٣-٢٦.

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٥٥-٥٦ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٣٥-٣٣٦ ؛ سالم ،السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٧٦-١٧٧ ؛ الدوري ، ابراهيم ياسر ، عبدالرحمن الداخل ، ص ٣٤ .

(3) بعد ان تغلب عبدالرحمن بن حبيب الفهري على إفريقية سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) أقره مروان الثاني على ولايتها ولما قتل الاخير على أيدي العباسيين (١٣٣هـ/٧٥٠م) اعترف الفهري بسلطة العباسيين ودعا للمنصور على منابر المغرب ، وأراد أن تكون التبعية اسمية ، و رفض أن يسلم دار الخلافة أية أموال أو خراج بحجة أن إفريقيا أصبحت كلها إسلامية ، فغضب المنصور لذلك ، وكتب إليه يتوعده ، فنزع يده من الطاعة ، واستمر في ولايته عاملاً على استقلالها ، كما عمل على اضطهاد وملاحقة كل من وصل إليه من أفراد البيت الأموي خوفاً من أن يقوموا بالأمر دونه، إلى أن مات مقتولاً سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م) . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن عبد الحكم ، فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٣٧١-٣٧٤ ؛ الناصري ، الاستقصا ، ج١ ص١٧٢-١٧٤ ؛ الثعالبي ، عبدالعزيز ، تاريخ شمال افريقيا ، ص ١٦٠-١٦٤.

(4) نوار ، صلاح الدين ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥١ ؛ الفقي ، عصام الدين ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٥.

(5) Rocer Collins , Early Medieval Spain , P88.

(6) تغلب عبد الرحمن بن معاوية على أصحاب السلطة في الأندلس ، وكانت آنذاك لرجلين هما الوالي يوسف بن عبدالرحمن الفهري الذي كان يحكم الأندلس كإمارة مستقلة ، في ظل ولاء اسمي للخلافة العباسية الناشئة ، ثم الصميل بن حاتم ، واستطاع عبدالرحمن بن معاوية التغلب عليهما إثر معركة حاسمة عرفت بالمصارة (المسارة) (١٣٨هـ/٧٥٥م) وقام يوسف الفهري والصميل بأكثر من محاولة يائسة لاستعادة سلطانهما ، انتهت بمقتلهما . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٤ وما بعدها ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ص ٣٥ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٤٠ وما بعدها ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ،ج٢ ص٨ ؛ الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة ، ص ٧٨.

كان إنفصال الأندلس سياسياً عن جسم الخلافة العباسية حافزاً قوياً لإنفصالها روحياً أيضاً، وتم ذلك بالفعل بعد قرار عبدالرحمن الداخل (1) قطع الدعاء للعباسيين (2) لكنه لم يلجأ لتحدي العباسيين في اللقب الخلافي ، واكتفى بأن أضاف لاسمه لقب ابن الخلائف (3) ليطمئن العباسيون أنه لا يسعى لسلب الخلافة منهم ، ليكف بذلك شرهم ، خاصة وأنه كان لا يزال يعمل على إرساء قواعد دولته الفتية (4) ، بالإضافة إلى أن قرطبة كان لا بد لها من سند شرعي ، فهذه الفترة لم يكن يُقبل فيها فكرة الولاء لإمارات خارجة عن إجماع المسلمين .(5)

أما الخلافة العباسية فلم تقم من جانبها بأي عمل جاد لفرض سيطرتها على الأندلس ، فبالإضافة للبعد الجغرافي ، فالعباسيون يعلمون أن الأندلس في مواجهة العدو المسيحي وأن إلحاقها بالدولة العباسية مكلف جداً خصوصاً وأنها ما زالت في طور التكوين وبحاجة لتركيز جهودها لتنظيم جبهتها الداخلية (6) إلا أنها لم تمانع في إظهار الرضى عمن يقوم بالأندلس داعياً لها حتى لو كان مدفوعاً بمصلحة شخصية ما دامت ستعيد البلاد تحت الألوية السوداء .

---

(1) يعرف عبدالرحمن بن معاوية (بالداخل) لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية وتغلب عليها. القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٥ ص٢٤٤،٤٧٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ص ٤٢٧ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ص ١٨٧؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٩٨ ؛ العبادي ، احمد مختار ، شخصية عبدالرحمن الأول ، مجلة المعهد المصري ، م٢٩ ص ٢٤.

(2) تورد المصادر رواية توضح الظروف التي تم فيها انقطاع الدعوة للعباسيين مفادها ، أن الأمير عبدالملك بن عمر بن مروان وهو أحد الفارين من بطش العباسيين لاذ بالأندلس بعد أن تغلب عليها عبدالرحمن الداخل فوجده يدعو لبني العباس ، فطلب منه قطع الدعاء لهم وذكره بسوء صنيعهم ببني أمية ، ولما لمس تردده في هذا الأمر هدد بقتل نفسه ، وأمام هذا الضغط اضطر عبدالرحمن الداخل لمواجهة الأمر صراحة ووقف الدعاء للخليفة المنصور العباسي ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٠؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٠٢ .

يستنتج من الرواية السابقة ، ومن سير الأحداث فيما بعد أن الدعاء لبني العباس في الأندلس قد استمر فترة قصيرة ، في بداية عهد عبدالرحمن الداخل ثم قطع بعد ذلك ؛ ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٧٥ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ص ٣٥.

أما الرواية التي ذكرت أن عبدالرحمن الداخل وجميع أمراء بني أمية من بعده حتى عهد عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) قد دعوا في خطبهم لخلفاء بني العباس رغم العداء السياسي بين الطرفين ، فلم يتم عليها إجماع أو دليل .

ابن الكرديوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٥٤-٥٥ ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص ١٠٠.

(3) ابن خردابة ، المسالك والممالك ، ص٩٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،ج١ ص ١٦٧ .

(4) أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم ، ص ١٢.

(5) العبادي ، أحمد ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٨ ؛ أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم ، ص١٢.

(6) الدوري ، إبراهيم ياسر خضير ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٥٤.

ومن أخطر الثورات التي واجهها الداخل وبتأييد من المنصور العباسي (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) ثورة العلاء بن المغيث الجذامي (1) في باجة (Beja) (2) سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) . وتمثل خطر هذه الثورة بكثرة من انضم إليها من العناصر الناقمة على عبدالرحمن الداخل (3) ، حتى أنها كادت تطيح بدولته ، لولا صمود الأمير والضغائن والعداوات المحلية التي وقفت دائماً حائلاً دون اتحاد العناصر الثائرة (4) ، وانتهت الثورة بمقتل العلاء وتشتيت جنده سنة (١٦٢هـ /٧٧٨م) .(5).

لم تنجح هذه الهزيمة في صرف أنظار العباسيين عن التفكير في استعادة الأندلس ، شجعهم على ذلك وجود ثائر يدعى عبد الرحمن الصقلبي (6) ، أظهر استعداده للقيام ضد النظام الأموي ، فثار سنة (١٦١هـ/٧٧٧م) ، ولما فشل عبدالرحمن الداخل في قمع الثورة عسكرياً لجأ إلى سلاح قل ما تصمد أمامه النفوس . إذ أعلن عن جائزة سخية لمن يأتيه برأس الصقلبي الثائر ، ولم ينتظر طويلاً إذ تمكن منه أحد ثقاته وأتى برأسه إلى قرطبة سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) طمعاً في الجائزة فكان له ما أراد (7) .

---

(1) العلاء بن مغيث الجذامي اليحصبي هو : ، ويقال الحضرمي ، من أهل باجة في الأندلس ، وقيل انه قدم من إفريقية إلى الأندلس بإيعاز من العباسيين . نزل مدينة باجة في غربي الأندلس ، وأرسل له المنصور العباسي بسجل ولواء وبتفويض من قبله بولاية الأندلس . فخطب لأبي جعفر المنصور بباجة وما جاورها ، وأذاع أن عبدالرحمن الداخل خارج عن سلطان الخلافة الإسلامية ، ومغتصب للولاية . لمزيد من المعلومات ، ينظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٣ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٤ ؛ ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٧٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج ٢٣ ص ٣٤١ .

(2) باجة (Beja) : تقع غربي قرطبة ، مشهورة بدباغة الجلد ، وصبغ الكتان ، وبوجود معدن الفضة ، تسمى هذه المدينة بباجة الأندلس وباجة الزيت تمييزاً لها عن باجة إفريقية التي تسمى باجة القمح . ابن شباط ، وصف الأندلس ، ص ٢٠ ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص ٧٥ .

(3) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٤ ؛ دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٢٢ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٦٣.

(4) ابن عذاري ، البيان ،ج ٢ ص ٥١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٩ .

(5) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٤ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٥٨ ؛ لين بول ، قصة العرب ، ص ٦٤.

(6) الصقلبي: لم يكن من الصقالبة ، وإنما سمي بالصقلبي لطول جسمه وزرقة عينيه وشقرته ، لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٥٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٢٤٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ١٨٦ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٤٢ .

(7) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٠١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ٥٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٢٤٧ .

ووقفت جهود العباسيين عند هذا الحد . وبالغ البعض حين فسر التقارب العباسي الإفرنجي على أنه تحالف بين الدولتين على أساس المصلحة المشتركة بين الطرفين للقضاء على أمويي الأندلس بعد فشل المحاولات العسكرية العباسية من النيل منهم عن طريق إثارة الفتن والقلاقل.(1)

ومن الأرجح أن الموضوع قد حمل أكثر مما يحتمل ، فالمصادر الإسلامية سكتت عنه، ويبدو أن العلاقات بين الدولتين لم تتعد تبادل الهدايا الملوكية كتمهيد لإقامة علاقات تجارية بين المشرق والغرب. (2)

وتكريساً إضافيا للشخصية الأندلسية المستقلة عن السيادة المركزية في بغداد أقبل الأندلسيون على اعتناق مذهب الإمام مالك بن أنس ت (١٧٩هـ /٧٩٥م) متخلين عن الاوزاعية (3) ، ولأميل إلى الرأي الذي يرجح تحمس الأندلسيين للمذهب المالكي إلى أكثر من الإعجاب المتبادل بين الأمير والإمام ، والذي نقل بواسطة تلاميذ الأخير ، فالطرفان جمعهم عداءً شديد تجاه الخلافة العباسية(4) ، أما الأسباب الأخرى فهي داعمة ومكملة له .(5)

---

(1) العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ ؛ الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة ، ص ١٤٠.

(2) الدوري ، إبراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٩٢ .

(3) نسبة إلى الأوزاعي : وهو عبدالرحمن بن محمد أبو عمرو الأوزاعي ، والأوزاع بطن من حمير وهو منهم ، وقيل لم يكن منهم وإنما نزل في محلة الأوزاع وهي قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق ، وقيل أصله من سبي السند فنزل الأوزاع فغلب عليه النسب إليهم ، وقيل ولد ببعلبك ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه ، وتوفي في بيروت مرابطاً سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ص ١٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ص ١١٨ .

(4) العداء بين مالك والعباسيين راجع لمواقفه من ثورة العلويين في المدينة سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) بزعامة محمد ذو النفس الزكيه، فيقال إن الإمام مالكا قال لأهل المدينة : " إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين أو طلاق" ، وشجعهم بذالك على التحلل من بيعتهم للعباسيين ، وتشجيعهم على البيعة لمحمد ذو النفس الزكية ، فلم تعجب هذه الفتوى الخليفة المنصور فمنعه من التحدث بذلك ، وأمر و اليه على المدينة بضربه بالسياط . ينظر : العبادي ، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص٢٢٦ ؛ بيضون ، إبراهيم ، الدولة العربية ، ص ٢٢٤.

(5) وقد فسر اعتناق الأندلسيين لمذهب مالك دون غيره إلى أن الجيوش التي تم على يدها فتح الأندلس كانت غالبيتها من الحجازيين الذين تسنى لهم زيارة الحجاز فيما بعد والاتصال مع الإمام مالك ، بالإضافة إلى أن المدينة المنورة كانت تحتل مركز الصدارة في تطور العلوم الحديثة ، كما أننا نلمس تقارباً بين الأندلسيين وأهل الحجاز من حيث البساطة والبعد عن التعقيد . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٩٠ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٠ -١٢١.

التفاف الأندلسيين حول المذهب المالكي حماهم من مخاطر التعددية المذهبية خصوصاً وأنهم كانوا في مواجهة العدو المسيحي ، وبلغ من شدة تعلقهم به أن قيل عنهم أنهم لا يعرفون سوى "كتاب الله وموطأ مالك" .(1)

لكن الأمر لم يخلُ من سلبيات ، فجماعة الفقهاء التي عملت على إدخال هذا المذهب ونشره في الأندلس شكلت فيما بعد طبقة قوية لها مكانتها الرفيعة ونفوذها الواسع وهو ما سيتعارض مع السلطة الحاكمة كما سيأتي تفصيله.

بيد أن هذا الوضع وإن كان قد حقق للأندلس استقلاله السياسي والمذهبي معاً ، فإنه كانت له عيوبه في عصور الضعف . إذ وقفت الأندلس في نهاية المطاف منفردة أمام عدو أقوى منها بكثير وحان لشمسها أن تغيب .(2)

---

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥.

(2) كحيلة، عباده ، الخصوصية الأندلسية ، ص ٢٣ ، ٦٦ .

ب- هجوم شارلمان على الأندلس (١٦١هـ / ٧٧٨م)

من أخطر الثورات التي واجهت الداخل تلك التي اندلعت في شمال الأندلس سنة (١٥٧هـ/ ٧٧٤م) وكان أبرز زعمائها سليمان بن يقظان الأعرابي(1) والي برشلونة (Barshaluna) (2) وجيرونه (Gerunde) (3) وحليفه الحسين بن يحيى الأنصاري وإلى سرقسطة (Zaragosa) (4) منتهزين فرصة انشغاله بقمع الثورات التي اندلعت في مختلف أنحاء الأندلس ، ومعتمدين على طبيعة المنطقة الشمالية ووعورتها. (5)

وزاد من حماسة الثوار الهزيمة التي ألحقوها بالحملة التي أرسلها عبدالرحمن الداخل (١٥٨هـ / ٧٧٥م) لتأديبهم بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي. (6)

---

1) كان سليمان بن يقظان دائم الاتصال بملوك الفرنجة منذ سقوط أربونة في أيديهم سنة (١٤١هـ/٧٥٩م) ، وتصرح بعض الروايات بأنه انضوى تحت لواء ببين ، وجعل نفسه ومن معه من رعايا هذا الملك المسيحي وفي حمايته ، كردة فعل على تنكيل عبدالرحمن الداخل باليمانية التي ينتمي اليها. للاستزادة ينظر: أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٦-١١٧ ؛ الدوري ،ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٧٢ – ١٧٣؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٧٢٨.

2) برشلونة (Barshaluna) مدينة اندلسية قديمة البناء ، تقع على البحر المتوسط بينها وبين طركونه خمسون ميلاً . ولها ميناء تدخل اليه السفن ولها سوق وربض وأكثر سكانها من اليهود . سقطت بيد الفرنجة عام (١٨٥هـ/ ٨٠١م) . ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٩٦ ؛ الزهري ، كتاب الجعرافية ، ص ٧٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٨٦-٨٧.

3) جيرونة أو جرندة (Gerunde) : إحدى مدن الشمال الأندلسي وتقع شمالي برشلونة وتسمى جرندة البيضاء ، خرجت من أيدي المسلمين نهائيا سنة (١٨٤هـ –٨٠٠م) . ينظر: ابن خردذابة ، المسالك والممالك ، ص ٩٠ ؛ البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦٢ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ ج ٢ ص١٩٦.

4) سرقسطة (Zaragoza) : كانت تشكل قاعدة الثغر الأعلى ، وكان هذا الثغر يواجه برشلونة وجبال البرنيه ومملكة نبره ، ومن مدنه لارده وشقه وطرطوشه وغيرها . ينظر : ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٢٤؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ص ٣٥٢.

5) القتي ، عصام الدين ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٧٤ ؛ الشيخ ، محمد ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين ، ص ١٣٧.

6) ثعلبة بن عبيد الجذامي : شارك عبد الرحمن الداخل في معركة يوم المصارة ، وهو الذي دعا عبدالرحمن الداخل للاحتراس من اليمانية لما يبيتوه له من الغدر ، وبعد استقرار الأمر للداخل ولاه سرقسطة زمناً ثم استوزره وقربه . لمزيد من المعلومات ينظر: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٢ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨٤ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م٦ ، ص٦٤.

ولثقة الثوار بقوة بأس الأمير وشدة إنتقامه عمدوا للإستعانة بألد أعداء الإسلام الملك الكارولنجي شارلمان(١٥١-١٩٩هـ / ٧٦٨-٨١٤م) الذي تحين الفرص دائماً لتوسيع حدود مملكته بضم الأندلس إليها ، وإعادتها إلى حظيرة الكاثوليكية متلقياً الدعم الكافي من الكنيسة.(1) وكانت الخلافات الداخلية بين الأندلسيين فرصة مناسبة لذلك فتحرك بسرعة لاستغلالها . واخترق بحملة ضخمة جبال البرنيه (2) في طريقه إلى سرقسطة حسب الاتفاق المبرم مع الثوار (3) الذين غاب عن بالهم – لما يضمرونه من كراهية شديدة لأمير قرطبة – أن هذه الحملة كانت من الضخامة بحيث أنه من السذاجة التصور أنها جاءت لنصرة الثوار .(4)

وتوالت المفاجآت تباعاً إذ أغلقت حامية سرقسطة بزعامة الأنصاري أبواب المدينة بوجه الغزاة ، وصممت على المقاومة (5)، ومن المستبعد أن تكون صحوة الأنصاري في اللحظات الأخيرة بسبب الحفاظ على المشاعر الدينية في المدينة ، فمن يشترك في مؤامرة ذات بعد خياني من هذا النوع لا يمتلك تلك المشاعر ، وعلى الأرجح أن الداخل نجح في استمالته فتنكر للأعرابي وذهب البعض أبعد من ذلك حين فسر هذه الصحوة على أنها نتيجة نقمته موقف الصدارة والزعامة الذي اتخذه سليمان من الفرنجة ، فبيت نية التخلي عنه معتمداً على ما سيتلقاه من تأييد المسلمين له في سرقسطة.(6)

---

1) الشيخ ، محمد ، دولة الفرنجة ، ص ١٤١ ؛ نوار ، صلاح ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٦١.

2) جبال البرنيه (Portus) : هي سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٤٠ كم من خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق، وسفوحها الشمالية تقع في فرنسا بينما تقع سفوحها الجنوبية في إسبانيا . أي أن جبال البرنيه تفصل شبه الجزيرة الإيبيريه عن فرنسا ، وقد عبرت المراجع العربية عن جبال البرنيه باسم جبال "البرتات" أو جبال "البرت" ومعناها المنفذ . لمزيد من المعلومات ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس واوروبا ، ص٦٦ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل الأندلسية ، م١ ج١ ، ص ٥٣ ؛ ينظر خريطة رقم (١) ص ١٥٥ .

3) لعب ملوك استوريس دوراً كبيراً في تحريض شارلمان على غزو الأندلس وإثارة الشعور العدائي ضد العرب ، ينظر : لين بول ، ستانلي ، قصة العرب في إسبانيا ، ص٣٧ ؛ الشيخ ، محمد ، دولة الفرنجة ، ص١٣٩.

4) وات ، مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٦٤ ؛ الشيخ ، محمد ، دولة الفرنجة ، ص١٣٩-١٤٠

5) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٢٢٤ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص١٧٧ ؛ نوار ، صلاح ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٦٢؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٨٧.

6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص١٧٢ ؛ الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة ، ص١٤٦.

واضطر شارلمان فك الحصار الذي ضربه حول المدينة بعد الأخبار التي حملت إليه عن عودة القبائل السكسونية للثورة من جديد في ظل الفراغ العسكري الذي أحدثه غياب الغالبية من جيشه . وبدأ بالانسحاب من إسبانيا محملاً الأعرابي المسؤولية عن هذا الفشل مصطحباً إياه كأسير، (1) وفي طريق العودة عبر الممر المعروف باسم الرونسفال (Roncesvalles)(2) صعقته مفاجأة أخرى إذ تعرضت مؤخرة جيشه للإبادة والسلب من قبل قبائل الباسك الجبليين الذين ثارت ثائرتهم لما تسبب به شارلمان من تدمير لمدينتهم بمبلونة (Pamplona) (3) ، متحالفين مع جماعة من العرب بينهم ابنا الوالي المعتقل ، وخلصوا الوالي وانسحبوا بسرعة. (4) ، ويرفض بعض المؤرخين الأجانب فكرة اشتراك أي من القوات الإسلامية في المعركة ، وهم يفسرون مهاجمة الباسك لمؤخرة جيش شارلمان رغم كونهم مسيحيين أنهم كانوا معادين لأي جيش غريب يحاول احتلال أراضيهم .

وكعادته استطاع عبدالرحمن الداخل أن يتخلص من خصومه كل على حده ، فقد اشتبك المتآمرون مع بعضهم البعض متهماً كل منهما الآخر بالخيانة ، فسقط زعيمهم الأعرابي قتيلاً بتدبير من حليفه السابق الأنصاري (5) وانتهي الاخير نهاية مشابهة حين تواطأ أنصاره مع عبدالرحمن الداخل وقتلوه عام (١٦٦هــ/٧٨٢م) .(6).

---

1) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٢١ ؛ دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ،ج١ ص ٢٣٠ ؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٨٧.

2) ممر رونسفال (Roncevalles) أو بنب الشيزري، وهو ممر يخترق جبال البرنيه ويكون واسطة اتصال بين الأندلس وبلاد الفرنجة ، وهو احد الأبواب الرومانية لقديمة التى كانت بهذه الجبال ، ولا يمكن لأحد أن يدخل منه إلا بصعوبة لضيق مسلكه . لمزيد من المعلومات ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص٦٦ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ ج١ ص٥٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ١٧٤.

3) بمبلونه (Pamplona) : وهي عاصمة ولاية نافار (Navarre) وقد أحدثها الرومانيون ثم استولى عليها القوط ثم العرب ولكن العرب لم تطل مدة بقائهم فيها ، حيث كانت من أشد الولايات مقاومة للمسلمين ، وتقع بمبلونه على الضفة اليمنى لأحد فروع نهر ايبرو ، وبينها وبين سرقسطه مئة وخمسة وعشرون ميلاً . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ص ٢٣٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص١٠٤ .

4) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص١٧٦ ؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص٢٨٧ .
اينهارد ، سيرة شارلمان ، ص٧٦-٧٧ ؛ Chapman, Ahistory of Spain, P 43.

5) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص٢٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٠٣.

6) العذري، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٦ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٠٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٥٨ .

أما شارلمان فقد تخلى -وان كان مؤقتاً – عن مشروعه التوسعي بعد أن تلاشت أحلامه في ضم الأندلس إلى ممتلكاته وعقد معاهدة صلح مع عبدالرحمن الداخل يأمن كل منهما فيها جانب الأخر، لحاجتهما للتفرغ للأمور الداخلية (1) ، لكنه في الوقت نفسه عمد إلى إقامة شريط دفاعي ومراكز محصنة على الحدود يقع على عاتقها مسؤولية الدفاع عن البلاد، وشن حرباً خفية قوامها التدخل الهادىء المتدرج حيثما سنحت الفرصة ، ودعم ملوك الشمال النصارى في إسبانيا بالرجال والمال والعتاد ، وتشجيع العصيان في قرطبة بالوسائل المتاحة كافة (2) وهو ما أكدته الحوادث بعد ذلك حين استغل فرصة اندلاع الثورة بين أفراد البيت الأموي المتنازعين على كرسي الإمارة، واستجاب لدعوة عبدالله البلنسي (ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م) الذي سافر إلى اكس لاشابل Aix . la. Chapelle التماساً لعونه . واستطاع الأمير الحكم (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) أن يرغم الفرنجة على الارتداد إلى الشمال ، فوجد الثوار أنفسهم دون حماية ، خصوصاً مع اقتراب جيش الحكم فآثروا العودة إلى الطاعة .(3)

وهكذا استنفذ التآمر والخيانة الكثير من القوى الإسلامية في الأندلس ، وقدمت للنصارى أحسن الفرص للزحف على حساب الأراضي الإسلامية ، دون أن يكون لهؤلاء الخونة أي وازع ديني أو أخلاقي . وكان حب السلطة والسيطرة لديهم فوق كل ذلك ، حتى لو كانت دماء المسلمين وعزتهم ثمن هذه السلطة .

---

1) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٠ ؛ النقي ، عصام ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص٧٨.

2) وات ، مونتجمري ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٦٤ ؛ بشتاوي ،عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة، ص٦٦.

3) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٩ ؛ أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص١٣٠ ؛ الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة ، ص ١٦٣.

ج - غزوات النورمان (الفايكنج) خلال عصر الإمارة

(٢٢٩-٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧هـ = ٨٤٣ - ٨٤٤ ، ٨٥٩، ٨٦١م م)

تعرضت الأندلس خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى عدة غزوات بحرية قادمة من المناطق الشمالية من أوروبا ، وقد عرفت الجماعات الغازية باسم الفايكنج (ViKings) بمعنى سكان الخلجان (1) ، وهم الذين تسميهم المصادر الأوروبية الحديثة بالنورمانيين (2) (Norsemen) ، أي العناصر الشمالية التي سكنت شبه جزيرة سكندناوة (السويد والنرويج) وشبه جزيرة الدنمارك (3) ، في حين أطلقت عليهم المصادر الإسلامية إسم المجوس (4) ، والسبب في هذه التسمية أنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يمرون به ، فحسبهم المسلمون من عبدة النار تشبيهاً بالفرس المجوس في بلاد إيران ، (5) وليس من المستبعد أن إشعالهم للنار يرجع إلى معتقداتهم الدينية في تقديس النار . فالنورمانيون عندما قاموا بغزو الأندلس كانوا وثنيين ولم يعتنقوا النصرانية بعد .(6)

لعب النورمانيون دوراً هاماً في تجارة العبيد التي انتشرت على نطاق واسع في أوروبا العصور الوسطى حتى أنها كانت مظهراً من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية ، وكان من أهداف غاراتهم وغزواتهم الحصول على العبيد بالإضافة إلى الأموال (7) ، حيث طولب الاسري الأغنياء وذوي المكانة بالفدية ، وممن سبوا في نفس الغزوة أمة الرحمن وخنعولة إبنتا واقف بن المعتصم بن صالح ففداهما الأمير محمد بن عبدالرحمن (8) .

---

(1) عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ص٢١٨ ؛ نوار ، صلاح الدين ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس . ص ١٩٥.

(2) سالم ، السيد عبدالعزيز ، العبادي ، أحمد مختار ، تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ١٥٢ ؛ الكبيسي ، خليل ابراهيم ، غزوات النورمانيين على الأندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، ع٤٠ ص ١٤٥.

(3) ونورمانيو الدنمارك هم الذين هاجموا سواحل الأندلس . ينظر : ابن الخطيب ، أعمال الأعمال، ص ٢٠ ؛ سالم والعبادي ، تاريخ البحرية ، ص ١٥٤.

(4) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣١ ، ٧٢، ٩٨ ؛ الزهري ، كتاب الجعرافية ، ص ٩٢.

(5) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص ١٥٢؛ الكبيسي، خليل، غزوات النورمانيين، مجلة المؤرخ العربي، ع٤٠ ص ١٤٥.

(6) ابن دحيه ، المطرب في أشعار أهل المغرب ، ص ١٤٠ .

(7) Collins, Roger, Early Medieval Spain, P 194.

(8) في غزوة سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) أغار النورمانيون على البشكنس وأسروا أميرهم غرسيه بن ونقه، فافتدى منهم بسبعين ألفاً من الدنانير . ينظر: العذري ، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩ ؛ الحجي ، عبدالرحمن ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٣٦ .

في حين كان يتم بيع الأسرى الآخرين في أسواق معدة لذلك.(1)

أضاف النورمانيون بغاراتهم على المدن الأندلسية عنصراً جديداً للاضطرابات في أندلس القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، والمحاولات لتصويرهم بأنهم تجار لا تستطيع محو عنفهم وتدميرهم ، فقد كانوا خطرين وعمليات السلب والنهب التي قاموا بها موثقة بشكل واضح في السنوات : (٢٢٩-٢٣٠ ، ٢٤٥، ٢٤٧هـ /٨٤٣- ٨٤٤ ، ٨٥٩، ٨٦١م). (2)

وارتبطت الهجمات في عام (٢٢٩-٢٣٠هـ / ٨٤٣-٨٤٤م) بالإنزال على شواطئ مملكة اشتوريس (Asturias) النصرانية ، وبعد تعرضهم لهزيمة منكرة على يد ملكها ردمير الأول (3) أبحر النورمانيون جنوباً حيث وجدوا السواحل الأندلسية الغربية مكشوفة ، وقاموا بمهاجمة إشبيلية (Sevilla) (4) ونهبوا الجزء الأدنى من منطقة الوادي الكبير ، وتمكنت قوات الأمير عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م) من صدهم لكن بعد أن تكبد المسلمون خسائر فادحة. (5)

كانت الضربة موجعة جداً بحيث سارع أمراء قرطبة إلى اتخاذ إجراءات ضخمة لمنع تكرار حدوث مثل هذه الكوارث ، فعملوا على سد الثغرة الكبيرة في قوتهم العسكرية وبناء إسطول جديد بالإضافة إلى تحصين السواحل والمدن .(6)

---

(1) Collins, Roger, Early Medieval Spain, P 194.

(2) النويري ، نهاية الأرب . ج٢٣ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس . (قطعة الأمير محمد بن عبدالرحمن) ، ص ٣٠٧ ، ٣١١ .

(3) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص١٥٤؛ الكبيسي، خليل، غزوات النورمانيون ، ص١٤٦.

(4) اشبيليه (Sevilla) : مدينة بالأندلس ، قديمة البنيان ، جليلة القدر، بينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً ، تشرف على النهر الكبير، وهو في غربها ، نزلها جند حمص الشام عند الفتح الإسلامي ، وكان لها أيام بني عباد شأن عظيم ، حوصرت من قبل القشتاليين حتى اضطرت للتسليم سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) . ينظر : ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٢ ؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص٣٠ ؛ حسين ، حمدي ، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية ، ص ٧ .

(5) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٩٨-٩٩ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٨٧-٨٨ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة) ، ص ١٨٥-١٨٦ .

(6) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٢ ؛ سالم ، والعبادي ، تاريخ البحرية ، ص ١٦٠ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة) ، ص ١٩١ .

وخيم الهدوء على سواحل الأندلس إثر الصلح الذي أبرم بين عبدالرحمن الأوسط والملك هوريك (Horic) الدنماركي (1) ، إلا أن الأمور سرعان ما تغيرت إثر وفاة هوريك (٢٤٠هـ - ٨٥٤م) فعمت الفوضى مملكة الدنمارك ونشط النورمانيون في ممارسة القرصنة والغزو من جديد في أي مكان استطاعوا الوصول إليه ، (2) وفي سنة (٢٤٥هـ /٨٥٩م) عادوا مرة أخرى إلى السواحل الأندلسية ، إلا أنهم هذه المرة وجدوا السواحل محروسة ومحصنة مما أفقدهم عنصر المباغتة ، فتحولوا إلى مهاجمة السواحل الشرقية للأندلس ، إلا أن المسلمين تتبعوا مراكب الغزاة وفوتوا عليهم الفرصة في تحقيق نتائج كبيرة ، (3) وفي سنة (٢٤٧هـ /٨٦١م) ظهر النورمانيون للمرة الثالثة قبالة السواحل الغربية للأندلس، لكن الاحتراس والاستعداد على أكثر من جبهة فوت عليهم الفرصة التي كانوا يتحينونها ، (4) وبعد هذه الغزوة لم نسمع عن غزو آخر لهم خلال عصر الإمارة

---

(1) ابن دحية ، المطرب في أشعار أهل المغرب ، ص ١٣٨ ؛ عنان ، دولة الاسلام ، ع١ ق١ ص ٢٨٠-٢٨٢ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٣٣ .

(2) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(3) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد بن عبدالرحمن)، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(4) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١٩ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد بن عبدالرحمن) ، ص ٣١١.

٢) الأحوال الداخلية

أ- السلطة السياسية:

من الأفضل في البداية أن نناقش المصاعب التي واجهها الأمراء الأمويون في سبيل تثبيت سلطانهم ، لأن هذا يقرر الكثير من علاقاتهم مع القوى الواقعة خارج حدودهم ، وأول ما يطالعنا في هذا الموضوع افتقار النظام الأموي في الأندلس للأسلوب الصحيح في نقل السلطة ، والواقع يثبت أن عدم وجود أسلوب متفق عليه لإنتقال الحكم قد يسبب أزمات سياسية واضطرابات اجتماعية وثورات داخلية كثيرة . كما أن ميل الحاكم للإبقاء على السلطة في أيدي أبنائه من بعده هي نزعة غريزية قديمة قدم التاريخ ستؤدي حتماً إلى نفس النتيجة.

وكانت مشكلة ولاية العهد على مر العصور الإسلامية من الأسباب التي أدت إلى تدهور الأنظمة الإسلامية المختلفة وسقوطها ، وقد أدرك ذلك بعض الفقهاء ومفكري الإسلام في العصور الوسطى ، لكنهم مع ذلك أقروا شرعية انتقال السلطة عن طريق تعيين من ينجح في الوصول للسلطة لولي عهده (1) . الأمر الذي عرض الدولة الإسلامية لهزات عنيفة .

وتعود جذور المشكلة في الدولة الأموية في الأندلس - والتي كانت تخضع لنفس التقاليد الأموية التي اتبعت في المشرق وقوامها الاحتفاظ بالعرش في نطاق البيت الأموي - (2). إلى البدايات ، فقد كانت غاية الأمير عبدالرحمن الداخل الملكية المطلقة التي كان لا بد لها من أن تضع حداً للفوضى والاضطراب في الأندلس ، ولتحقيق ذلك كان عليه أن يحارب القبلية والكراهية بين القبائل .(3) وحتى أفراد أسرته الأموية الذين عمدوا إلى التآمر عليه (4) ولعلهم كانوا مدفوعين إلى ذلك بالطمع أو عدم احتمال استبداد زعيم أسرتهم المطلق .(5)

---

(1) الماردي ، الأحكام السلطانية ، ص٤٩ ؛ أبو رميله ، هشام ، نظم الحكم ، ص٤٧ .

(2) أبو رميله ، هشام ، نظم الحكم ، ص ٤٧.

(3) دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٣٦ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص٦٨ ؛
Chapman, A history of Spain , P 43.

(4) ثار على عبدالرحمن الداخل من أقاربه عبدالسلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي، وعبيدالله بن أبان، بهدف الإطاحة بحكمه فانكشف أمرهما وضربت أعناقهما (سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م). الثورة الأخرى التي جاءت من أقاربه كانت سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) حيث اتفق المغيرة بن الوليد بن معاوية مع بعض أعوانه على التخلص من عبدالرحمن الداخل فانكشف أمره أيضاً وواجه مصيره المحتوم. لمزيد من المعلومات ينظر:مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٩، ١٠٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦ ص٧٤؛ النويري، نهاية الأرب ج٢٣، ص٣٤٩. الدوري ، ابراهيم ياسر ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٢٧.

(5) دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ، ص٢٣٤.

وكان الأجدر بهم – وهم الهاربون من ملاحقة سيوف العباسيين – أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ضد عدوهم المتربص بهم في الشمال الإسباني . لكن حب السلطة والسيطرة لديهم ألغى كل روابط الدم وجعلهم لا يرون الا مصلحتهم الذاتية . لذا لا ألوم عبدالرحمن الداخل على ضربه الثوار وأعوانهم بيد من حديد .

لكن عبدالرحمن الداخل الذي تمكن من إخضاع معارضيه – وإن لم يغيرهم – فشل في إيجاد حل جذري لمشكلة ولاية العهد . فغاب عن المسرح السياسي (١٧٢هـ /٧٨٨م) دون أن يحدد صراحة من سيخلفه (1) مع وجود إشارات في مصادرنا الإسلامية تشير لميله لابنه هشام مبررة هذا الميل لمزاياه التي امتاز بها دون أخيه الأكبر سليمان من رجاحة عقل وورع ومروءة. (2) وحيث أنه لا يمكن إنكار ما لهذه المزايا من دور كبير في رجحان كفته لدى والده بالمقابل لا يمكن تجاهل ما هو برأيي أقوى من ذلك ، فهشام ولد بالأندلس لجارية إسبانية (3) ، وهي بلا شك لم تدخر جهداً بالتاثير على الأمير في سبيل وصول ابنها للحكم إضافة إلى الدعم الذي سيتلقاه من الجماعات الأندلسية .(4)

ومن الآن فصاعداً سيكون تآمر أفراد البيت الأموي ضد بعضهم البعض وما يغذيه من طموحات شخصية من الظواهر البارزة طوال عهد الإمارة ، فعندما بويع هشام بالإمارة (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) ثار عليه أخوه سليمان الذي اعتبر كرسي الإمارة حق مغتصب لا بد من استرداده ، ثم ما لبث أن انضم إليه الأخ الثالث عبدالله (5) . وقد اكتسب أخوة هشام الثائرين مركزاً مناسباً ودعماً كافياً لانطلاق ثورتهم في طليطلة (Toledo) (6) .

---

(1) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٦٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ١١ ؛ الصوفي خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ،(عصر الإمارة)، ص١٠٨.

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٠٩ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٦ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص٢٩ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٨.

(3) اختلفت المصادر حول اسمها ، فهي (جَمال) عند ابن عذارى ؛ البيان المغرب ، ج٢ ص ٦١ ؛ وتسمى (حوراء) في عدة مصادر أخرى ؛ الحميدي ، جذورة المقتبس ، ص ١٦؛ المراكشي ، المعجب ، ص٢٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص٣٥٢.

(4) العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٧ ؛ حسين ، حمدي عبدالمنعم ، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص٣٨ .

(5) لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٦٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٥٩ .

(6) طليطلة (Toledo) : مدينة بالأندلس وكانت عاصمة المملكة القوطية ، افتتحها طارق بن زياد (٩٢هـ/٧١٠م) وهي أول قاعدة أندلسية سقطت بأيدي الإسبان (٤٧٨هـ/١٠٠٨م) ، لمزيد من التفاصيل ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٦٥؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص٣٦.

كما انضمت إليهم مارده (Merida) (1) ، وكانت هذه المدن تشكل حاميات متقلبة في المناطق الحدودية لأنها مراكز تضم أعداداً كبيرة من العرب والبربر الذين كان ولاؤهم الرئيسي ليس للأمير أياً كان وإنما لزعمائهم القبليين ، وفي الحقيقة ، إن شبكة معقدة من الولاءات الشخصية والقبلية لا بد أن تكون موجودة إلى جانب الضغائن والعداوات التي شكلت السلطة المحلية ، كما طورت شبكة من التحالفات التي وحدت المدن والقبائل في مناطق واسعة . وإن فرض حلف يمين الولاء للحاكم الجديد عند بداية كل عهد ، والذي يفرض على كل القادة وزعماء القبائل ما هو إلا محاولة لربط القوى المحلية مع السلطة المركزية بواسطة عوامل فوق طبيعية .(2)

وبعد عدة معارك ،استطاع هشام الانفراد بالسلطة دون أخويه اللذين التزما الصمت طوال الفترة المتبقية من حكمه (3) ، لكنهما عادا لإثارة الفوضى والاضطراب في الأندلس من جديد بعد تولي الحكم بن هشام الإمارة (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٨٢م) بعهد من أبيه ظانين أن الوقت قد حان لاغتصاب العرش من ابن أخيهما الذي لم يتركا أمامه إلا خيار الحرب. (4) ولم يكونا بالخصمين العاديين فقد أظهرا قوة وجرأة غير قليلة ، حتى أن عبدالله سوغت له نفسه الاستعانة بشارلمان الذي بدأ يتبع استراتيجية حربية جديدة بالتغلغل داخل المجتمع الأندلسي عن طريق دعم الثوار الخارجين عن قرطبة بعدما أثبتت له هزيمته المنكرة أمام أسوار سرقسطة(Zaragosta) عدم جدوى تجريد الحملات العسكرية على الأندلس.وانتهت المعركة بين الطرفين بمقتل سليمان (١٨٤هـ/٨٠٠م) ومهادنة عبدالله الذي مال للصلح بعد تحرج موقفه(5) فولاه الأمير بلنسيه (Valencia) (6).

---

(1) ماردة (Merida) : تقع شرقي بطليوس (Badqios) وعلى الضفة الشمالية لنهر وادي يانه (Guadiana) كانت كثيرة الخروج عن سلطة قرطبة ، سقطت بيد الإسبان (٦٢٨هـ/١٢٢٩) . ينظر : البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا ص١١٩ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص٢١ ؛ الزهري ، كتاب الجعرافية ، ص٨٥-٨٦.

(2) Collins,Roger, Early Medieval Spain, P 190.

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٦٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ١١.

(4) ابن سعيد ، المَغرب ، ج١ ص ١٤ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٢٠-٢٢١

(5) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص١٧٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص١٦١؛ سالم ، سحر عبدالعزيز ؛ شاطبة الحصن الأمامي لشرقي الأندلس ، ص٣٦-٣٧.

(6) بلنسية (Valincia) ، كوره ومدينة وحاضرة من حواضر الأندلس الكبرى ، تقع في شرقي الأندلس على مقربة من الشاطئ الغربي الجنوبي للبحر المتوسط كثيرة الأشجار، ولكثرة مزروعاتها سميت مدينة التراب، استولى عليها النصارى (٦٣٠هـ/١٢٣٨م) ينظر : الزهري، كتاب الجعرافية ، ص١٠٢؛ الحميري ، الروض المعطار ،ص٧٩؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية م٢ ج٣ ص ٣٢.

ومع تقلد عبدالرحمن الأوسط السلطة (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) بعهد من أبيه (1) بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع على السلطة . فعاد الثائر التقليدي عبدالله بن عبدالرحمن للثورة . ويبدو أنه أعتاد أن يجرب حظه في مطلع كل عهد جديد . لم تمنعه الشيخوخة ولا المرض، لكن الموت عاجله (٢٠٨هـ/٨٢٤م) قبل أن تحدث مواجهة عسكرية بين الطرفين .(2)

ورغم ما شهده الأمير عبدالرحمن الأوسط من مأساة الصراع على السلطة وإراقة الدماء إلا أن ذلك لم يثنه عن خلع أخيه المغيرة من ولاية العهد – إذ كان الأمير الحكم قد عهد بالإمارة من بعده لابنيه عبدالرحمن ثم المغيرة – وتولية ابنه محمد مكانه .(3)

وتوالت أخطاء الأمراء الأمويين في هذا الموضوع . حين عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) بولاية عهده لابنيه المنذر ثم عبدالله على التوالي (4) ، ولم تكد تنقضي سنتان على ارتقاء المنذر للسلطة (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٥٢-٨٨٨م) حتى مات على الأغلب مسموماً بإيعاز من أخيه عبدالله الذي جلس على كرسي الإمارة بعده (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) (5) ، وكانت هذه هي الحالة الوحيدة التي انتقلت فيها السلطة من أخ إلى أخيه خلال عصر الإمارة.

أما الحلقة الأخيرة في سلسلة المؤامرات العائلية من أجل كرسي الحكم خلال عصر الإمارة فامتازت بأنها الأكثر قسوة ودموية ، حيث أدى التنافس بين أبناء الأمير عبدالله (محمد والمطرف) على ولاية العهد إلى تصفية الأول (٢٧٧هـ/٨١٩م) ، ومن ثم قام الأمير عبدالله بإصلاح الخطأ بخطأ آخر حين أقدم على قتل المطرف (٢٨٣هـ/٨٩٦م) ثأراً لمقتل ابنه ووزيره عبدالملك بن أمية الذي فتك به المطرف لعداوة بينهما . (6)

---

(1) ابن حزم ، نقط العروس ، ص٥٩ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٥١.

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص٢٥٢ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانيا ص٢٣٩-٢٤٠ ؛ سالم ، سحر السيد عبدالعزيز ، شاطبة الحصن الأمامي لشرقي الأندلس، ص٣٧.

(3) ابن حزم ، نقط العروس ، ص٥٩ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس، ص١٦ ؛ أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم ، ص٤٧ .

(4) ابن حزم ، نقط العروس ، ص٥٦ ؛ ابو رميلة ، هشام ، نظم الحكم، ص ٤٧ .

(5) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص١٥٦ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص١٤٧. أبو رميلة ، هشام ، نظم الحكم ، ص٤٧-٤٨ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٩٢.

(6) لمزيد من المعلومات ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، م ٣ ص ٢٧٩.

لتتراكم همومه العائلية فوق همومه السياسية (1) ووجد الأمير عزاه في حفيده عبدالرحمن ابن محمد فشمله برعايته . وكأنه توسم فيه الرجل المناسب للفترة العصيبة التي تعيشها البلاد ، وتم ذلك دون معارضة أفراد البيت الأموي ، وكأنهم عزفوا عن حكم بلاد متهاوية مقطعة الأوصال.(2)

انتهز النصارى في الشمال الإسباني الشقاق بين أفراد البيت الأموي وإنشغال الأمراء الأمويين بالحفاظ على سلطانهم ، وقاموا متحالفين مع الفرنجة ، يساندهم الثوار الخارجون عن سلطة قرطبة في التوسع على حساب الأراضي الإسلامية ، مما أدى إلى ضياع مناطق واسعة وخاصة ثغر برشلونة (Barshaluna) (3) (١٨٥هـ/٨٠١م) إلى الأبد .

ضاعت هذه المناطق التي بذل المسلمون من أجلها دماءً غالية في غمرة الصراع المرير على السلطة ، وأضعفت تلك المنازعات الدولة الإسلامية وتركتها عرضة لمخاطر الزعماء المسيحيين الذين قاموا دائماً بالاصطياد بالماء العكر ، وتمكنوا من التوسع على حساب الممتلكات الإسلامية الأمر الذي ترتب عليه نتائج وخيمة على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة .

---

(1) ابن حزم ، نقط العروس ، ص٧٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٧٦ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق ١ ص٣٤٤.

(2) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٥٣ ؛ بيضون ، إبراهيم ، الدولة العربية ، ص٢٩٠-٢٩١.

(3) برشلونة (Barcelona) : تقع على البحر المتوسط في أقصى شرق الأندلس وأكثر سكانها من اليهود ، واستولى عليها العرب عام (٩٥هـ/٧١٣م) إبان غزواتهم الأولى بقيادة موسى بن نصير . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ص ٢٣٣ للزهري ، الجعرافية ، ص٧٧ ؛ سيبولد ، برشلونه ، ص ٥٤٢-٥٤٣.

ب- نفوذ الفقهاء :

٥٨٢٢٠٩

لم تنته متاعب الأمير – الحكم بن هشام – في سبيل تثبيت سلطانه بقضائه على ثورة عميه، إذ كان عليه أن يجابه نفوذ جماعة قوية نجحت في زعزعة أركان دولته وكادت أن تطيح بها ، إنها جماعة الفقهاء المالكية .(1)

فبعد الخط الانفصالي الذي اتخذه أمراء بني أمية لأنفسهم عن بغداد ، اتبعوا سياسة التودد للفقهاء لحاجتهم لسند شرعي ، وذلك لأن الإمارة الأموية اعتبرت إمارة خارجة عن الخلافة الإسلامية العامة. (2)

لكن عبدالرحمن الداخل لم يذهب في ذلك بعيداً ، إذ كان أحرص على سلطانه من أن يسمح لرجال الدين بممارسة أي سلطة فعلية للتدخل في أمور دولته . (3)

لكن نفوذ هذه الجماعة ما لبث أن ازداد زيادة كبيرة أيام خليفته هشام نتيجة التحول المذهبي الذي شهدته الأندلس خلال تلك الفترة . والذي ساهم في خلق طبقة من فقهاء المالكية وزعمائها.(4) استطاعت أن تتخذ حجماً خطيراً في السياسة الداخلية لقرطبة على حساب نفوذ الأمير وأصبح فقهاء المذهب المالكي يشكلون عصب الدولة وقوة يعتمد عليها (5) ، أدى هذا الوضع إلى صراع عنيف بين السلطتين الزمنية والدينية بعد وفاة الأمير هشام (١٨٠هـ/٧٩٦م) إذ كان سلوك الأمير الجديد – الحَكم – مخالفاً لما يريده الفقهاء (6) . ولم تكن طبيعة الأمير المرحة وحبه للحياة واللهو هي السبب المباشر وراء سخطهم عليه ، فهم إن استطاعوا أن يغفروا له ذلك فانهم لم يستطيعوه ان يغفروا استئثاره بالسلطة دونهم ، كان الفقهاء يبحثون عن أقل سبب للارتكاز عليه في مهاجمة الحكم ونشر الدعاية ضده ، فبولغ في وصمه بتلك الأفعال مع أنها اعتبرت عادية في عهد غيره . ولم تسبب قيام أية ثورة (7) .

---

(1) بيضون ، إبراهيم ؛ الدولة العربية ، ص٢٢٩ ؛ الشعراوي ، أحمد ابراهيم ، هياج الربض ،(بحوث ندوة الأندلس)، ص ٤١-٤٢ .

(2) الشعراوي ، ابراهيم ، هياج الربض ،(بحوث ندوة الأندلس)، ص٤٥.

(3) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٥٧ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص٧٢

(4) أشهرهم ، يحيى بن يحيى الليثي ، وطالوت بن عبدالجبار المعافري و عيسى بن دينار . لمزيد من المعلومات ينظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٦٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ .

(5) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٥٨-٥٩ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية ، ص٢٢٩ .

(6) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٦٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ .

(7) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ،(عصر الإمارة) ، ص١٣٥.

وانقلب الفقهاء إلى معارضين أشداء حين قضي على كل آمالهم عندما أبى الحكم أن تكون بأيديهم السيطرة التي أرادوها للتدخل في شؤون الدولة . فأخذوا يلعنونه واتهموه من فوق المنابر بالفسوق والخروج عن أحكام الدين ، وكانت حياة البذخ التي يحياها تسبغ على أقوالهم قوة .(1)

لم تقف تجاوزات الفقهاء عند هذا الحد . بل تآمر نفر منهم على الإطاحة بالحكم (١٨٩هـ/٨٠٥م) (2) وعرضوا الأمر على ابن عم له هو محمد بن القاسم (3) ويبدو أنه لم يكن واثقاً من النجاح فقام بكشف المؤامرة أمام الحكم (4) . الذي أوقع بعدد كبير من المتآمرين تقدره المصادر بسبعين رجلاً .(5)

لم يكن هذا كافياً لإقناع جماعة الفقهاء بالتخلي عن أحلام السلطة ، فعاد يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ/٨٤٨م) (6)

---

(1) المراكشي ، المعجب ، ص ٣٠ ؛ لين بول ، قصة العرب ، ص ٧٢.

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٦٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ص ٢٥٥ ؛ وغير صحيح ما ذكره الكتبي من أنهم خلعوه سنة (١٨٩هـ/٨٠٥م) ثم أعادوه لما تنصل وتاب . فوات الوفيات ، ج١ ص٣٩٤.

(3) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٧١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٢ .

ذكرت بعض المصادر أن الذي عُرض عليه الأمر بدل الحكم هو ابن الشماس من ولد منذر عبدالرحمن بن معاوية ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٦٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ص٢٥٥ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٥٩.

(4) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٨٨ .

(5) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٦٥ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج١ ص ٣٩٤ .

(6) يحيىالليثي هو: بن كثير بن وسلاس المصمودي الليثي ، رحل إلى المشرق ، فسمع من مالك بن أنس وسفيان بن عينيه والليث بن سعد وغيرهم . من أكابر أصحاب مالك وهو أحد رواة الموطأ ، وكان ثقة عاقلاً ، توفي سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٧٩ تر ١٥٥٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٤٥ تر ٩٠٩؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤٤٥ تر ١٤٩٨ ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص٣٠-٣١.

ليأخذ دور الصدارة في قيادة ثورة عارمة (٢٠٢هـ/٨١٨م) (1) في ظاهرها شعبية ولكنها في المضمون ثورة الأرستقراطية المتضاربة مصالحهم مع رجل السلطة القوي (2) ، واجتهد كثيراً في تأليب الشعب ضد الحَكم ، وتشكيكهم في استحقاقه للإمارة وتهوين أمر عزله خصوصاً وأن طبيعة المجتمع الأندلسي آنذاك لم تكن تقبل سلطاناً سياسياً صرفاً شأنهم في ذلك شأن كل داخل في دين جديد . فكانوا أكثر تعصباً من المسلمين أنفسهم .(3)

ورغم شدة هذه الثورة إلا أنها لم تنل من الحكم وذلك لاقتصارها على حي بعينه وعدم شموليتها مما سهل على الأمير اجتثاثها بتخريب الحي وتشريد ساكنيه (4) بالإضافة إلى افتقارها إلى التنظيم ، يتضح هذا من هروب الزعماء وخاصة الفقهاء عند احتدام الصراع متخفين من بطش الأمير . (5)

إلا أن هذه الثورة التي هزت كيان الحَكم جعلته يشعر بضعف الأسس التي يقوم عليها حكمه ، فتبين بوضوح أن ملكه لا يمكن أن يقوم على القوة العسكرية وحدها ، وأنه بحاجة لتأييد رجال الدين ليستعيد أهليته للحكم في نظر رعيته ، الأمر الذي دفعة للعفو عن الفقهاء رغم أنهم كانوا أساس الثورة والعصيان .(6)

أما يحيى الليثي فعلمه فشله هذه المرة أنه يجب أن يعتمد على قوة الأمير وسطوته . خصوصاً وأن الأمير الجديد عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) استوعب الدرس جيداً وترك له تدبير الشؤون الدينية وإدارة القضاء . مع أنه لم يكن له أي عمل رسمي.(7)

---

(1) اصطلح على تسميتها بثورة الربض ، والربض معناها اللغوي الضاحية . والمقصود هنا المنطقة السكنية المستجدة في قرطبة بعد إنشاء القنطرة ،والممتدة إلى ما وراء الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير ، كانت هذه الضاحية مقابلة تماماً للمسجد ولقصر الإمارة ، فجذبت إليها كثيراً من التجار والحرفيين والعمال ، فضلاً عن الفقهاء المالكية الذين وجدوا في هذا الخليط البشري.وكان أغلبه من المولدين مجالاً فسيحاً لممارسة نفوذهم والضغط من خلاله على الأمير . ينظر : العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس . ص ١٣٠ ؛ نوار ، صلاح الدين ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨١ ؛ الشعراوي ، أحمد ابراهيم ، هياج الربض، (بحوث ندوة الأندلس) ، ص٤٣، ٤٤ .

(2) بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية ، ص ٢٣١ .

(3) لين بول ، قصة العرب ، ص ٧١ ؛ الطباع، عبدالله ، القطوف اليانعة ، ص ٨٧.

(4) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص ١٥؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٧٢ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٤٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ١٦ .

(5)المراكشي، المعجب، ص٣١ ؛عنان، دولة الإسلام، ق١ ع١ ص ٢٤٢.

(6) النويري ، نهاية الأرب، ج ٢٣ ص ٣٧٢ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا، ص ٧٥ .

(7) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ،ص٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦ ص ١٤٣؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ج١ص٧٥-٧٦

كما نجم عن الصراع داخل القصر نتائج سياسية بعيدة الغور ، فكثرت الدسائس والمؤامرات والاغتيالات وأصبح الأمراء عرضة لسيطرة زوجاتهم الإسبانيات والصقالبة (1) والوزراء.(2)

ومن أشهر حوادث تدخل النساء في شؤون الحكم ، محاولة طروب (3) حظية عبدالرحمن الأوسط إقناعه نقل ولاية العهد من أكبر أبنائه محمد إلى إبنها عبدالله ، وعندما فشلت – رغم التأثير

---

(1) كلمة صقلبي : اشتقت في الأصل من كلمة (esclave) ومعناها العبد أو الرقيق أو الأسير ، وكان هؤلاء الصقالبة من الرقيق والخصيان الذين يؤتى بهم بالأخص من بلاد الفرنج وحوض الدانوب وبلاد الومبارد ومختلف ثغور البحر المتوسط ، فهم إذن من الجرمان ، وكان يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين ويربون تربية إسلامية ثم يدربون على أعمال البطانة وشؤون القصر ، وقد سما شأنهم فيما بعد وتولوا مناصب الرياسة والقيادة وبلغ عددهم في عهد الحكم زهاء خمسة آلاف ، وكان للحكم فرقة منهم من الحرس الخاص يسميهم العامة "بالخرس" لعجمتهم ، لمزيد من المعلومات ينظر : ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص١٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٩ ؛ دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٣٥ ؛ ليفي بروفنسال ، الصقالبة ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج١٤ ص٢٥٠.

(2) صار التآمر ظاهرة بارزة تُميز أواخر عصر الإمارة ، جعل الدولة تعيش في تمزق دائم لم تنج منه إلا في فترات قليلة مما يفيد أنه كان هناك إنقسام في السلطة . فتميز عهد الأمير محمد بسيطرة وزيره هاشم بن عبدالعزيز الذي وصف بأنه رجل لا يعمل إلا لمصلحته ، ونتج عن سوء سياسته كثرة الاضطرابات في الدولة ، وفي عصر الأمير المنذر بن محمد تولى هاشم الحجابة له ، لكن الأمير انقلب عليه ، وأمر بالقبض عليه وقتله . لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن حيان ، المقتبس (قطعة الأمير محمد)، ص١٥٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص٢٣. أضف إلى ذلك ما حدث من صراع بين كبار موظفي الدولة من مسلمين وأهل الذمة مثل ربيع القومس الذي ظهر نفوذه في عهد الأمير الحكم ، وقومس بن انطونيان الذي ارتفع شأنه في عهد الأمير محمد وما صحب ذلك من تآمر هاشم بن عبدالعزيز عليه ، لمزيد من التفاصيل ينظر : الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ٦١ ؛ الحميدي ، جذورة المقتبس ص٣٢٩ تر ٨٦٤.

(3) طروب : جارية لعبدالرحمن الأوسط ، كلف بها الأمير وحبها حباً ملك عليه نفسه ، بالغ الأمير في إكرامها وإرضائها ، لكنها كانت تهجره وتصده . وروي أن الأمير أغضبها يوماً فهجرته ولزمت مقصورتها ، فأرسل إليها فامتنعت عليه وأغلقت على نفسها باب مجلسها ، فأمر بسد الباب عليها من خارجه بصرر الدراهم ، استرضاءً لها ، فلما فتحت الباب تساقطت عليها الصرر من كل جانب فأخذتها . وكبت على رجله تقبلها . لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ١٧ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٩٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ج١ ص ٣٤٩ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٣ .

الكبير الذي كان لها على الأمير قررت التخلص من زوجها وابنه معاً ، ووجدت في شخصية نصر الصقلبي (1) أكبر معين لها في هذا الأمر (2) ، إذ جمعتهم وحدة المعتقد والكراهية الشديدة تجاه محمد بن الرحمن ، وربما تجاه المسلمين قاطبة .

شرع نصر بتنفيذ خطته للتخلص من الأمير أولاً فطلب من الطبيب الحراني أن يعد له سماً قاتلاً ، وكأن الحراني فهم قصد نصر ، وعليه أن يقرر إما المشاركة في مؤامرة اغتيال الأمير ، أو إغضاب نصر صاحب السطوة والنفوذ القويين . فتظاهر بقبول العرض لكنه في الوقت نفسه دس إحدى نساء الأمير المنافسات لطروب وتدعى "فجر" لتحذيره من الدواء الذي سيُقدم له .(3)

وانقلب الشر على صاحبه ، فامتنع الأمير عن تناول الدواء الذي نصحه به نصر . نتيجة التحذير السابق وأمره أن يتناوله بدلاً منه ، ولم يستطع مخالفة الأمر خوفاً من أن تظهر سوء نواياه، فدفع حياته ثمناً لخيانته .(4)

ساهم الأمير عبدالرحمن الأوسط من جانبه – وإن كان دون قصد – في التشجيع على حدوث مثل هذه المؤامرة ، وذلك بإغداقه الأموال على جاريته طروب المعروفة بجشعها وطمعها (5) ، فهذا المال كان وسيلتها في استمالة غلمان القصر ، كي يساندوها في دسائسها ومؤامراتها مما أدى إلى زيادة متاعب النظام الأموي ، تظهر هذه الحادثة بوضوح مدى الأخطار التي كانت تتقاذف دولة بني أمية في الأندلس من جهة النصارى المقيمين داخل القصر ويطلعون على ثغرات النظام ويحسنون استغلالها لصالح نصارى الشمال . الأمر الذي يسّر عملية الاسترداد بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة .

---

(1) نصر الصقلبي هو : أبو الفتح نصر بن أبي الشمول ، كان أبوه من نصارى قرمونه ، ثم اعتنق الإسلام في أيام الحكم بن هشام ، وكان الحكم قد خصى عدداً من ذوي الجمال من أهل قرطبة ، فكان نصر المذكور من بينهم ، وعلت منزلته عند عبدالرحمن بن الحكم حتى أصبح يتصرف بإسمه في أمور الدولة ، وارتفع نجمه بعد ذلك حينما عهد إليه الأمير بقيادة الجيوش التي أبعدت النورمان عن الأندلس عندما نزلوا بسواحل البلاد سنة (٢٣٠هـ/٨٥٠م) لمزيد من المعلومات ينظر : ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٧٣ ؛ ابن حيان ، المقتبس، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٤٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص ٢١.

(2) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩١؛ .Hole, Andalus Spain under the Muslims, P77

(3) ابن حيان، المقتبس، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط)، ص ١٤٠-١٥١ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ج١ ص ٩٨.

(4) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ ؛ ابن حيان ، (المقتبس ، قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط)، ص ١٥١ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص ٢١ .

(5) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٣ ؛ ابن عذارى ، البيان ج٢ ص ٩٢ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٣٥.

دخل النظام الأموي بعد عصر عبدالرحمن الأوسط (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) منحنى خطيراً من حيث ضعف الحكم المركزي ، وإهدار رسوم الإمارة ، ومن هذه اللحظة سيضطلع فتيان القصر الصقالبة بدور خطير وحاسم في مسألة ولاية العهد .

بداية أخفوا خبر وفاة الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وحرصوا ألا يتسرب الخبر إلى خارج القصر لحين انتهاء المشاورات لاختيار أمير جديد للبلاد (1) ، وبدا واضحاً أن إجماعهم سيكون لصالح عبدالله بن طروب التي نجحت في استمالتهم لكثرة ما أغدقته عليهم من أموال ، وكاد عبدالله أن يصل فعلاً للعرش ، لولا أن صوت المصلحة الذاتية كان أقوى من أي ولاء أو عرفان بفضل ، فتفكير الصقالبة تركز حول ما سيؤول إليه أمرهم على يد أمير لا يتمتع بأدنى درجات العقل والمسؤولية ، ثم كيف سيتلقى الشعب أمر اختيارهم لأمير لم يعرف عنه سوى ضعف الإيمان وسوء الأخلاق ، مما جعلهم يعيدون النظر فيما أجمعوا عليه (2) ، وحتى لا يكونوا تحت رحمة أمير كعبدالله ، وليجنبوا أنفسهم نقمة الشعب وغضبه أجمعوا أمرهم مرة أخرى على مبايعة محمد خلفاً لوالده ضاربين بعرض الحائط كل آمال سيدتهم طروب .(3)

وتبقى المهمة الأصعب اقناعه باجتماع الكلمة عليه ، وسط جو ملبد يسوده الشك وعدم الثقة بكلام فتيان القصر الصقالبة بطانة عبدالله ، إذ تبادر لذهنه أنها مؤامرة دبرها أخوه للتخلص منه ليستأثر بالحكم دونه .(4)

وبعد جهد كبير نجح سعدون – الذي ناب عن فتيان القصر الصقالبة في نقل النبأ إليه– في إقناعه بحسن نواياهم تجاهه ، لم يكن هذا نهاية المطاف ، فبقيت أمامهم الخطوة الأكثر خطورة وأهمية معا ، أعني كيفية دخول القصر دون إثارة الشبهات .(5)

---

(1) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ ؛ ابن حيان ، المقتبس، (قطعة الأمير محمد)، ص١١١ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص٢٨٦ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة)، ص ٢١٢ .

(2) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢؛ ابن حيان ، المقتبس،(قطعة الأمير محمد)، ، ص ١١٢؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ١١٣ .

(3) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ ؛ ابن حيان ، المقتبس، (قطعة الأمير محمد)، ص ١١٢–١١٣ .

(4) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣ ؛ ابن حيان ، المقتبس، (قطعة الأمير محمد)، ص١١٤ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ١١٤ .

(5) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣؛ ابن حيان ، المقتبس ،(قطعة الأمير محمد)، ص١١٥ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ١١٤ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب ،(عصر الإمارة)، ص ٢١٤.

واستحق منه الأمر مجازفة كبيرة حين احتال لدخول القصر متخفياً بثياب ابنته ، مستغلاً انشغال أخيه بالشراب واللهو ، ورتب الأمور في القصر بحيث يستطيع القضاء على أي معارضة يحاول أنصار أخيه القيام بها . (1)

---

(1) ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ، ص ٢٢-٢٣ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص١١٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٨٦.

ج- عناصر السكان

إن المعضلة الرئيسة التي كان على أمراء بني امية أن يذللوها لإرساء دعائم الإمارة بأمان هي اختلاف فئات السكان من الناحية العرقية بصورة أساسية.

فالمجتمع الأندلسي ضم إلى جانب العرب والبربر ، المولدين (1) والنصارى المعاهدين (2) بالإضافة إلى الصقالية واليهود.(3)

وبالإضافة إلى كثرة عناصر السكان - التي لم تكن على انسجام - دخل مع الفاتحين دين جديد أدى إلى زيادة تفكك المجتمع الأندلسي وذلك بسبب الداخلين الجدد إلى هذا الدين والذين لم يستطيعوا التكامل بشكل مناسب مع المسلمين.(4)

إذا نظرنا إلى شبه الجزيرة ككل فإن هذا المزيج من التفرق والتشرذم والعداء العرقي والديني والثقافي يمكن أن يؤدي إلى كارثة على مستوى المجتمعات المحلية ، وكان دخول موجات متلاحقة من أنماط مختلفة من السكان قد أدى إلى احتكاك وفي بعض الأحيان إلى صراع عنيف .(5)

استطاع الأمراء الأمويون القضاء على الثورات التي شملت عصر الإمارة كله من خلال استغلال العداوات المحلية ، والتي لم يرغبوا أو لم يتمكنوا من مواجهتها مباشرة . ومن غير الواضح مدى تغذية الأمويين لهذه العداوات ، كما كانوا يغيرون دعمهم بشكل يلائم مصالحهم .

---

(1) المولدون:هي طبقة كان دمها خليط من دم أهل البلاد الأصليين بدم العرب والبربر الفاتحين ، وكانت تؤلف على عهد أمراء بني أمية الكثرة الغالبة من السكان . ينظر : عبدالبديع ، لطفي ، الإسلام في إسبانيا ، ص٢٤ ؛ شحلان ، أحمد ، مكونات المجتمع الأندلسي ، ص ٢٧١ .

(2) النصارى المعاهدون : (المستعربون) Mozarabos: وهم الاسبان المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية ولكنهم تعربوا بدراسة اللغة العربية وأدابها وثقافتها . ينظر : العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١١ ؛ شحلان ، أحمد ، مكونات المجتمع الأندلسي ، مجلة التاريخ العربي ، ع١ ص٢٧١ .

(3) الحجي ، عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٨٣-٢٨٤ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصاري ، ص ١٧ .

(4) Collins , Roger , Early medieval Spain , p 187

(5) Hole , Andalus : Spain under the Muslims , p 47

وبذلك وصل عبد الرحمن الداخل إلى السلطة بمساعدة اليمنيين ، تلك المساعدة التي أدرك خطرها فيما بعد . إذ أن رغبتهم العنيفة في التحرر من قيود القيسيين الثقيلة والانتقام لهزيمتهم في شقندة (Secundo) (1) وتطلعهم الملح ومنذ البداية لاستعادة السيادة التي فقدوها منذ زمن بعيد مدعاة اهتمامهم بصالحه ، فهم في قرارة أنفسهم يؤثرون أن يكون الحاكم من بينهم لولا شدة غيرتهم من بعضهم البعض . (2)

وبالمقابل كان الحزب القيسي لا يرى الأمور إلى بعين واحدة ، وظل مفهومه للسلطة أسير ذهنية العصبية المغلقة ، ومفهوم كهذا لا يخدم أي فئة ، فكان هدفهم المحافظة على النظام القائم لما يضمنه لهم من استقلالية . لذا عملوا على إثارة يوسف الفهري ضد الأمير الجديد في محاولة يائسة لاستعادة ما فقدوه . (3)

ورغم قلة أعداد العرب بالنسبة إلى باقي السكان ، وانقسامهم على أنفسهم ، إلا أنهم احتلوا مركز الصدارة ، وكانوا يعيشون على المداخيل التي يحصلون عليها من اقطاعاتهم الواسعة ، ويحتكرون الوظائف العليا في الدولة ، (4) بالإضافة إلى صراعات أخرى بين البلديين (5) والشاميين (6) الذين أعطوا إقطاعات جديدة فأدى هذا إلى تميزهم – إلى حد ما – اجتماعياً واقتصادياً . (7)

---

(1) شقندة (Secundo) : وهي قرية على الجهة اليسرى من نهر الوادي الكبير (Guadal guivin) مقابل قرطبة ، وعلى أرضها كانت الواقعة المشهورة بين اليمنيه والقيسية سنة (١٩٠ هـ / ٧٤٧ م) ، فسميت باسم وقعة شقندة . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ص ٣٧٥ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٤٩ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ١٢٩.

(2) الحميدي ، جذورة المقتبس ، ص ١٥ ؛ دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٢٠ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٦٣ .

(3) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨٧ ؛ الدوري ، إبراهيم ، عبد الرحمن الداخل ، ص ١٠٠ ؛ حسين ،حمدي ، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ١٩ .

(4) Hole , Andalus : Spain under the Muslims , p 47

(5) البلديون : هم العناصر العربية التي قادها موسى بن نصير ، أي العرب القدماء ، وأكثرهم يمانية ومدنية (فهريه) . لمزيط من المعلومات ينظر : ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٥٠ ؛ عبدالبديع ، لطفي ، الإسلام في إسبانيا ، ص ١٨.

(6) الشاميون : هم العرب الذين قادهم بلج بن بشر القشيري سنة (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) في الطالعة التي تعرف باسمه . وكان القيسية أظهرهم وإن لم يكونوا أكثرهم . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٣١ ؛ عبدالبديع ، لطفي ، الإسلام في إسبانيا ، ص ١٨ ؛ كحيلة ، عباده ،تاريخ النصارى ، ص ١٨ .

(7) وات ، مونتجمري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ٤٦ .

ولكسر شوكة العرب استعان الأمراء الأمويون بالبربر والصقالية كجنود مرتزقة ، ففي هذه الظروف لا يستطيع الحكام الاعتماد على المصادر العسكرية الداخلية من المواطنين لأن المنافسات والتحالفات بينهم تجعل من الصعب السيطرة عليهم والثقة بهم (1) ، بالإضافة إلى ذلك فإن استيطان العرب وبعض البربر في أوائل العهد الأموي قد قلل من الفائدة العسكرية التي يستطيع الأمراء الاستفادة منها . (2)

رغم نجاح تلك السياسة في تحقيق وحدة الجبهة الداخلية وردع خطر نصارى الشمال،إلا أنه ظهر خطر الاستعانة بهذه العناصر الأجنبية في فترات الضعف ، بعد أن تراخت يد الأمراء المتأخرين في القبض على زمام الأمور وأصبحت تلك العناصر تتحكم في توجيه سياسة الدولة . (3)

أما البربر الذين تحملوا العبء الأكبر في فتح الأندلس ، وخاضوا المعركة الأساسية مع القوط بوادي لكه (Gaudalete) (٩٢ هـ / ٧١٠ م) (4) فكانوا يعاملون على أنهم أدنى منزلة من العرب الذين استأثروا بخيرات البلاد دونهم ، مع ذلك اختار البربر السكن في المناطق الجبلية للتشابه الواقع بينها وبين بلادهم ، كما استبد العرب بأمر الحكم وإدارة البلاد مما جعل النقمة كامنة في صفوفهم . (5)

وشكل وجود البربر في المناطق قليلة الخصوبة ، ثغرة في النظام الأموي ، بسبب نشوب الثورات والفتن بين الطرفين مما أدى في النهاية إلى هجرتهم وإفراغ الشمال من العناصر المسلمة ، حيث أصبح فريسة سهلة للنصارى الذين سارعوا إلى انتهاز الفرصة والانقضاض على البقية منهم . (6)

وعلينا أن نحذر مما يدعيه (Hole) أن البربر كانوا موضع كراهية واحتقار من قبل العرب لسبب بسيط جداً ، هو أن مشاعر الحب والكراهية في المجتمع الأندلسي كانت تحددها المصالح المشتركة . (7)

---

(1) دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٣٥ ؛ أرسلان ، شكيب ، غزوات العرب ، ص ١٣٠ ؛ الشعراوي ، أحمد ، هياج الربض ، (بحوث ندوة الأندلس) ، ص ٤٠ .

(2) دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٣٦ ؛ وات ، مونتغمري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ٤٣ .

(3) عبد الحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٥٩-٦٠ .

(4) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٣٤٦ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٣ .

(5) حسين ، حمدي ، ثورات البربر في الأندلس ، ص ٣ ؛ وات ، مونتغمري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ٤٦ .

(6) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٤٢ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٦ .

(7) Hole , Andalus : Spain under Muslims , p 48 .

ومن المعروف أن العلاقات بين الجماعات العربية نفسها لم تكن على وئام، فكانوا ينجرون للحرب طائعين أو كارهين إما انتقاماً لنوازع شخصية وإما أرضاء لهوى عارض يختلج في نفوسهم. وهم لم يألفوا الاتحاد والعمل جنباً إلى جنب بسبب العداوة المستحكمة بينهم مما حال دون قيام تحالف قوي ضد قرطبة . وبالطبع كانت هذه نقطة ضعف استفاد منها الأمراء الأمويون .(1)

كان الأمراء الأمويون يقومون أحياناً بإتخاذ إجراءات قوية للتخلص من الثوار لإحباط تمردهم ، ومن أكثر الأحداث شهرة يوم الحفرة سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م) . (2)

كما كانت العقوبات تصبح مضرب الأمثال حيث كانت تعلق رؤوس المتمردين على أبواب قرطبة من أجل الاستعراض ، وكان صلب رأس عمر بن حفصون (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) (3) مع تعليق رأس ابنه حول رقبته في غاية الفظاعة . (4)

---

(1) بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية ، ص ١٨٩ .

(2) يوم الحفرة : أعلن أهل طليطلة الثورة أيام الحكم بن هشام ، وكان غالبيتهم من المولدين ، معتمدين على حصانة مدينتهم ، مما اضطر الحكم إلى استعمال سياسة الحيلة والمكر لإخضاعهم ، وذلك أنه عين للمدينة والياً من المولدين هو عمروس بن يوسف ، لتطمئن قلوبهم ، وتظاهر عمروس أمام أهل المدينة بكره بني أمية حتى استمالهم إلية ، ثم بنى داخل المدينة قلعة متظاهراً بان الغرض منها هو أن يقيم فيهما الجند بعيداً عن الأهالي كي لا يقلقوا راحتهم . ثم حدث أن أقام عمروس وليمة في هذه القلعة ، ودعا إليها جميع أعيان البلد ورؤساءهم ثم ضرب أعناقهم جميعاً ، وقد حالت أصوات الطبول دون سماع صراخهم ، وهكذا خضعت المدينة لسلطان الأمير . لمزيد من المعلومات ينظر : النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٦٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج ٢ ص ١٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ١٦٢ ؛ نوار ، صلاح ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٠-١٨١ .

(3) عمر بن حفصون : هو إمام الثوار المولدين ورائد الشعوبيين في عصر الإمارة عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شيتم بن ذبيان بن فرغلوش بن أذفونش ، أي أنه ينحدر من نسل قوطي ، وأول من دخل الإسلام من أسرته كان جعفر والد جد عمر بن حفصون في عهد الأمير الحكم بن هشام ، وكان لحفصون من الأبناء ثلاثة أكبرهم عمر الذي تميز عن أخوته بشراسته وميله إلى العنف وانتهى به الأمر إلى الفرار من الأندلس إلى بلاد المغرب ونزل بمدينة تاهرت ، حيث اشتغل عند خياط من المولدين ، وقد نصحه شيخ أندلسي كان في زيارة لهذا الخياط بأن يعود إلى بلاده ويستخدم السيف بدلاً من الإبرة متنبئاً له ملكاً عظيماً ، فعاد إلى مسقط رأسه وجمع حوله عدداً كبيراً من المولدين ، واستولى على حصن روماني قديم منيع اسمه ببشتر ومن هناك أعلن الثورة على الحكومة الأموية ، وقد تطلب إخمادها استنزاف جهود أربعة أمراء من أمراء الأندلس هم محمد بن عبد الرحمن ، والمنذر بن محمد ، وعبدالله بن محمد ، وعبدالرحمن الناصر . توفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) . لمزيد من المعلومات ينظر : العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١،١٢،١٠٣،١٠٤،١١٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٩١ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، م٤ ص ٣٨ ؛ الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج ١٠ ص ١٠٩-١١٠.

(4) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج١٠ ص ١١١ ؛ Collines , Roger , Early Medival Spain P 189

لكن حب السلطة كان يبتلع الخوف من العقاب ، فهذه الأساليب لم تفلح في تقليص دوامة العنف التي وصلت إلى الذروة في عهد الأمير عبدالله (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) الذي كانت سلطته لا تتعدى قرطبة ، إذ أصبحت الأندلس في هذه الحقبة عبارة عن فسيفساء من الكيانات الانفصالية المتمردة على السلطة الشرعية . في وقت وقفت فيه حكومة قرطبة عاجزة عن رأب الصدع منزلقة إلى هذا الكيان أو ذلك بعد أن وصلت إلى أدنى درجات الضعف والانحلال . (1) وأصبحت تفضل إغماض العين تارة وتستخدم أساليب الاستمالة تارة أخرى بإغداق الأموال أو إقطاع الأراضي خوفاً من لجوء الثوار إلى الاستعانة بنصارى الشمال الذين رحبوا بأي خارج عن حكومة قرطبة ومدوا له يد العون والمساعدة . (2)

تنوعت أسباب وأهداف الثورات فكان بعضها نتيجة التوترات الداخلية بين الفئات المتعادية في المجتمع المحلي ، كما حدث في ثورات اشبيلية حيث كان العداء بين العرب والبربر والمولدين والنصارى سبباً في اضطرابات يمكن أن تتحول إلى ثورة ضد السلطة المركزية . (3)

كانت الثورات المباشرة تهدف إلى الاستقلال الذاتي المحلي ، خاصة في المناطق الحدودية ، حيث كانت قوة الحكام واستقلالهم أكبر ما يمكن وحيث تستطيع المدن المحصنة أن تقاوم انتقام الأمراء ، وكانت طليطلة – والتي لم تنس تاريخها القديم كعاصمة للقوط الغربيين من أكثر المدن تمرداً – بالاضافة إلى النجاح في الحفاظ على حريتها بالرغم من محاولات قمعها (4) ، وكانت ماردة مركزاً آخر للتمرد ، تمتعت بفترة من الاستقلال ، ولم تنته مقاومة هذه المدينة إلا بعد تدمير تحصيناتها (٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م) بناءً على أوامر الأمير محمد . (5)

---

(1) سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٢٤٣ ؛ ابراهيم ، الدولة العربية ، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(2) ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٣٦ ؛ يونتشيش ، ابراهيم ، الانحسار العربي في الأندلس ، (مجلة المؤرخ العربي) ع ٣٤ ص ١٧٦ .

(3) ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٣٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع ١ ق١ ص ٣٢٧ .

(4) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٨٦ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٨ ؛ حسين ، حمدي ، أضواء جديدة ، ص ١ .

(5) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ص ١٠٠ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٢٤٦ .

جعلت طموحات بعض الحكام الذين يحظون بدعم محلي من الصعب السيطرة عليهم من قبل قرطبة ، ففي النصف الثاني من عصر الإمارة كانت حركات التمرد ذات طبيعة عنصرية (شعوبية)، فقد قام المولدون الإسبان يؤازرهم النصارى من أهل الذمة ويدعمهم نصارى الشمال الإسباني والفرنجة بالثورة ضد العرب وتمثل هذا في ثورة مروان الجليقي (1) في ماردة وبطليوس (2) في غرب الأندلس ، وثورة ابن حفصون في ريه (3) في الجنوب وبني قسي (4) في الثغر الأعلى . (5)

وكانت الأندلس تضم أعداداً كبيرة من المولدين الذين لم ينسوا أصولهم الإسبانية القديمة ولم ينصهروا تماماً مع بقية أفراد المجتمع ، ولهذا لم يرضوا رغم إسلامهم موادعة الدولة ، ربما لأنهم لم يلقوا نفس الامتيازات التي كانت للعرب ، وكانوا يجنحون دائماً للثورة على الحكومة المركزية في قرطبة ولاسيما في عهود الضعف ، كما كانوا يتطلعون دائماً إلى الحفاظ على نفوذهم وحقوقهم وامتيازاتهم القديمة ، والعمل على تنميتها ودعمها كلما سنحت لهم الفرصة بذلك . (6)

---

(1) مروان الجليقي : هو عبد الرحمن بن يوسف المعروف بابن الجليقي ، وأسرة مروان الجليقي من أصل غير معروف ، وتتمثل هذه الأسرة في عدة أفراد استأثروا بحكم بطليوس وماردة في الفترة من قيام مؤسسها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس حتى سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من استرجاع هذه المدينة وإسقاط أسرة بني الجليقي .
لمزيد من المعلومات ينظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠١ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٠٢ .

(2) بطليوس (Badajaz) : مدينة كانت قديماً من أعمال ماردة في غرب الأندلس ، كان العرب يطلقون عليها اسم الجوف، ومدينة بطليوس من بناء عبدالرحمن بن مروان الجليقي ، وتقع تقريبا على الحدود الفاصلة بين إسبانيا والبرتغال في الوقت الحاضر . ينظر : الزهري ، كتاب الجعرافية ، ص ٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البدان ، ج ١ ص ٣٥٣ .

(3) ريّه : كورة من كور الأندلس ، في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب ، وهي كثيرة الخيرات ، ولها مدن وحصون ولها من الأقاليم نحو من الثلاثين . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص ٤٥٧ ؛ الحميري ، الروض ، ص ٢٧٩ .

(4) بنو قسي : أسرة قوطية الأصل تنتسب إلى جدها الأعلى قسي كونت الثغر الأعلى في أواخر عصر القوط الغربيين قبل الفتح الإسلامي للأندلس ، وكانوا يسكنون في إقليم أراغون (Aragon) ، فلما تم الفتح لحق قسي بالشام وأسلم على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك لكي يحتفظ في ظل الفاتحين بأملاكه وسلطانه في منطقة ولايته ، وقد تعاقب بنو قسي على رئاسة للثغر الأعلى طوال عصر الإمارة الأموية في الأندلس . لمزيد من المعلومات ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٢ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبد الرحمن الأوسط) ، ص ١٤٣ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

(5) الثغر الأعلى : هو المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرنيه ، وكانت سرقسطة قاعدة هذا الثغر الذي يضم أيضاً مدن وشقه وتطلية ولاردة وطركونة وطرطوشة ، وهو المركز الدفاعي المتقدم في مواجهة إسبانيا المسيحية ، خاصة مملكة نبره .
لمزيد من المعلومات ينظر : ابن سماك العاملي ، الزهرات المنثورة ؛ مجلة المعهد المصري ، م ١ ، ص ٢٩ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٦٣ .

(6) أبو مصطفى ، كمال ، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ٤٦ ، ٤٨ .

ومن أهم الأمثلة على ذلك طموح بني قسي الذين سيطرو على وادي الإيبرو (الثغر الأعلى) خلال ق٣هـ /٩م، وانحدارهم من الكونت كاسيوس أحد النبلاء القوط يثبت مدى عمق جذورهم في أعالي وادي الإيبرو ، (1) واعتبروا أنفسهم من طبقة رفيعة في مجتمع شبة الجزيرة وأدى ذلك إلى تعظيم دورهم كمسلمين. (2)

وكان بني قسي يحاربون نصارى الشمال أحياناً ويتحالفون معهم أحياناً أخرى حسبما تقتضية مصالحهم الشخصية وعندما اتخذوا خطاً انفصالياً عن قرطبة قام الأمراء الأمويون بضربهم بأسرة بني تجيب ذات الأصل العربي وإحلالها مكانهم ، فتمكنوا من الاستيلاء على سرقسطة وفرضوا نفوذهم على منطقة الثغر الأعلى . (3)

وأتاح اضطراب الأوضاع في منطقة الثغر الأعلى والصراع بين زعمائة الفرصة أمام مملكة نبرة للأخذ بزمام المبادرة والإغارة على أراضي المسلمين المتاخمة لهم . (4)

كما ساند نصارى الأندلس نصارى الشمال الإسباني في معركتهم ضد الحكومة الإسلامية بقرطبة بخلقهم المشاكل والصعوبات أمامهم. وتمثلت مقاومتهم في الاشتراك في الحركات المناهضة للدولة مثل مساندتهم للثائرعمر بن حفصون (5) ، أما في العاصمة فلا يمكنهم حمل السلاح فقاموا بحركات الانتحار التي اجتاحت قرطبة زمن عبد الرحمن الأوسط . (6)

واستهجنت الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع أن يقوم النصارى بمثل هذة الحركة لا سيما وأنهم لم يعانوا من اضطهاد ديني أو ظلم اجتماعي أو حيف اقتصادي . بل العكس تماماً فقد جنوا ثروات كبيرة بسيطرتهم على موارد الاقتصاد المختلفة في حين إنشغل العرب بنزاعاتهم القبلية (7) .

---

(1)Collins , Early Medieval Spain , P 190

(2) Collins و Early Medieval Spain . P 190

(3) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٢ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٤١ .

(4) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٨ ، ٣٩ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ، ص ٣٣٧ .

(5) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٣٩٣ ؛ Hole , Andalus , P 50 .

(6) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج ١ ص ٨٥ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ .

(7) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٨٠ ؛ عبد الحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٦٩ .

وشهد عصر عبدالرحمن الأوسط بصفة خاصة ازدهاراً اقتصادياً وتطوراً حضارياً لم تشهده البلاد من قبل (1) ، وبفضل الافتتان بالحضارة الإسلامية اندفع شباب النصارى في حركة استعراب واسعة (2) ولم يتم هذا دون صدامات وردود أفعال دينية وسياسية ، فقد شكي البارو القرطبي(Alvaro de Cordoba) أحد رجال الدين المستعربين من أن النصارى قد هجروا كل ما هو مكتوب باللاتينية وحتى الكتاب المقدس ، فلا تجد من بينهم من يكتب خطاباً بهذة اللغة ، بينما تراهم يقتبسون الشعر العربي للتعبير عن أنفسهم أكثر مما يفعل العرب أنفسهم (3) ، حتى أنه لم يجد من يوظفه في الكنيسة ، (4) ومما زاد في فزع رجال الدين المسيحي أن حركة الاستعراب كانت عادة تسبق التحول للإسلام ، (5) وتصادف أن عاش في ذلك العصر مسيحي اشتهر بتعصبة وحقدة على المسلمين يدعى ايلوخيو(Eulogio) ، وبعد زيارتة لمكتبة لايير(leyre) في نافار (234هـ/ 848 م) (6) أدرك الدور الذي لعبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الشرق فسارع إلى قرع جرس الإنذار .

ولدى عودته إلى قرطبة وعى ايلوخيو الخطر الذي يهدد المسيحية ، وعرف أخيراً أن الإسلام ينتشر على شواطىء الوادي الكبير(Guadalquivir) (7) ، ووقف في وجه التيار العارم على طريقته الخاصة بتمجيد الشهادة عن طريق لعن الرسول صلى الله عليه وسلم (8) وهو ما أكدت عليه السلطات الكنسية في حينها وفي مراحل لاحقة . (9)

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٧ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢٨ .

(2) دوزي ، المسلمين في الأندلس ، ج١ ص ٨٥ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٤١ .

(3) بروفنسال ، ليفي ، حضارة العرب في الأندلس ، ص ٧٢ ؛ غوميز ، مارغريتا ، المستعربون ، نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج١ ص ٢٧٤ .

(4) Hole , Andalus , P 49 .

(5) عبد الحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٧٧ .

(6) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٨٦ ؛ الأمين ، إسماعيل ، العرب لم يغزوا الأندلس ، ص ٣٥٢ .

(7) الأمين ، إسماعيل ، العرب لم يغزوا الأندلس ، ص ٣٥٢-٣٥٣ .

(8) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٠ ؛ Chapman , A history of Spain P 47 .

(9) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ١٠٨ ؛ Chapman , A history of Spain P 47 .

أحدثت دعوتة وباءً انتحارياً واضطربت كل من السلطة الدينية والمدنية ، وتمكن بالفعل من الوصول الى حالة الغليان التي أرادها بنشره أفكار خاطئة بل خرافية عن النبي صلى الله علية وسلم (1) ، أصيبت الفتيات (2) بحمى دعوته التي انتقلت للمولدين ، وما ذلك إلا لإثارة غضب النصارى وتنكيرهم بان تطاول المسيحيين على النبي صلى الله علية وسلم سيؤدي لاصطحابهم إلى القاضي ليحكم عليهم بالموت ، حتى ايلوخيو نفسة أعدم بعد عدة سنوات (3) ، وهذا تماماً ما أراده المنتحرون من بث بذور الكراهية وزيادة الأحقاد ضد المسلمين الذين كانوا في نظر النصارى لا يستحقون أن يكونوا أسياد البلاد لانغماسهم في حياة اللهو والبذخ مخالفين بذلك أبسط تعاليم الإسلام . (4)

وأدرك عدد كبير من رجال الكنيسة أن مستقبل المسيحية في أيبيريا يتعرض للخطر بسبب السياسة الانتحارية التي اعتمدها ايلوخيو ومؤيدوه ، ومنهم من رأى أن السلامة في التعايش المسالم مع السلطة ، بل ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك حين دعوا إلى ضرورة التأقلم مع المرحلة والتعاون المباشر مع المسلمين . (5)

ونقم الفقهاء من جانبهم على السياسة المتسامحة من قبل الدولة تجاة النصارى ، وإسناد مناصب رفيعة لهم ، فبدأوا يألبون العامة على المسيحيين متخذين منهم وسيلة ضغط على الحكومة . (6)

---

(1) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٨٦-٨٧ .

(2) أشهرهن فتاة تدعي فلورا (Flora) مات أبوها المسلم وهي صغيرة وتأثرت بأمها النصرانية فتنصرت ، وذهبت سدى جهود لخيها المسلم في حملها على العدول عن نصرانيتها ، ثم اصطحبها إلى القاضي الذي أشفق عليها ، واكتفى بضربها ، وأعادها مع لخيها إلى دارها ، لكنها هربت إلى لحد معارفها النصارى ، والتقت عنده بايلوخيو الذي أعجب بها وحفزها على الاستشهاد ، فتوجهت إلى كنيسة شويلش لتصلي ، وشاركتها في الصلاة فتاة أخرى من أصل مسلم مثلها تدعى ماريه ، وخرجت الفتاتان من الكنيسة إلى القاضي ، وأقرتا بنصرانيتهما ، وللمرة الثانية أشفق القاضي عليهما ، واكتفى بحبسهما ، وفي السجن تجدد اللقاء بايلوخيو وتجددت دعوته إلى الاستشهاد ، وللمرة الأخيرة استدعى القاضي الفتاتين ، حيث أصرتا على موقفهما ، وفي عام (٢٣٧هـ/٨٥١م) تم اعدامهما ، وألقيت جثتاهما في النهر . لمزيد من المعلومات ينظر : لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٨٣-٨٤ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٧ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(3) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ١٠٣-١٠٦ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٨٢-٩٣ .

(4) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج١ ص ٨٧ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٨٠-٨١ .

(5) سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٤٢ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٧ ؛ الأمين ، اسماعيل ، العرب لم يغزوا الأندلس ، ص ٣٥٧ .

(6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٣١١-٣١٢ .

وقف ملوك الفرنجة والبابوية ونصارى الشمال في خندق واحد ضد المسلمين فالروايات تؤكد قدوم رهبان من إسبانيا النصرانية وكذلك من فرنسا من أشهرهم ادلارد (Odilard) وازوارد (Usuard) عام (244هـ / 858م) لجمع رفات المنتحرون وعرضها في فرنسا وبقية أوروبا لاستثارة الحمية في النفوس . (1)

---

(1) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج1 ص ١٢٢ ؛ لين بول ، قصة العرب ، ص ٩٢ .

د- أثر البيئة الطبيعية في الصراع مع نصارى الشمال :

من العناصر التي بقيت تشكل أهمية تلك المصاعب الناتجة عن الطبيعة الجغرافية في شبه الجزيرة الايبيرية الواقعة في الجنوب الغربي من قارة أوروبا . (1) وهي محاطة تماماً بمياه المتوسط والأطلسي باستثناء شريط في الشمال يبلغ عرضه أقل من ثلاثمئه ميل ، ويتصل بالحدود الجنوبية لفرنسا حيث تقع جبال البرنيه التي جعلت إسبانيا منعزله تماماً عن بقية أوروبا .(2)

إن أكثر مظاهر التضاريس شيوعاً في أيبيريا هي الجبال ، وتنتشر السلاسل الجبلية الضخمة في كل اتجاه ، وتفصل تماماً بين المناطق المتمايزة ، وتتميز جبال إسبانيا بالقسوة والعزلة ، كما أنها شاهقة الارتفاع . (3)

هذا بالإضافة إلى الوديان الطويلة التي توازي الأنهار الكثيرة التي تمتد من الشرق إلى الغرب أو بالعكس ، ويفصل هذه الوديان بعضها عن البعض الآخر سلاسل جبلية تسير في نفس الاتجاه وتقطع الجزيرة بالعرض ، (4) وتتميز كل منطقة من هذه المناطق بخصائص جغرافية ومناخية وثقافية ونفسية وحتى لغوية تختلف عن الآخرى وهذا أعاق تطور مجتمع شبه الجزيرة إلى أمة واحدة . (5)

وتشكل هذه المشاعر المحلية المبالغ فيها أحد مظاهر الضعف الأساسية لأي نظام (6) ، وزاد العرب على تلك المصاعب الطبيعية اختيارهم موقع العاصمة بعيداً إلى الجنوب حيث تتوسط إقليماً خصباً (7) بالإضافة إلى التعقيدات في أسلوب الحكم بالتركيز على القصر ، بالرغم من الفائدة العظيمة لهذا الأسلوب في قرطبة فإنه أدى إلى توترات لا داعي لها بين العاصمة والأقاليم ، ولم يتمكن الأمويون من المحافظة على علاقات قوية مع حكام الأقاليم.

---

(1) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٣٥ ؛ كولان ، ج .س . الأندلس ، ص ٧٤ .

(2) مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية ، ص ٤٨١ ؛ Chapman , A history of Spain , P1 ؛ Crow , Spain the root and the flower , P 2

(3) كولان ، ج . س . الأندلس ، ص ٧٥ ؛ Crow , Spain the root and the flower , op , cit , P 2

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٦٣ .

(5) Crow , spain the root and the flower , op , cit , p 1 .

(6) كحيلة ، عبادة و الخصوصية الأندلسية ، ص ٣٧ .

(7) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٠٤-١٠٥ ؛ كحيلة ، عبادة ، الخصوصية الأندلسية ، ص ٣٧ .

فالتنظيمات القبلية والمركزية توحي بأن السلطة باسم الحاكم قد أنتقلت إلى هؤلاء الذين يمتلكون السلطة المحلية لأنها الطريقة الوحيدة لفرضها . يمكن لهذا الأسلوب أن ينجح إذا توافر التماسك الثقافي الذي يتعزز بتهديد القوى الخارجية ، أما في الأندلس فالأمر على العكس من ذلك ، فإن الوحدة الدينية والجنسية قد حل محلها التشرذم والاختلاف ، وكانت الدولة ترضى بالواقع الذي لم يكن بامكانها تغييره بل ربما هي بسكوتها أضفت عليه طابعاً شرعياً .

واتصفت نشاطات قطاع الطرق بأبعاد انتفاضية عسكرية ، وغالباً ما احتاجت إلى جهود كبيرة للقضاء عليها ، ووفرت الصعوبات الناتجة عن وعورة تضاريس شبه الجزيرة فرصاً ممتازة للثوار الريفيين أو قطاع الطرق لشن حرب عصابات حقيقية ضد الحكومة وممثليها ، وغالباً ما كانت هذه الحروب تهدف إلى تحقيق الثراء الذاتي (1) . ومن الأمثلة على ذلك خلع القبائل البربرية المستقرة في تاكرنا (Takarna) (2) للطاعة عام (١٧٨هـ/ ٧٩٤م) ، حيث عاثت في تلك المنطقة فساداً ، فقتلوا وسلبوا وقطعوا الطريق على السكان وهددوا أمن المنطقة ، إلى أن استطاعات قوات الأمير تخريب منطقتهم وتشتيت شملهم . (3)

---

(1) Collins , Early Medieval Spain , P 187 ; Hole Andalus Spain Under the Muslims , P 47 , 65 .

(2) Collins , Early Medieval Spain , P 192 .

(3) تاكرنا (Takarna) : منطقة جبلية ، وإقليم تاكرنا منضاف إلى أقليم استجه ، ومن مدن تاكرنا مدينة رندة وهي قديمة ولها آثار كثيرة. ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٢٩ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٤٤ ؛ ابن خلدون العبر ، ج٤ ص ١٦٠ . ويسميها ابن خلدون بتاكدنا ؛ حسين ، حمدي ، ثورات البربر في الأندلس ، ص ٢٩-٣٠ .

الفصل الثانـي

نشأة الدويلات النصرانية وتطورها
خلال عصر الإمارة الأموية
(٩٨ - ٣٠٠ هـ/ ٧١٦ -٩١٢م)

لم يكن الشمال الإسباني النصراني كياناً واحداً في عصر إمارة بني أمية ، بل كانت هناك ثلاثة تجمعات نصرانية رئيسة :

- مملكة جليقية (Calicia) واشتوريس (Asturias) ليون (Leon)
- مملكة نبره (نافار Navarra) .
- مملكة قطالونيا (Catalonia) برشلونه (Barcilona)

ولا يمكن التحدث عن العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في الفترة موضوع البحث دون الإلمام بتاريخ نشأة هذه الدويلات وتطورها .

أولاً: مملكة ليون (Leon)

ليس هناك أصل أقل شأناً من أصل مملكة ليون (1) التي استطاعت وبإصرار عجيب أن تفرض وجودها وتخلق واقعاً جديداً على أرض شبه الجزيرة الايبيرية . (2)

وكان فتح المسلمين لشبه الجزيرة سنة (٩٢هـ/٧١٠م) (3) قد أتاح لهم السيطرة التدريجية على سائر أنحائها بإستثناء بعض الأشرطة الضيقة في أقصى الشمال الغربي في المنطقة المسماة جليقية (Galicia) (4) والمتميزة بوعورتها وصعوبة الدخول إليها . (5)

ويعتبر عدم استكمال فتح شبه الجزيرة من أهم العوامل التي أدت إلى فشل المسلمين في مجال علاقاتهم مع نصارى الشمال . (6) إذ سارعت دمشق لاستدعاء موسى بن نصير (٩٥هـ /

---

(1) ليون (Leon) : يرجع تاريخ هذه المدينة إلى أيام الرومان ، تقع في شمالي إسبانيا ، إلى الشمال الشرقي من مدينة سمورة، بالقرب من أحد روافد نهر دويره ، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همه ونفاسه . أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٨٥ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٤ ؛ ينظر خريطة رقم ١٣١ ص ١٥٧ .

(2) دوزي ، المسلمون في الأندلس ،ج٢ ص ١٤ .

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٣ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٠ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص٥.

(4) جليقية (Galicia) : تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا ، ويحدها من جهة الغرب المحيط الأطلسي ، وخليج بسكايه من الشمال ، وتجاورها من جهة الشرق والجنوب حدود بلاد البشكنس الغربية ومدينة ليون ، من أشهر مدن هذه المنطقة اشتوريس (استوريه Asturias) . ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٧١-٧٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٦٩ ؛ حتامله ، محمد عبده ، موسوعة الديار الأندلسية ، ج١ ص ٤٠٢.

(5) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٦٨ ؛ العمايره ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٤٧ .

(6) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٢٧ .

٧١٤م/) لما أتهم به من خلع للطاعة واستبداد بهذا القطر النائي (1) ، رافضة إمهاله بعض الوقت لاستكمال تطهير الشمال الإسباني من الشرائم المتحصنة وراء الجبال . (2)

وشهدت الفترة اللاحقة اضطراباً إدارياً كبيراً في الأندلس بسبب كثرة عدد الولاة مما هيأ الفرصة لنصارى الشمال لإعادة ترتيب صفوفهم . (3)

ولم تجد الفرق المسيحية الفارة أمام جيش الفتح أفضل من جبال اشتوريس (Asturias) المحصنة بشكل طبيعي لتحتمي بها (4) وتقوم من هناك بإعادة تأسيس نفسها وإعداد العدة للوقوف ضد المسلمين من جديد ، فاجتمع بعض النبلاء ورجال الدين وما تبقى من جنود لذريق (5) (Rodrigo) يساندهم السكان المحليون وانتخبوا بلاي (6) (Playo) الذي اتخذ من قرية كانجاس دي اونيس (Canges do Onis) عاصمة له زعيماً لهم (7) ، ويعتقد أنه أقام علاقات سلمية مع المسلمين لفترة وربما دفع لهم الجزية . (8)

---

(1) مجهول ، الامامه ،ج ٢ ص ٦٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٠٧ .

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٢٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٠٧ .

(3) مجهول ، الامامه ،ج ٢ ص ٩٥-٩٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٣ – ١٥ .

(4) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٣٠٨ ؛

Imamuddin, Apolitical History of Muslim Spain, P 217.

(5) لذريق (Rodrigo) : قائد القوات القوطية في المعركة الحاسمة التي حدثت شمال كورة شذونه عند وادي لكه (Guadalete) سنة (٩٢هـ/٧١٠م) حيث حقق المسلمون بقيادة طارق بن زياد نصراً كبيراً أدخل إسبانيا تحت السيطرة الإسلامية . ينظر : ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٣٤٧ ؛ ابن حبيب ، عبدالملك ، كتاب التاريخ ، ص١٢٤ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٨ .

(6) بلاي (Playo) (ت ١٣٣هـ/٧٥٠م) اختلفت المصادر حول أصله ، ولا يُعرف على وجه التحديد إن كان قوطيا أو من سلالة الايبيريين الرومان الذين حكمهم القوط حتى الفتح الإسلامي ، تدّعي بعض الروايات أنه كان إبناً لفافيلا دوق كنتبريه في حين ذهب فريق آخر الى ان بلاي كان حاملاً سيف لذريق وأنه هرب إلى اشتوريس حينما غزا المسلمون البلاد وأقام نفسه أميراً عليها. ينظر: القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج ٥ ص ٢٦٣ ؛ مؤنس ، بلاي وميلاد اشتريس ، ص ٦٢-٦٣ ؛ مؤنس، حسين ، فجر الأندلس، ص ٣١٨ .

(7) ينظر خريطة رقم (٣) ص ١٥٧ ؛ مونتغمري ، وات ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ٦٤ ؛

Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 217 ; chapman, A history of Spain , P 53

(8) Chapman, A hisory of Spain, P 53.

ينطوي إنشاء مملكة اشتوريس (Asturias) في أوائل القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري ، على أسطورة غامضة ، إذ تقدم لنا الروايات النصرانية والإسلامية على السواء تواريخاً متضاربة عن هذه الفترة من المحال الجزم بصحة إحداهما ، ومن الواضح قلة اهتمام المؤرخين المسلمين بما كان يحدث في اشتوريس ، إذ أن الحدث بكامله لم يؤثر عليهم ، لكن العبرة في أمثال هذه الحوادث ليس بالتفاصيل الدقيقة ، بل بالمعنى التاريخي الذي يستتر وراء الأحداث .

وطبقاً للمؤلفات النصرانية التي تبدأ بهروب بلاي (٩٨هـ / ٧١٦م) من قرطبة (Cordoba) (1) حيث كان يحتجز رهينة (2) دخل المسلمون إلى اشتوريس بجيش قوامه ١٨٧٠٠٠ جندي ، وكان بلاي في هذا الوقت مع جنوده في الجبال ، اقترب علقمة قائد المسلمين بجيشه منه ونصب خياماً لا تحصى مقابل كهف كوفادونجا (Covadonga) (3) الذي التجأ اليه الاستوريون . وأرسل المسلمون المطران أباس (Oppas) ليقنع بلايو بالاستسلام (4) للجيش الذي استطاع الانتصار على حكومة القوط وجيشها الضخم قائلاً: هل تطمع بأن تدافع عن نفسك في هذا الكهف ؟ استمع اليّ وتقدم للاستسلام مقابل العديد من المزايا وصداقة المسلمين .

رد بلايو على المطران صارخاً : " المسيح هو أملنا ، من هذا الجبل سوف نثأر لهزيمة القوط، انني واثق من تحقق وعد الرب " . (5)

---

(1) قرطبة (Cordoba) : وهي قاعدة الأندلس ، ومستقر الإمارة والخلافة ودار الملك طيلة حكم الأمويين وموطن الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، تقع على سفح جبل قرطبة الجنوبي (جبل العروس) على منحنى الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير، تغلب عليها النصارى (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) . ينظر : ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٥ ؛ البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٠٠ ؛ عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١٨-١٩ .

(2) كان رهينة عن طاعة أهل بلده اشتوريس من أهل جليقية ، لكنه هرب أيام الحر بن عبدالرحمن الثقفي ثاني ولاة العرب بالأندلس وذلك سنة (٩٨هـ/٧١٦م) . المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٣٥٠.

(3) كوفادونجا (Covadonga) أو كهف سانتاماريا (Cueva Santa Maria) : يصف لنا دوزي هذا الكهف بقوله أنه يقوم على نجد شاهق ، إذ يصعد اليه المرء تسعين خطوة وهو منحوت في صخرة هائلة ويطل على وادٍ سحيق ، ويشقه لخدود تتجمع فيه السيول وتقوم على جانبيه سلسلتان من الصخور شديدتا الانحدار ، قل أن يتمكن الفارس من المرور بينهما الا بشق النفس . دوزي ، المسلمون في الأندلس ،ج ٢ ص ١٤ .

(4) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٠٨ ؛ عبدالحميد ، سعد زغلول ، محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٣٨٤.

(5) Crow , Spain the root and the flower, P 49.

أدرك المسلمون عدم قدرتهم على تحقيق نصر سهل ، فهاجموا بكامل قوتهم ، وتزعم الرواية أن ١٢٥,٠٠٠ من المسلمين ذبحوا في هذه المعركة ، وهي أعداد مبالغ فيها (1) ، كما وقع المطران أوباس في أيدي مواطنيه وعاقبوه على خيانته بالموت . (2)

لكن الحقيقة المؤكدة أن هذا الانتصار الذي تزعم الرواية النصرانية أنه حدث عام (١٠٠هـ/٧١٨م) أدى إلى إنهاء الحكم الإسلامي على هذه المنطقة ، وضمن الإستقلال المستقبلي لاشتوريس . (3)

اعتبرت هذه المعركة البداية الحقيقية لميلاد حركة المقاومة النصرانية في شبه الجزيرة ، وأطلق عليها اسم الاسترداد (La Reconguista) واستمرت مدة ثمانية قرون ، وتحديداً إلى عام (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) وهو تاريخ سقوط غرناطة (4) (Granada) آخر المعاقل الإسلامية بيد الإسبان. (5)

اعتبر البعض أن إطلاق تسمية (La Reconquista) على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بصورة جدية محسوسة بعد زوال خلافة قرطبة في أوائل المائة الخامسة للهجرة لا يخلو من خطأ ، لأن اشتوريس إنما ولدت في ناحية لم يفتحها العرب قط، فميلادها لا يعد بدءاً لحركة الاسترداد وانما يعد ميلاداً لحركة المقاومة للسيادة الإسلامية . (6)

ولكن ألا يعتبر ميلاد حركة المقاومة النصرانية ضد السيادة الإسلامية الخطوة الأولى في عملية الاسترداد ؟! والتي سارت بخطوات ثابتة نحو النصر في الوقت التي تراجعت فيه القوى الإسلامية بإطراد .

---

(1) مونتجومري، ولت، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص٦٤؛ Crow ,Spain the root and the flower, P 49

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٠٨ .

(3) Chapman, A history of Spain, P 54; Imammuddin, A political History of Spain, P 217 ; Collins, Roger, Early medieval Spain P 184 ؛ ١٥٦ ينظر خريطة رقم (٢) ص

(4) غرناطة (Cranada) : والصحيح أن اسمها بالألف في أوله لكن العامة أسقطت الألف في نطقها فاصبحت غرناطة ، وهي مدينة مستديرة من أقدم مدن كورة البيره وكانت تسمى غرناطة اليهود لكثرة اليهود فيها ومعنى اسمها في اللغة القديمة رمانه وهو شعارها التاريخي الذي يوجد على باب قصبة الحمراء الرئيس في شكل ثلاث رمانات . ينظر : الزهري ، كتاب الجعرافية ، ص ٩٤ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٣٨ ؛ عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١٦٠ .

(5) Crow, Spain the root and the flower, P 78.

(6) مؤنس ، حسين، فجر الأندلس ، ص ٣١٠ ؛ مكي ، محمود ، تاريخ الأندلس السياسي، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج١ ص ٦٨ .

قللت الرواية الإسلامية كثيراً من أهمية هذه المعركة ، ولم تخرجها عن كونها تمرد في جليقيه ، حيث بدأ النصارى في المناطق غير المفتوحة بالدفاع عن أنفسهم ، وطردوا من الجبال ، وأخيراً فإن كل ما تبقى لديهم هو الكهف الصخري الذي يعرف لدى المؤرخين باسم صخرة بلاي (Penade Playo) (1) حيث التجأ بلاي مع ثلاثمئة من أتباعه ، واستمر المسلمون بالضغط عليهم دون توقف حتى لم يبق منهم سوى ثلاثين رجلاً وعشر نساء ، وكل ما لديهم العسل يحصلون عليه من شقوق الصخر ، فتركوهم محتقرين شأنهم . (2)

تزامن عهد بلاي مع فترة من النشاطات العسكرية المكثفة من جانب الحكام المسلمين على الممتلكات الإفرنجية ، الذين كانوا يشنون هجمات متتالية على تلك المناطق بحثاً عن الانتصارات العظيمة ، لكنهم تعرضوا هناك للهزيمة ، مما عرض السيطرة الإسلامية في المناطق الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة للاهتزاز ، كما خلقوا لأنفسهم عدواً جديداً بفتحهم لهذه الجبهة (3) ، الأمر الذي رفع من الروح المعنوية للنصارى في الشمال الإسباني .

لم يوجه القادة المسلمون الاهتمام للقضاء على بلاي لاعتقادهم بان ذلك سيؤدي الى ان يموتوا وهم يتعقبوا ثلة من البائسين في الأودية الخطيرة (4) لو فعلوا ذلك لربما كانت إسبانيا على الأقل دولة إسلامية حتى اليوم (5) . إضافة إلى أن العرب لم يكونوا معتادين على المناطق الجبلية القاسية وأن أساليبهم الحربية لم تتكيف مع تلك المناطق . (6)

---

(1) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٣٥٠ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٦٩ .

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٤ ، ابن عذاري ، البيان ،ج ٢ ص ٢٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٣٥٠ ؛ مؤنس ،حسين ، بلاي وميلاد أشتريس ، ص ٦٨ .

تخلط الروايات خلطاً شديداً في بدء ثورة بلاي ، فبعضهم يجعلها في ولاية عنبسه بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ) والبعض الأخر يجعلها في ولاية عقبة بن الحجاج السلولي (١١٧ – ١٢٣هـ) ، وآخرون يجعلونها في ولاية يوسف الفهري (١٢٩-١٣٨هـ) . المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٣٥٠؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٣٢ ؛ العمايره ،محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٥٢ .

(3) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٥٦ ؛ أرسلان، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥ ؛ سالم السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٤ ؛ Crow , Spain the root and the flower, P 80 .

(4) دوزي ، المسلمون في الأندلس ،ج ٢ ص ١٥ .

(5) Crow, Spain the root and the flower, P 80

(6) Collins, Roger, Early Medieval Spain, P 184

استطاعت المملكة الاستورية الصغيرة التي كانت تختبئ وراء الجبال أن تتوسع بواسطة اختلاط العائلة المالكة مع العائلة المالكة (1) من دوقيات كنتبريه في الشرق . (2)

حدث ذلك بعد وفاة بلاي (١٣٣هـ/٧٥٠م) فخلفه ابنه فافيلا (Fafila) (١٣٣-١٣٥هـ/٧٥٠-٧٥٢م) الذي لم يطل حكمه أكثر من عامين بسبب وفاتة على يد دب تعرض له أثناء خروجه للصيد (3) . ولم يترك فافيلا بصماته على التاريخ الإسباني كما لم يترك عقباً ، توافق ذلك مع وفاة بطره (Pedro) أمير كنتبريه مخلفاً ابنه الفونسو(Alfonso) الذي كان متزوجاً من أرمسندا (Ermesinda) ابنة بلاي فأصبح الوريث الشرعي للعرش ، فاختاره النصارى ملكاً عليهم ، وبذلك تم توحيد الامارتين الصغيرتين تحت سلالة استوريه واحدة (4) ، وفي عهد ألفونسو توسعت المناطق المسيحية على حساب الممتلكات الإسلامية ، ولم يحاول العرب الحفاظ على خطوط اتصال ولو بشكل محدود والاستيطان في المناطق الوعرة غير المرغوب فيها (5) إضافة إلى عدم وجود أعداد كافية من الأفراد للانتشار في تلك المناطق (6) وحالما أتيح المجال أمام البربر الذين زرعوا في جليقيه عادوا إلى الشمال الإفريقي إثر اندلاع الحروب الأهلية (7) فضعفت قبضة العرب في وادي (دويره) ، ومنذ عام (١٣١-١٣٦هـ/ ٧٤٨-٧٥٣م) تعاونت الحرب الأهلية مع المجاعة التي أصابت شبه الجزيرة لمدة خمس سنوات متتالية على تحرير جزء كبير من إسبانيا من الحكم الإسلامي ، وحكّم النصارى السيف في رقاب من وجدوه منهم في البقاع التي غادرها المسلمون ، غير أن أمل ألفونسو في امتلاك هذه الأراضي تبدد هباء لقلة ما لديه من العبيد لفلاحة الأرض في إقليم فسيح كهذا. ولقلة

---

(1) Imamuddin, A political History of Spain, P 218 ; Collins,Roger, Early Medieval Spain, P185.

(2) كان هناك تجمع مسيحي في هضاب كنتابريه (Contabria) (نافاروبسكونيه) تحت حكم زعيم يدعى الدوق بتروس أو بطره (Pedro) كونت إمارة صغيرة في الشمال الشرقي في نافار (Navarra) أو بلاد البشكنس (Basques) لكن هذه الإمارة كانت قليلة الخطر لوقوعها في الطرف الغربي في جبال البرنيه (Byrenees) فكانت عرضة لاقتحام الجيوش الإسلامية عند مسيرهم إلى بلاد الفرنجة وعند عودتهم منها . للمزيد : عنان دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٠٧ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٦٩ ؛ الدوري ، إبراهيم ياسر ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٩٤ .

(3) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ص ٢٦٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٣٥١ .

(4) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٧٠-٢٧١ ؛ Imamuddin, A political History of Spain , P 218 ;

(5) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٣٤٤ ؛ Imamuddin, A political History of Spain, P 217

(6) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٥ .

(7) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٤٣-٤٤ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٥ ؛ Imamuddin , A political History of Muslim Spain , P218

توفر المال الذي يلزمه لترميم تلك القلاع والحصون التي عمد المسلمون إلى هدمها أو تخريبها قبل رحيلهم (1) مما أدى إلى تشكيل الحدود من المناطق غير المسكونة (2) لكنها كانت تشكل مناطق وقائية خلفها ملوك اشتوريس بوعي لكي يحموا أراضيهم ضد أي هجوم مفاجىء من قبل القوات الإسلامية . (3)

ولم تشكل هذه المناطق الحدودية خطاً ثابتاً ولم تتجه إلى الجنوب بشكل مباشر ، بل كانت تتقدم عندما يحقق النصارى أي نصر أو يسيطروا على مدينة تسيطر على مدخل وادٍ أو تسيطر على سهل ، وعندما يكون هناك أية أزمة أو حرب أهلية بين المسلمين ، وبالتالي فقد كانت الحركة نحو الجنوب تتقدم وتتراجع ولكن بزخم أكبر من الشمال . (4)

كل ذلك يوحي بأن المسلمين أرادوا التخلي عن هذه المناطق الشمالية عمداً لانشاء منطقة دفاعية حدودية إلى الجنوب ، لأن مشاكلهم كانت أكبر في الجنوب ، كما أن وجودهم في أقصى العالم الإسلامي جعل أفريقية ومنطقة شرق البحر المتوسط تشكل المنطقة الطبيعية لاهتمامهم. (5)

يعتبر ألفونسو المؤسس الحقيقي لمملكة اشتوريس حيث استطاع توحيد النصارى والحفاظ على ما بأيديهم من هجمات المسلمين المتتالية ، وفي حملاته ضد الأراضي الإسلامية قام باستدعاء الآلاف من النصارى الموزاريب (المستعربين) مما جعل الشمال النصراني مأهولاً بالسكان. (6)

بدأت المملكة النصرانية تشهد اضطرابات داخلية منذ عهد فرويلا الأول (Fruela) (١٤١-١٥٨هـ / ٧٥٩-٧٧٥م) بسبب معارضة الأشراف والشعب لحكمه الذي اتسم بالظلم والقسوة فكان مسرفاً في القتل والانتقام حتى أنه قتل أخاه فيمارانو (Vimarano) مما أدى إلى اندلاع الثورات بشكل عنيف . (7)

---

(1) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٦ .

(2) مؤنس ، حسين، فجر الأندلس ، ص ٣٤٨-٣٤٩ ؛ بشتاوي ، عادل سعيد ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٢ ؛ Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 219.

(3) اجيوس ، ديو نيسيوس ، التأثير العربي في أوروبا ، ص ١٢٥ ؛ ينظر خريطة رقم (٦) ص ١٦٠ .

(4) العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية،ص ٥٦؛ Crow, Spain the root and the flower, P 79-80

(5) Collins, Roger, Early Medieval Spain, P 185

(6) Chapman, A history of Spain, P 54 ؛ Imamuddin, A political History of Muslim Spain , P 218.

(7) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٣ ؛ الدوري ، ياسر خضير ، عبدالرحمن الداخل ، ص ٢٠٠ .

لم تقف الأوضاع الداخلية المتردية حائلاً بينه وبين التوغل في الأراضي الإسلامية منتهزاً فرصة انشغال عبدالرحمن الداخل بتوطيد أركان دولته فاستولى على لك (1) وسمورة (2) وسلمنقه وشقوبيه (3) وقشتاله (4) وضمها إلى إمارته وكانت هذه خسارة كبيرة لدولة الداخل (5) ، ومن بين أعمال هذا الملك بناء حصن أفيدو (Oviedo) للدفاع عن ممر بخارس (١٤٠هـ/٧٥٧م) وهو الحصن الذي تحول إلى عاصمة ملوك اشتوريس فيما بعد . (6)

سقط فرويلا قتيلاً عام (١٥٩هـ/٧٧٥م) على أثر ثورة نشبت ضده فانحازت غالبية الشعب إلى اورليوس (اوراي) (7) إذ كان ولي العهد الفونسو بن فرويلا طفلاً ، لكن اورليوس لم يحكم الا في المناطق الشرقية في نافار وبسكونيه حيث كان والده يحكم من قبل ، أما جليقيه فكانت تحت سيطرة سيلو (Silo) أو شيلون زوج (اروزنذا) ابنة الفونسو الأول وبذلك انقسمت المملكة إلى إمارتين ، لكنهما تهادنتا فلم تقع بينهما حروب أو منافسة ، وبوفاة اورليوس عام(١٦٤هـ/٧٨١م) إنفرد سيلو بالحكم (١٦٤-١٦٧هـ/٧٨١-٧٨٤م) على المناطق المسيحية كافة لأن ألفونسو ما زال طفلاً .(8)

---

(1) لك (Lugu) : بالضم وتشديد الكاف ، مدينة بالأندلس من مدن جليقيه تقع على مقربة من شنت ياقب ، وكانت من أوائل المدن التي خرجت من أيدي المسلمين ، استولى عليها النصارى سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) . ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، م٤ ص ١٨٢ ؛ عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٣٦١ .

(2) سموره (Zamora) : مدينة كبيرة من مدن الأندلس ، تقع فوق مرتفع صخري على الضفة اليمنى من نهر دويره (Duero)، سقطت بأيدي النصارى سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) ،ثم فتحها المسلمون ثانية ، وخرجت كذلك من بين أيديهم بعد حين، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م٣ ص ٧٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٢٤؛ عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ٣٥٢ .

(3) شقوبيه (Segovia) : مدينة بالأندلس فتحها المسلمون ولم تبق بأيديهم أكثر من نصف قرن ، ثم استولى عليها النصارى سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) ، وهي من مدن قشتاله ، تقع في سفح وادي الرمله (Cuadarramal) ، بينها وبين طليطله مئة ميل . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٥٠؛ أرسلان ، شكيب، الحلل السندسية ، م١ ج١ ص ٣٦٠ ؛ حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية ، ج١ ص ٥٥٦.

(4) قشتاله (Castile) : تقع في شمالي الأندلس ما بين ليون ونبره ، وقد كانت احدى ولايات مملكة ليون الشرقيه ، وقد كثرت فيها القلاع التي أنشأها القشتاليون لمواجهة هجمات القوات الإسلامية ، إذ كانت هذه القوات تعبر منها لمهاجمة مملكة ليون أو نبره . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٤ص ٥٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٣ .

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج٥ ص ٢٦٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ٢٣٠ .

(6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق ١ ص ٢١٤ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٣.

(7) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٢٣٠ ؛ مؤنس ، حسين، معالم تاريخ الأندلس ، ص ٧٢.

(8) ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٣٨٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤٢ ص ٢٣٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٤ .

انقسمت المملكة من جديد بعد وفاة سيلو (١٦٧هـ/٧٨٤م) إذ كان قد أوصى بالعرش لالفونسو ابن فرويلا على أن تكون زوجته اروزندا وصية عليه الأمر الذي ألّب الأشراف والشعب فرفضوا أن تحكمهم امرأة وطفل فاشتعلت ثورة عارمة في جليقية تمكن مورجات على أثرها من الوصول للحكم ، وهو ابن غير شرعي لالفونسو الأول من جارية عربية . (1)

فر ألفونسو ابن فرويلا بعد اغتصاب عرشه إلى نافار ، حيث عائلة أمه (2) ، وتحالف مع الفرنجة ، ورداً على هذا التحالف استعان مورجات ضده بالمسلمين ، حيث تربطه بهم صلة الدم ، فبغضه رجال الدين وأخذوا يثيرون الشعب ضده ، لكنه نجح في الاستمرار في حكم مملكته حتى وفاته سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م). (3)

اختار النبلاء ورجال الدين برمند (Bermudo) (١٧٣-١٧٥هـ/٧٨٩-٧٩١م) أخ أروليوس خلفاً لمورجات ، رغم أن الفونسو الوريث الشرعي للعرش كان قد وصل سن الرشد ، لكنهم خافوا نقمته عليهم. (4)

لكن برمند كان ملكاً ضعيفاً بلا خبرة تذكر ، أمضى معظم سنوات حياته منعزلاً في دير فنزلت بقوات اشتوريس في عهده خسائر فادحه (5) ، الأمر الذي جعله يخشى على مستقبل بلاده ، فتنازل عن العرش مختاراً لالفونسو بن فرويلا فتولى العرش (١٧٥هـ/٧٩١م) باسم الفونسو الثاني (Alfonos II) (6) ، واشترك في الرأي مع العمايره في أن هذا النمط من السلوك لا نجده بين الأمراء العرب الذين نشبت بينهم صراعات دامية بسبب التنافس على الحكم دون أخذ المصلحة العامة بعين الاعتبار (7) وهو عامل قوة وتفوق يحسب لصالح النصارى .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص٧٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال،ج٢ ص ٣٢٤ ؛ مؤنس ، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(2) نشبت في عهد فرويلا ثورة في نافار ، أخمدها بشده ، واجتاح نافار وأخضعها ، وكان من أسراه في تلك المعركة فتاة حسناء من أسرة كريمة تدعى مونيا تزوجها ورزق منها بولده الفونسو . ينظر : عنان ، دولة الإسلام ، ع١ق١ ص ٢١٤.

(3) ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢ ص ٣٢٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٥ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٢٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٦- ٢١٧ .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٢٠ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٣ .

(6) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٢٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٧ .

(7) العمايرة ، محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٥٨ .

شهدت المملكة النصرانية على يد ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف نهضة شاملة ، فأعاد تنظيم المملكة داخلياً ونقل العاصمة إلى أوفيدو (Oviedo) (1) وشيد فيها القصور والكنائس والحمامات العامة حسب التقاليد الإسلامية (2) ، كما جمع فيها كل ما يُعتقد أن للقديسين علاقة به حتى حملت العاصمة وصف المقدسة (elsanto) (3) ، ولضمان سلطته فقد سعى الفونسو الثاني لموالاة الإمبراطور شارلمان وابنه لويس التقيّ ، الأمر الذي أثار معارضة النبلاء ، فأجبروا الملك على أن يمتنع عن عقد المعاهدات مع الحكام الغرباء لأن هذا يحط من كرامة الشعب الإسباني ، ويجب أن لا يفهم أن هذا بداية يقظة حس وطني ، وإنما هو الموقف التقليدي للنبلاء الذين يخشون من ازدياد قوة الملك . (4)

ترك ألفونسو الثاني بعد موته مملكة تمتد حدودها من خليج بسكايه شمالاً حتى نهر دويره جنوباً ومن ولاية بسكونيه شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً . (5)

وبعد الفونسو الثاني تولى ابنه ردمير الأول مقاليد الحكم (٢٢٧-٢٣٥هـ/ ٨٤٢-٨٥٠م) فعمل على تنظيم شؤون مملكته وتوطيد الأمن فيها ، لكنه لم ينل حظه وإنشغل بقمع ثورة قام بها أحد زعماء الأشراف ويدعى الكونت ريوتيانوس (٢٣٠هـ/٨٤٥م) بهدف الإطاحة بحكمه ، لكنه استطاع التغلب على الثوار وألقى القبض على زعيمهم الذي سُملت عيناه (6) ، ثم انشغل هو والأندلسيون عام (٢٢٩هـ / ٨٤٤م) بخطر الفايكنج إذ هاجموا السواحل والمدن الأندلسية ، إلا أن ردمير استغل تعبئة الناس لصد هجمات الفايكنج وتعمير القلاع الكثيرة على طول الضفة الغربية لنهر دويره (7) حتى صارت المنطقة تعرف بإسم قشتاله لكثرة قلاعها . (8)

توفي ردمير الأول تاركاً الحكم لابنه اردونيو الأول وكانت الإصلاحات الدلخلية على رأس اهتماماته ، فحصّن المدن كمدينة سموره واسترقه ، وبنى القلاع على الحدود المتاخمة لحدود المسلمين مما زاد في قوة ومناعة المملكة النصرانية. (9)

---

(1) Chapman, A history of Spain, P 54
(2) Imammuddin, A political history of Muslim Spain, P 220
(3) بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٤ .
(4) Chapman, A history of Spain, P 54.
(5) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٣٧٥ ؛ العمايره محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٨ .
(6) العمايره ، محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٦٦ .
(7) بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٥ .
(8) Crow, Spain the root and the flower, P 81.
(9) العمايرة محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٦٧ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٥٦ .

نشط ألفونسو الثالث (Alfonso IV) (٢٥١-٢٩٨هـ/٨٦٦-٩١٠م) في استغلال تردي الأوضاع في الجنوب ، واستطاع أن يصل بهجماته على الثغور الإسلامية إلى نهر التاجه وأن يبني مدينة سموره (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ويُسكِنها النصارى لتصبح مركز تهديد لقلب الدولة الإسلامية . (1)

لكن الخطر أتاه من الداخل إذ تعرض عام (٢٩٨هـ/٩١٠م) لثورة من قبل أبنائه (غرسيه واردونيو وفرويلا) وبمساعدة زوجته النافاريه خمينا (Jimenes) وبتحريض من رجال الدين والنبلاء الذين أرادوا إزاحته عن العرش ليستردوا نفوذهم ، إذ كان هذا الملك قوياً مستبداً بسلطانه ويبدو أن ألفونسو الثالث لم يقدر خطر هذه الجماعة كما يجب مما أدى إلى تقسيم المملكة فتنازل عن ولاية العهد لابنه غرسيه وعين اردونيو حاكماً على جليقيه وفرويلا على اشتوريس واكتفى هو بمدينة سموره ، لكنه ما لبث أن توفي في نفس العام (2) ، فتولى الحكم إبنه غرسيه (Garci) (٢٩٨-٣٠١هـ/٩١٠-٩١٣م) ، ويبدو أن أجواء الطمع وعدم الثقة هي السائدة بين أفراد هذه العائلة، فخوفاً من أطماع أخويه قام بنقل العاصمة من مدينة اوفيدو إلى ليون ، وذلك لموقعها المتوسط بين ولايتي جليقيه واشتوريس اللتين كانتا تحت حكم أخويه وأصبحت مملكة اشتوريس تسمى منذ ذلك الوقت بمملكة ليون . (3)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٩٣ ؛ Chapman, A history, P 57

(2) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج٢ ص ٣٢٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٦٣ .

(3) عمايرة ، محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٧١ .

ثانياً– مملكة نبره (نافار Navarra) :

في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، ظهرت مملكة نبره ، وكانت في البداية إمارة ضعيفة الشأن صغيرة المساحة ،(1) وتقع غربي جبال البرنيه ، وإلى الشرق من جبال كنتبريه (Cantaburia) على أبواب فرنسا ، وهي بذلك تفصل بين إمارة برشلونه ومملكة ليون . (2)

كان يسكن نبره شعب شديد المراس ، يعود في أصوله إلى الباسقونغادوس (Vascongados) ومنه اشتق اسمهم الحالي الباسك ، وكان المسلمون يطلقون عليهم البشكنس أو البشكونس (3) . ويزعمون أنهم أقدم أمة في أوروبا ، ولا نزاع في أنهم من بقايا الشعب الأيبيري القديم ، استطاعوا أن يحافظوا على نقاء جنسهم (4) ، فهم من أشد أمم الأرض تمسكاً بقوميتهم واحتفاظاً بخصوصيتهم ، أشداء محبون للحرية ، يأنفون من الظلم (5) ، لهم لغتهم الخاصة المسماة بالبشقية أي لغة الباسك (Basque) .(6)

---

(1) كحيلة ، عباده ، تاريخ النصارى ، ص ٥٧ ؛ ينظر خريطة رقم (٤) ص ١٥٨ .

(2) القلشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ص ٢٧١ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص ٣٦٦ . وقال ياقوت أن نبره من أعمال مارده ؛ حتاملة ، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية ، ج٢ ص ١٠٨٦.

(3) أرسلان ، شكيب، الحلل السندسية ، م١ ج١ ص ٢٢٣ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ٩١ .

(4) أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية، م١ ج١ ص ٢٢٣ .

(5) م . ن ، م١ ج١ ص ٢٢٤ ؛ Chapman, A history of Spain, P 55

يبدو أن الحميري كان له رأي آخر بهم إذ وصفهم في روضه بأنهم فقراء جاعه لصوص ، ص ١٠٤.

(6) الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٠٤ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩١ .

اتخذوا من مدينة بمبلونه (Pamplona) (1) الحصينة عاصمة لهم (2) وقد غزاها المسلمون سنة (١٢١هـ ـ٧٣٨م) في عهد الوالي عقبة بن الحجاج (3)، إلا أن السيطرة على المدينة ومنطقتها لم يطل أمده أذ فقدها المسلمون في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وتحديداً سنة (١٨٣هـ/٧٩٨م). (4)

كان هناك ضغط عسكري على الباسك من الشمال بواسطة الفرنجة ومن الجنوب بواسطة الأمويين لإخضاعهم لكنهم استطاعوا المحافظة على حرية غير منظمة ، والاستقلال عن الفرنجة والأمويين معاً ، ساعدهم على ذلك طبيعة أرضهم الجبلية الوعرة (5) ، كما قام أمراء جليقية بمحاولة ضمها إليهم أكثر من مرة لكنها استقلت بنفسها .(6)

تأسست مملكة نافار في الواقع كرد فعل على رفض الحماية الفرنسية ، فبعد عدة سنوات من الانتصار على جيش شارلمان في ممر رونسفال (7) أرسل الامبراطور لويس الكونت ازولر (إزنار Asnar) والكونت ابل (Eble) لإخضاع ثورة الباسك فاستغاث هؤلاء بجيرانهم المسلمين(8) والظاهر أن الذي اشترك معهم في قتال الفرنجة هم بنو قسي أصحاب تطيلة (Tudela) (9) وأن هذه المساعدة كانت بموافقة حكومة قرطبة . (10)

---

(1) بمبلونه (Pamplona) : تقع شمالي الأندلس ، عند المداخل الغربية من جبال البرنيه وتبعد عن سرقسطه حوالي مئة وخمسة وعشرين ميلاً وتقع بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات . ينظر : أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٨٠-١٨١ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٠٤ ؛ ليفي بروفنسال ، بنبلونه ، دائرة المعارف الإسلامية ، م ٤ص ١٩٢ .

(2) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ٢٧٥ ؛ Imamuddin, A political History of Muslim Spain , P 220.

(3) عقبة بن حجاج السلولي ، ولّي الأندلس في أيام هشام بن عبدالملك من قبيل عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وافريقيه ، كانت مدة ولايته من (١١٦هـ/٧٣٤م) حتى سنة (١٢١هـ/٧٣٨م) أو سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) واستشهد خلف البرنيه .ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٨٧ ، تر (٧٣٩) ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٣٨٠ تر (١٢٥٨).

(4) ليفي ، بروفنسال ، بنبلونه ، دائرة المعارف الإسلامية ، م ٤ص١٩٢ ؛ حتاملة ،محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية ،ج١ ص ٣٢٠.

(5) أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية م١ ج١ ٢٢٤ .

(6) حتامله، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢ ص١٠٨٦؛العمايره،محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٠٣

(7) دوزي ، تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج١ ص ٢٢٩ -٢٣٠ ؛ اينهارد ، سيرة شارلمان ، ص ٧٤ - ٧٩ .

(8) أرسلان شكيب، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٤٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥٣ .

(9) تطيله (Tudela) : تقع على نهر ابره ، وعلى بعد ٧٨كم إلى الشمال الغربي من سرقسطه واشتهرت بالحرث وطيب الزرع . إذ أنها من أكرم الثغور تربة وأهلها لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلاً ولا نهاراً ، انفردوا بذلك بين سائر الأمم . ينظر : ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ص ٣٦٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣٣ ؛ ليفي بروفنسال ، تطيله ، دائرة المعارف الإسلامية ،م ٤ ص ٨٦٢ .

(10) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥٣ .

أحرز المسلمون والباسك نصراً ساحقاً على الفرنج وأسر القائدان أزنار وإبل (1) ولكون الأخير فرنسياً أرسلوه إلى قرطبة حيث اعتقل بعض الوقت (2) ، أما أزنار فعفوا عنه لكونه من اصل إسباني (3) فنصب نفسه أميراً على تلك المنطقة (١٨٠هـ/٧٩٩م) . (4)

انتظمت أمور نبره على يد اينيغواريستا (Inigo Arista) الذي عُرف في الرواية الإسلامية بإسم ونقه بن شانجه ملك البشاكسه ، (5) ويعتبر ونقه مؤسس هذه المملكة في بنبلونه بعد خروجها من أيدي المسلمين سنة (١٨٣هـ / ٧٩٨م) - وإن كانت سنوات حكمه لا تعرف على وجه التحديد- لأنه وضع القواعد الرئيسية لإمارته كي تنمو وتتطور بجانب مملكة جليقيه التي قُضي على كل آمالها بضم نبره (6) بعد أن قوي مركزها بتحالفها مع بني قسي حكام الثغر الأعلى عن طريق المصاهرة ، إذ تذكر المصادر أن موسى بن فرتون بن قسي كان يتولى حكم برجه (Borja) (7) بالثغر الأعلى كان متزوجاً من أميره (بشكنسيه) تدعى أسونا (Assona) وبعد موته تزوجها (Anigo Arista) (8) فكان ثمرة هذا الزواج ثلاثة أبناء كانوا يلقبون بألقاب الإمارة في نبره هم ونقه بن ونقه Inigo Iniguez وغريسه Carcia وفرتون Fortun وكان ثلاثتهم أخوة موسى بن موسى لأمه . (9)

تعتبر أسرة بني ونقه أول الأسر الحاكمة في مملكة نبره Navarra إلا أن المراجع في العصور الوسطى لم تترك لنا عن أصول هذه الأسرة وملوكها إلا أخباراً قليلة متضاربة لا يوثق في صحتها .

---

(1) أرسلان ، شكيب، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٤٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥٣ .

(2) أرسلان ، شكيب، تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٥٣ .

(3) م . ن ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(4) عبدالحليم، رجب ، العلاقات ،ص ٩١ ؛ العمايره ، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسيه ، ص ١٠٤ .

(5) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢ ؛ العمايره ، مراحل سقوط الثغور الأندلسيه ، ص ١٠٤ .

(6) مؤنس ، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٧٣ ؛ عمايره ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ١٠٤ .

(7) برجه Borja: (بضم الباء) بلده من أعمال طرسونه tarazona وهي مركز في سرقسطه . لمزيد من التفاصيل ينظر: العذري ، نصوص عن الأندلس ، ٣٣ ، ٤٤ ، ١٥٥ .

(8) ابن حزم ، جمهرة أنساب ، ٥٠٢ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ،ص ٢٩ .

(9) العذري ، نصوص عن الأندلس ،ص ٢٩-٣٠ ؛ عبدالمنعم ، حمدي ، المغرب والأندلس ، ص ٢١٧ .

لكن الحكم انتقل على ما يبدو إلى ونقه بن ونقه الذي ظل أميراً على بنبلونه حتى توفي (٢٣٧هـ / ٨٥٢م) بعد مرض ألم به (1) ، فولي مكانه ابنه غرسيه (٢٣٧-٢٦٦هـ/٨٥٢-٨٧٩م) الذي صاهره موسى بن موسى إذ زوجه ابنته اوريه (Aurea) . (2)

وفي سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) كان خروج الفايكنج على سواحل الأندلس وغاراتهم بعد ذلك على بنبلونه حيث أسروا غرسيه ابن ونقه ، فافتدى نفسه منهم بعد أن أدى اليهم سبعين ألف دينار ودفع اليهم بعض أبنائه رهائن (3) ، ولم يكد يخرج من أسر الفايكنج حتى قام بمحالفة أردون ملك اشتوريس وجليقيه ، ناقضاً بذلك عهوده مع الدولة الإسلامية ، فوجه إليه الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة (٢٤٦هـ/٨٦٠م) صائفة اقتحمت بلاد بنبلونه وعاثت في بسائطها وأسرت في حصن قشتيل ولداً لغرسيه يدعى فرتون الأنقر ، فحملته عساكر المسلمين إلى قرطبة حيث ظل أسيرا عشرين سنة (4) ثم رد إلى بنبلونه حيث حكم بعد أبيه غرسيه من سنة (٢٦٦-٢٩٣هـ/٨٧٩-٩٠٥م) وكان هذا الأمير قد عمر مائة وستاً وعشرين سنة. (5)

خلفه على العرش أخوه شانجه (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م) ويعتبر حكمه بداية مرحلة تاريخية جديدة وهي مرحلة التحول من إمارة إلى مملكة إذ كان أول من لقب ملكاً من أمراء نبّره، ويرجع اليه الفضل في تثبيت دعائم هذه الإمارة بشكل رسمي ، وقد تولى حكمها ملوك من نسله. (6)

---

(1) ابن حيان ، المقتبس ،(قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط)، ص ١٤٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٥ .

(2) ابن حزم ،جمهرة أنساب العرب ،ص ٥٠٢-٥٠٣ ؛ ابن حيان، المقتبس ،(قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط)، ص ١٤٦ ؛ عبدالمنعم ، حمدي ، المغرب والأندلس ، ص ٢١٧ .

(3) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١٩ ؛ الكبيسي ، خليل ابراهيم ، غزوات النورمانيين على الأندلس ، ص ١٥٢ .

(4) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ص ٣١٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٥١ .

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٦ ؛ العمايره ، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ١٠٥ .

(6) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٧٦ ؛ حتامله، محمد عبده ، موسوعة الديار الأندلسية ، ج٢ ص ١٠٨٨ .

ثالثاً : مملكة برشلونه، قطلونيه (Catalonia)

اختلفت الآراء حول أصل تسمية قطلونية (catalonia) فهناك من يجعلها مشتقة من اسم الكاستلاني (castelloni) إحدى الشعوب القديمه التي سكنت المنطقة ، وهناك من نسبها إلى اسم قبيلة يقال لها قوطي آلاني (cathi Alani). (1)

أما قاعدتها برشلونه (Barcelona) فأغلب الظن أنها أنشأت زمن الزعيم القرطاجي أسد روبال برقه (Asdrubal Berca) (2) وكان يطلق عليها اسم بارسينو (Barcino) (3) ، وتكون بذلك قائمة بذاتها من قديم الدهر ، وكثيراً ماستقلت عن سائر إسبانيا، (4) وتمتد هذه الإمارة من جبال البرنيه في الشمال إلى ولاية بلنسيه في الجنوب ومن بلاد أرغون (5) في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق. (6)

ويطلق على سكانها إسم القطلان أو الكتالان ، ولغتهم تختلف عن اللغة الإسبانية ، وهي قريبة إلى لغة بروفانس لغة جنوب فرنسا . (7)

افتتح المسلمون قطلونية زمن موسى بن نصير، الذي وصل في غزواته إلى جنوب فرنسا ، فغزا برشلونه في الشرق وأربونه (8) في الجوف. (9)

---

(1) أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ ج٢ ص ١٤٤.

(2) م . ن ، م١ ج٢ ص ١٤٤.

(3) سيبولد ، برشلونه ، دائرة المعارف الإسلامية ، م٣ ص ٥٤٢ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ ج٢ ص١٤٤.

(4) أرسلان ، شكيب ، الحلل الأندلسية ، م١ج٢ ص١٤٢ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٢ .

(5) أرغون (Aragon) : تقع في أقصى الشمال من شبه جزيرة أيبيريا ، إذ تتصل حدودها الشمالية بجبال البرنيه من غير فاصل ، وأرغون في الأصل اسم نهر ينحدر من تلك الجبال ويصب في نهر ايبيرو في واديه الأعلى ، ثم سرى الاسم على المناطق الفسيحة التي انضمت إلى هذا الوادي ، وتألفت منها مملكة أرغون . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٧ ؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٨٣ ، ١٢٠.

(6) أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ج٢ ص١٤٢-١٤٣ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص٦٧.

(7) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٨٣ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م ١ج٢ ص١٤٢ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص٩٢ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص٦٧.

(8) أربونه (Narbonne) : هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الفرنجة ، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون . ينظر : ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٨٩-٩٠ ؛ البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٥٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٤.

(9) ابن خلدون ، العبر ، م٤ ص١٥٠ ؛ ينظر خريطة رقم (٥) ص ١٥٩ .

وربما اقتصر عمله في هذه المناطق على غارات سريعة بسبب استدعائه لدمشق .(1)

في الفترات اللاحقة توالت هزائم المسلمين في جنوب فرنسا ، وتوالى سقوط المناطق المفتوحة تباعاً ، فقد دب الوهن في صفوف المسلمين بسبب الثورات الداخلية المستمرة (2)، بالإضافة إلى ما تأصل في طباع أهل الأندلس من حب السيطرة والخروج على السلطة الحاكمة.(3)

قابل الانقسام في الجانب الإسلامي ، توحيد للقوى الفرنجية زمن ببين وشارلمان ، ولم يعد يقتصر دور الفرنجة كالسابق على الدفاع بل تحول لمهاجمة مسلمي الأندلس (4) حتى لم يبق بيد المسلمين من أرض الفرنجة غير أربونة (5) ، فحاول ببين (القصير) استعادتها عام (١٣٣-١٣٤هـ / ٧٥٢م) بمساعدة قائد قوطي من الجنوب الفرنسي يسمى انسماندوس (Ansemundus) فضيّق الحصار عليها لكنه قتل في كمين نصبه له المسلمون .(6)

ونجت المدينة بفضل صمود أهلها ، رغم عدم تلقيها أي تعزيزات لقواتها ، لانشغال قرطبة بالحروب الأهلية والتمكين لعبدالرحمن الداخل من استخلاص الأمر وتأسيس الدولة الأموية(7) كما منحها انشغال الفرنجة بأمورهم الداخلية بعض الوقت ، بالإضافة للمجاعة التي حلت ببلادهم فتعطل وصول الإمدادات للقوات المحاصرة للمدينة .(8)

---

(1) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٤ ؛ طه ، عبدالواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الأندلسي ، ص ١٣٣ ؛ مكي ، محمود ، تاريخ الأندلس السياسي ، (الحضارة العربية الإسلامية) ، ج١ ص ٦٢ .

(2) شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج٤ ص٣١ ؛ عويس ، عبدالحليم ، العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس ، (بحوث ندوة الأندلس) ، ص ٣٢٦.

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٦ ؛ أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٥ .

(4) Collins, Roger, Early medieval Spain, P 180.

(5) أرسلان ، شكيب تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٢.

(6) أرسلان ، شكيب تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٢ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٢٨٨ .

(7) أرسلان ، شكيب تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٣ ؛ م . ن ، ص ٢٨٩ .

(8) أرسلان ، شكيب تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٢ ؛ م . ن ، ص ٢٨٩ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٧١ .

عند استتباب الأمر للداخل ، حاول نجدة هذه المدينة لأهميتها في ردع هجمات الفرنجة ، فجهز جيشاً عام (١٤٠هـ/٧٥٨م) لكن هذا الجيش وقبل وصوله إلى هدفه تعرض لهجوم القبائل النصرانية في شعاب البرنيه ، وعادت فلوله إلى قرطبة ، ويبدو أن الداخل لم يكن مستعداً لتحمل هزيمة أخرى محتملة لذا لم يفكر أبداً في نجدة أربونه مرة أخرى فتركها لمصيرها ، وخاصة أن همومه الداخلية استنفذت جميع قواه .(1)

إزاء هذا الوضع المتردي بدأت حامية المدينة بالضعف والانهيار تدريجياً ، الأمر الذي شجع النصارى داخل المدينة على التآمر ضد المسلمين وفتح أبواب المدينة لقوات الفرنجة عام (١٤١هـ/٧٥٩م) مقابل أن يستقلوا بأمورهم الداخلية . (2) وسقطت بذلك آخر المعاقل الإسلامية في أرض الفرنجة وانهارت معها سيادة الإسلام فيما وراء البرنيه . (3)

وبدأت السياسة الفرنجية تتجه في تفكيرها نحو تأمين حدودها الجنوبية من خطر الغزو الإسلامي ، فعملت على إنشاء ولاية فرنجية في شمال شرق إسبانيا مما يلي جبال البرنيه لتكون سداً بينهم وبين الأندلس الإسلامية ، وسميت بالثغر القوطي أو الثغر الإسباني (4) وغدا هذا الثغر إمارة نصرانية هي إمارة قطلونية .(5)

وكانت تضم في البداية جيرونه (جرندة) التي سقطت بيد الفرنجة عام (١٦٩هـ/٧٨٦م) ، ورأى شارلمان بها قاعدة انطلاق مهمة ، فعمّر فيها كنيسة وعزز دفاعها ، وباءت محاولات استعادتها من قبل المسلمين بالفشل. (6)

---

(1) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٢٩٠ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٧٠ .

(2) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٣ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ١٧٠ .

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص ١٦٧؛ أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١١٣ .

(4) عنان ، دولة الإسلام ، ق١ ع١ ص ١٣٧ .

(5) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٢٩٢ ؛

Chapman, A history of Spain, P5 ; Imamuddin ,A political Hisory of Muslim Spain , P 221.

(6) عنان، دولة الإسلام ، ع١ ق ١ ص ٢٣٢ ؛ بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٦٦ .

كما ضم الثغر القوطي من بلاد القطلان أوزونه وسولسونه وعّين لويس بن شارلمان ملكاً على قطلونية بعدما جرت مراسيم تتويجه في روما سنة (١٦٤هـ/٧٨١م) (1) واتخذ من تولوز عاصمة لملكه . (2)

استغل الفرنجة الظروف المضطربة في الثغر الأعلى وبدأوا بمد نفوذهم إلى الجنوب ، إلا أن إنجازات شارلمان لم تكن سريعة إذ كان عليه أن ينتظر خمس عشرة سنة قبل أن يحقق انتصاراً جديداً وتقتحم قواته برشلونة الساحلية التي طمع من وراء امتلاكها أن تكون معقلاً لحماية أملاكه الجنوبية وحلقة اتصال بحري سهله بينها وبين فرنسا . (3)

كانت برشلونة معقلاً منيعاً وكانت تخرج خيلها المشهورة بخفة حركتها وتغير على بلاد النصارى وتعود محملة بالغنائم ، وكانت من المنعة بحيث أن الفرنجة لبثوا سنتين يحاصرونها ويضيقون عليها ويكتسحون مناطقها . (4)

قسم الفرنجة جيشهم إلى ثلاثة أقسام : قسم بقيادة حاكم جيرونة وكان يهاجم برشلونة ، وقسم يقوده جيوم كونت تلوزه وكان يرابط في جنوبي غربي برشلونه بين لارده وطركونه ليحول دون وصول أي مدد للمدينة المحاصرة (5) ، أما القسم الثالث فكان يقوده لويس وكان في أعالي جبال البرنيه يحمل على المسلمين حيث وجد الفرصة مواتية . (6)

---

(1) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٢ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ،(عصر الإمارة) ص ٩٢ ؛ ينظر خريطة رقم (١) ص ١٥٥ .

(2) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٢٢ .

(3) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٢ .

(4) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٣١.

(5) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٢ ؛ ينظر خريطة رقم (٥) ص ١٥٩ .

(6) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٣٢.

وتقاسم الفرنجة أعمال الحصار فمنهم من كان يضع السلالم ، ومنهم من كان يجلب الميرة والعدة ، ومنهم من أوكل اليه الحفر والنقب إلى غير ذلك . (1)

اشتد الحصار على المدينة بطريقة غير معهودة ، وخرجت قوة من قرطبة لنجدتها ولكنها لم تنجح في الوصول إليها فتحولت إلى بلاد اشتوريس وهزمت أهلها ، وبقي أمير برشلونة سعدون الرعيني منفرداً بقوته ، وشغل الأمير الحكم بفتنة عميه سليمان وعبدالله عن نجدة المدينة التي ضاعت في غمرة الصراع على السلطة (2) . ويبدو أن سعدون قرر طلب المدد بنفسه وغادر برشلونة تحت جنح الظلام متوجهاً إلى قرطبة ، وحاول اختراق خطوط العدو ولكنه ضبط وأسر، ولم تستطع المدينة ثباتاً بعدما هلك الألوف من أهلها وفتحت ثغرات عديدة في أسوارها ، فاضطرت إلى التسليم . (3)

تتهم بعض الروايات سعدون بالتواطيء مع الفرنجة مما أسهم في سقوط المدينة ، وتستند في اتهاماتها إلى أنه قدم عام (١٨١هـ/٧٩٧م) على شارلمان معلناً له الطاعة ، وفي عام (١٨٥هـ/٨٠١م) أراد خلع طاعته ، فأُخذ أسيراً ، وبعد أسره تولى إمارة برشلونة ابن عم له اسمه عامر فدافع عن المدينة باستماتة لمدة سنتين تحمل خلالها مسلمو برشلونة من ضيق الحصار ما يُعجز عن تحمله. (4)

إذا صحت هذه الرواية فإننا يجب أن نفكر ملياً قبل إتهام سعدون بالخيانة ، فاتجهت سياسة الثوار في الثغر الأعلى للحفاظ على الاستقلال ، لذا لم يتورعوا عن اللجوء للفرنجة إذ أحسوا بضغط قرطبة عليهم ، إلا أنهم سرعان ما اعتصموا بحاكم قرطبة إن ظهر لهم طمع الفرنجة ببلدهم.

وتروي سطور رواية أخرى أن سعدون خرج عن سلطان قرطبة ، وأرسل إلى شارلمان عام (١٨١هـ/٧٩٧م) داخلاً في طاعته ، فسير اليه جيشاً بقيادة ابنه لويس فحاصرها واستفتحها ، ثم انصرف عنها ، فاستردها أمير سرقسطة ولكن لويس عاد ثانية عام (١٩١هـ/٨٠٦م) واستولى عليها وعلى أعمالها . (5)

---

(1) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٣٢.

(2) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٦٢-٣٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٦٩ .

(3) عنان ، دولة الإسلام ،ع١ ق ١ ص ٢٣٢ .

(4) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٣٧ .

(5) م . ن ، ص ١٣٧.

إن الارتباك في التواريخ الواردة في هاتين الروايتين يجعلهما موضع شك وارتياب، خاصه أن الرواية الإسلامية والنصرانية على السواء أجمعتا على أن عام(١٨٥هـ/٨٠١م) هو تاريخ سقوط برشلونة وإلى الأبد، دون الحديث عن استرداد وإعادة فتح.(1) كل هذه الاختلافات لا تغير من جوهر الحقيقة شيئاً فالمسلمون خسروا بلاد قطلونية وأصبحت شوكة في ظهر الثغر الإسلامي الأعلى وملجأ للمسيحيين الساخطين القادمين من مناطق الحكم الإسلامي، إذ نقم المسلمون على المسيحيين مساندتهم للفرنجة في حروبهم ضد المسلمين، فهرب عدد منهم إلى الجبال وسكنوا البراري وتحملوا شظف العيش ولم يبالوا بذلك حتى أنهم لبسوا جلود السباع، لكن الجماعة المترفة منهم لم تكن لتتحمل العيش بهذه الطريقة، فلجأت إلى شارلمان الذي وزع عليهم أراضي في سائر أربونة، ولم يفرض عليهم من الضرائب شيئاً إلا الخدمة العسكرية. (2)

ومع زيادة التدهور بالجانب الإسلامي وجدت الحكومة الإسلامية نفسها عام (٢٠١هـ/٨١٦م) مضطرة إلى عقد معاهدة سلام مع بلاط ايكس لاشابل حيث تضمنت اعتراف الحكم الأول رسمياً بسيطرة الفرنجة على برشلونة . (3)

حكم هذا الجزء في البداية عدد من الكونتات المستقلين بعضهم عن بعض ولكنهم كانوا خاضعين لملوك الفرنجة ولم يستمر خضوع أهل قطلونية للفرنجة طويلاً ، إذ بزغت قوة ويفردو كونت برشلونة الذي أعلن استقلاله حوالي (٢٦١هـ/٨٧٤م) شجعه على ذلك بعده عن سلطان مملكة الفرنجة (4) ، ورغم أن كل كونت كان مستقلاً بنفسه الا أن كونتات برشلونة كانوا يعتبرون الأعظم بينهم ، وبسبب الاضطرابات في الأراضي الإسلامية تمكنوا مثل غيرهم من الحكام المسيحيين من تحقيق بعض المكاسب الحدودية . وبالتأكيد أن جميع الأجزاء الشمالية لإسبانيا على إتساعها قد اجتهدت لغاياتها الأنانية الخاصة . حارب المسيحيون المسلمين لكنهم أيضاً حاربوا بعضهم بعضاً . (5) لكن الانهيار السريع للأسرة الحاكمة في فرنسا أدى إلى إيقاف التوسع، ووضع برشلونة وغيرها من المقاطعات في مناطق الحدود موقع الدفاع . (6)

---

(1) ما عدا إشارة وردت في البيان المغرب في حوادث سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م) عن تكليف الأمير محمد موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول إلى برشلونة ، فغدا إليها ، واحتل بها . ابن عذارى ، ج ٢ ص ٩٥.

(2) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٢٢ ؛ Chapman, A history of Spain, P 64

(3) عنان دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص٢٣٨ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانيا ، ص ٢٣٥.

(4) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٢ ؛ Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 222

(5) Chapman, A history of Spain, P 56 ؛Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 222

(6) Collins, Roger, Early Medieval Spain , P 138

١- النظام السياسي:

أ- في جليقية (Calicia) واشتريس (Asturias) (ليون) (Leon)

نشأت هذه المملكة النصرانية مستقلة في ظروفها وخواصها وتميزت بما كان لها من تأثير في الأحداث في صدر التاريخ الأندلسي. (1)

وقد شكلت الامتيازات القانون العام آنذاك ، لذا فانة كان شديد البعد عن التوحيد في الشمال الغربي من إسبانيا (2) فقد اتسم القانون القوطي (Feiero Juzgo) بكونه قانوناً عاماً، لكن غالباً ما أضيفت إليه المنح والهبات التي كان الملك يمنحها للنبلاء ورجال الدين والمدن العامة، والتي كان يمنحها النبلاء ورجال الدين للوحدات الأخرى التابعة لهم ، ومن المهم أيضاً حدوث تعديلات في العادات المحلية والتي كانت تعتبر قانوناً عند غياب قوانين محددة ، فتلك الفترة كان يشوبها عدم الاستقرار . (3)

كانت سلطة الملك كاملة من ناحية نظرية بحيث يمكن أن يطلق عليها إسم سلطة مطلقة، إذ أنه تحمل مسؤولية السلطة التشريعية والقضائية والأدارية في مملكته ، وفي الواقع لم تنتشر السلطة الملكية بشكل متساوٍ في كافة أنحاء المملكة ، فكان الملك يتمتع بسلطة مطلقة في أملاكه وفي المناطق المستردة ، أما في أراضي النبلاء وأراضي الكنيسة فقد كانت هناك قيود هامة على سلطانه بسبب اضطراره للاعتماد على النبلاء والكنيسة في حكم المناطق البعيدة أو تبوّء المناصب الأدارية وحتى القضائية. (4)

وكان حكام المناطق الأدارية من الكونتات يشكلون مصدراً كبيراً من المتاعب بحيث يضطر الملك أحياناً إلى مهادنتهم والنزول عند مطالبهم وبهذه الوسيلة تنتزع منه المناصب والولايات (5)، مثلما حدث في تمرد كونتات قشتالة . (6)

---

(1) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٥٨ .

(2) أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٩ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٨ .

(3) أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ Chapman, A history of Spain, P 63

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٥-٩٦ ؛ Chapman, A history of Spain, P 60-61

(5) أشباح ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٨ .

(6) العمايرة ، محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٩٢

كما اقتضت الصراعات الأهلية أن يقوم الملوك بمنح الامتيازات لمجموعة من النبلاء للحصول على مساندتهم ضد بعضهم بعضاً (1) ، وربما يوافق الملك على الامتناع عن ممارسة امتيازاته وسلطانه ولكن في تلك الحالات تفرض بعض القيود مثل محاكمة جرائم القتل وحق الاستئناف أمام السلطة الملكية ، وعندما يضع النبلاء بعض القوانين لمناطقهم فإنهم يقومون بذلك بموجب إذن خاص من الملك الذي كان يتدخل أحياناً لتعديل تلك القوانين أو سن قوانين غيرها.(2)

ازدادت اللامساواة الاجتماعية في هذه الفترة بسبب تناقص الثروة وتزايد مخاطر الحياة (3) ، واكتسبت طبقة النبلاء العليا امتيازات واسعة وسلطات كبيرة ، وكان يسمح لهم في كثير من الأحيان احتلال أراضٍ لهم وحكم مناطقهم بسلطة شبه مطلقة وترك خدمة ملكهم لمصلحة ملك آخر وعدم دفع الضرائب (4) ، ولكن مكانة النبلاء الاجتماعية تضعضعت من خلال حق الملك في منح ألقاب النبالة ، كما يستطيع الملك أن يحرم النبيل من ألقابه وممتلكاته . (5)

وفي الواقع كان النبلاء الأقل درجة (Infanzones) مجرد وكلاء للنبلاء الأعظم درجة (Seniones) أو للملك ويقدمون الخدمات العسكرية مقابل الحماية ، وأطلق على هذه الحالة من التبعية اسم (Commendation) . (6)

كان النبلاء يتمتعون في أملاكهم بحقوق ذات طبيعة اقتصادية بالإضافة إلى حقوق السلطة، وكانت سلطتهم من ناحية نظرية كما كانت سلطة الملك من ناحية نظرية على كل الأراضي، وكانوا يشكلون الفرق العسكرية حسب إرادتهم ويقاتلون بعضهم البعض وأحياناً ضد الملك وكثيراً ما كانوا يتصارعون حول من يجلس على العرش ، وكان دعمهم وتأييدهم هو الذي يحسم مسألة من يلبس التاج (7) ، كما كان لديهم سلطة قضائية على معظم القضايا التي تحدث في مناطقهم وكانوا يجمعون الضرائب لصالحهم . (8)

---

(1) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٥ ؛ Chapman, A history of Spain, P 61

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٤ ؛ Chapman, A history of Spain, P 62

(3) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٨ .

(4) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠١ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٥٩ .

(5) أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٧ ؛ Chapman, A history of Spain, P 60

(6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠١ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٥٩ .

(7) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٥ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 94

(8) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٦ ؛ Chapman, A history of Spain, P 61

كانت الحماية التي يلتزمون بتقديمها لكل سكان مناطقهم تحدث دون إخلاص كبير بل بالعكس كانوا يقمعون ليس فقط أتباعهم وإنما أتباع غيرهم من السادة وهو أمر كان بمثابة سبب مثمر لحروب خاصة . (1)

كان النبلاء أيضاً من قطاع الطرق يسرقون المسافرين والتجار والحجاج ويساهمون أكثر من غيرهم في الخروج على القانون في ذلك الوقت. (2)

أما الاقطاع الذي هو في جوهره منح أراضٍ مع حقوق السيطرة مقابل الولاء وبعض الخدمات ومن ضمنها الخدمات العسكرية من جانب الممنوح للمانح فلم يظهر على أكمل وجه في شمال غرب إسبانيا . (3)

وضع صغار ملاك الأراضي والعمال الزراعيون والصناع أنفسهم في علاقات من التبعية مع النبلاء والذين اعتبروا الطبقة الوحيدة التي تتمتع بالحرية ، وقدم هؤلاء التابعون المدنيون الانتاج أو الأموال أو الخدمة الشخصية للنبلاء ، استمرت تلك الدرجات المختلفة من الخدم بالوجود بحيث تراوحت بين أقنان الأرض المرتبطين بقطعة أرض ويتمتعون بجزء من إنتاجهم وبين الأفراد الأرقاء . (4)

كما كان هناك عدد من الارقاء المسلمين في إسبانيا النصرانية وذلك أن جميع الأسرى في المعارك المستمرة ضد المسلمين كان يحكم عليهم بالرق ويكلفون بأشق الأعمال ، فكانوا يستخدمون في تعمير الأراضي المستردة تحت إشراف الرهبان (5) ، وكانوا يمنحون الحرية أحياناً ولكن بشرط إعتناقهم للنصرانية . (6)

إحتل الرهبان والمطارنة مكانة تشبه مكانة النبلاء الكبار ، فقد حصلت الكنيسة على الأراضي من خلال هبات الأفراد والملوك وحصلت على نفس الحقوق والواجبات كما هو الحال لدى النبلاء ، لذلك فقد أنشأ كبار رجال الكنيسة الجيوش بحيث قاموا أحياناً بقيادتها بأنفسهم. (7)

---

(1) Chapman, A history of Spain, P 61

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٥ .

(3) أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٨ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ص ٥٩ .

(4) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٢ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٦٠ .

(5) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٥٧ -١٥٨ ، تر ٣٣١ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٦٩ .

(6) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ؛ أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٢٨ .

(7) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٥ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٦٠ .

ظهر عنصر هام في هذه الفترة أدى إلى تقييد السلطة الاقطاعية بشكل كبير وكان عوناً كبيراً للملك في خلق توازن سياسي بين سلطته وبين ازدياد نفوذ طبقة النبلاء ، كان ذلك ظهور المدن العامة التي تأسست على أراضٍ استردها الملك ، وكانت عادة تقع في المناطق الحدودية المعرضة لهجمات المسلمين ، لذلك منحت امتيازات خاصة لتشجيع الناس على الاستيطان فيها ، وأي شخص يستطيع الوصول إليها يعتبر حراً حتى لو كان قبل ذلك من الرقيق (1) ، ولكن لم يتمتع كل المواطنين بالمساواة ، فقد كانت هناك درجات مختلفة حتى لو كان الجميع أحراراً . (2)

تقدمت طبقات الخدم بنفس الدرجة تقريباً التي تراجع فيها الرجال الأحرار، وأصبح العديد منهم يشكلون الطبقة الوسطى التي تمتعت ببعض الحقوق ، مثل حق الملكية وتغيير السكن بحرية ضمن نفس المنطقة. (3)

كما كانت هذه المدن معفاة من الضرائب على الغالب ، كما سحبت من سلطة الكونتات القضائية ومنحت الكثير من السلطة السياسية ، كل مدينة كانت تتلقى ميثاقها الخاص بناء على منحة خاصة، وبالتالي فقد كان هناك الكثير من الاختلافات في شروط المواثيق المختلفة ، بالرغم من أن بعضها أصبح موضع تقليد للمواثيق التالية له . (4)

كانت حكومة المدن تقع بين يدي تجمع من المواطنين حيث كانت تسن القوانين المحلية، وتنتخب القضاة والموظفين الاداريين ، هذه الحقوق بالإضافة إلى سلسلة طويلة من الاعفاءات جعلت هذه المدن وحدات سياسية حقيقية مستقلة عن الجميع باستثناء الملك . (5)

وتوسعت المدن إلى خارج أسوارها لتضم المناطق الريفية المجاورة لها أيضاً ، مما اضطر النبلاء ورجال الدين إلى تشكيل مستوطنات لاجتذاب الناس للسكن في مناطقهم أو تجنب تمرد أتباعهم الا أن طرق النبلاء لم تحقق حقوقاً مساوية لتلك الحقوق في المدن العامة. (6)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٦ ؛ Chapman, A history of Spain, P 62

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ، ص ٢١٨ ؛ Chapman, A history of Spain, P 62

(3) أشباخ ، يوسف ، تاريخ الأندلس ، ص ١٦٢ ؛ Chapman, A history of Spain, P 62

(4) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٦٢ ؛ Chapman, A history of Spain, P 62

(5) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٦-٩٧

(6) Chapman, A history of Spain, P 62-63.

ب- في إمارة نبرة (Navarra) وقطلونية (Catalonia) :

لم يختلف التنظيم الاجتماعي في شمال الوسط والشمال الشرقي من إسبانيا عنه في الشمال الغربي ، باستثناء تأثر نبرة وقطلونية بشكل كبير بالتأثير الفرنسي . (1)

فقد أدى الفتح الإسلامي إلى تهجير سكان قطلونية عبر جبال البرنيه مما أدى إلى خلو معظم المناطق لمدة قرنين من الزمن ، وبحلول سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٧م) تم استعادة جيرونه ، وبحلول سنة (١٨٥هـ/٨٠١م) تم استعادة برشلونة ، وحددت هاتين السنتين بداية إعادة التنظيم الاجتماعي والسياسي فيما أصبح يعرف بقطلونية (2) ، ووزعت الأراضي على الفرنجة وعلى عدد من القطلونيين الذين ظلوا في تلك المنطقة تحت الحكم الإسلامي أو الذين جاؤوا بعد التحرير ومنحت هذه المناطق التحرر من الالتزام باستثناء الخدمة العسكرية . (3)

كان أهم مُلاك الأراضي هم الكونتات بالإضافة إلى عدد من الملاك خارج نطاق سيطرتهم القضائية ، وبمرور الزمن تحول هؤلاء إلى إقطاعيين تابعين للكونتات وكان هؤلاء الكونتات من الذين يعينهم الملك الفرنسي ثم أصبحوا فيما بعد عن طريق الثورات وأخيراً أصبحوا مستقلين .(4)

كما حصلت الكنيسة أيضاً على مناطق شاسعة في قطلونية ، ومنحت حق الحصانة من الالتزامات وتمتعت بسيطرة مطلقة على أراضيها . (5)

مما سبق نرى أن الاقطاع الفرنسي تجدد في قطلونية حيث كان النبلاء يتمتعون بسيطرة مطلقة على أراضيهم وبحرية أكبر من سلطة الملك كما كان عليه الحال في شمال غرب إسبانيا، حيث ظهرت أهمية كونتات برشلونة . (6)

---

(1) Chapman, A history of Spain, P 64.

(2) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٦٨ ، ١١٣ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٢٩٢ .

(3) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٢٢ ؛ Chapman, A history of Spain, P 64

(4) Chapman, A history of Spain, P 64 ; Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 222.

(5) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٥

(6) Chapman, A history of Spain, P 65 ; Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 222.

كان القانون القوطي (Feiero Juzgo) هو القانون العام المطبق في قطلونية ، وبدأت العديد من الاستثناءات بالظهور كما هو الحال في الشمال الغربي ، إلا أن تطور المدن الحرة لم يكن في تلك الدرجة في نافار . (1)

كانت إدارة القضاء تعود إلى الملك ، ولكن من ناحية أخرى فإن الملك لم يستطع عقد المحاكم أو شن الحروب أو إبرام السلام أو عقد هدن بدون التشاور مع نبلائه ، فقد كان خاضعاً في كل حالة إلى القوانين التي تؤكد امتيازاتهم بالإضافة إلى ذلك فقد كان يحصل على عرشه بالانتخاب، رغم أن حق الاختيار كان مقتصراً على أفراد عائلة واحدة . (2)

لم يؤد الاقطاع إلى زعزعة سلطة الملك في شمال وسط وشمال شرق إسبانيا فقط، ولكنه أيضاً كان يميل إلى إعاقة تطور طبقات العبيد ، حيث تأخر التحرر في هذه المناطق عن أجزاء إسبانيا الأخرى . (3)

وإذا كانت نقطة الضعف في النظام السياسي للممالك النصرانية – والتي استفاد منها المسلمون لتجديد غزواتهم وتوسعهم–هي الصراع على العرش بين أفراد الأسرة المالكة–خاصة في ليون – واستعانتهم تارة بالمسلمين وأخرى بالفرنجة – بالإضافة – إلى تحديات النبلاء إلا أن ذلك لم يؤد إلى إنهيار هذه الممالك، بل على العكس إستغل الحكام النصارى الفتن والصراعات، ووجهوا الطاقات لمواجهة العدو المشترك ، فكان هذا سراً من أسرار نجاحهم في معركتهم ضد قرطبة. (4)

وعلينا أن نتذكر أن مشاكل المسلمين في الجنوب كانت أكثر تعقيداً ، فالممالك النصرانية لم تعرف ذلك النزاع القبلي الذي فرق الأندلس الإسلامية ، ولا عدم التجانس في فئات السكان .

---

(1) Chapman, A history of Spain, P 65.

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق٢ ص ٦٠٣ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ٩٤ ، ٩٧ ؛ Crow, Spain, P 94

(3) Chapman, A history of Spain, P 65.

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات، ص ٩٧

٢- العامل الديني وأثره في العلاقات مع مسلمي الأندلس :

لم يكن الصراع بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في البداية دينياً بشكل رئيسي ، فلم يصر الفاتحون على تحول الشعوب الإسبانية عن دينها على الرغم من وجود استثناءات لهذه القاعدة ، فقد كانوا يفضلون عادة إعطاءهم خيار تقبل الدين الإسلامي أو دفع الجزية (1) ، بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على المسلمين والمسيحيين سواء بسواء . (2)

وقد عارض كثير من العرب تحول المسيحيين للاسلام ، حيث أن بقاء المسيحيين على دينهم يعني عبئاً مادياً أخف على المسلمين ، وحيث إن الفاتحين أقل عدداً فقد وجدوا أن من الحكمة أن يمنحوا الشعوب الإسبانية حق الاحتفاظ بدينها . (3)

احترم المسلمون دين وعادات الشعوب التي فتحت بلادها ، فإن حرب مملكة اشتوريس المسيحية ضدهم لم يكن لها في البداية أي طابع ديني أو عرقي ، لقد كانت حرب النبلاء ورجال الدين لاستعادة ممتلكاتهم من الأراضي وحرب الطبقة الحاكمة لاستعادة سلطتها الملكية على شبه الجزيرة . (4)

لقد علّم المسلمون على غير وعي مسيحيو إسبانيا كيف يستطيعون الانتصار عليهم ، وبينوا لهم مدى أهمية الوحدة نفسها ، وكيفية تحقيق تلك الوحدة من خلال راية الدين، إذ تشكل العرب أنفسهم من مجموعات شتى من القبائل وحدها الإسلام في القرن السابع الميلادي ، ومزجوا بعد ذلك وبنجاح بين الدين والحرب وأسسوا امبراطورية هائلة ، استفاد المسيحيون من ذلك ودمجوا بين القومية والدين وأدى ذلك إلى ظهور الدولة الكنسية ، وبمعنى آخر أصبح الدين سلاحاً بل أقوى الأسلحة في ملحمة الصراع بين الثقافتين . (5)

اتبعت الممالك المسيحية سياسة المذهب الديني الواحد باعتبارها هي الأخرى ثغراً للمسيحية في هذه المنطقة ، فاقتصرت على المذهب الكاثوليكي ، وتعصبت له حتى ضرب بها المثل فقيل إنها أكثر تعصباً للبابوية الكاثوليكية من البابا نفسه (Mas Popistaque el Papa). (6)

---

(1) Imamuddin. A political History of Muslim Spain, P 222.
(2) Chapman, A history of Spain, P 40 .
(3) Chapman, A history of Spain, P 41 ; Hole, Andalus, P 47 .
(4) Chapman, A history of Spain, P 54 ; Imamuddin, A political History of Muslim Spain, P 222.
(5) Crow , Spain the root and the flower, P 82
(6) العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢

وجدت الكاثوليكية الإسبانية في القديس جيمس (يعقوب) رداً على الإيمان العدواني للمسلمين، كما كان لها مخرجاً للتخلص من خطر انقسام مذهبي قد بدأت ظواهره تظهر بالأفق عندما بدأت تتسرب إلى اشتوريس أفكار مطران طليطلة (Eil pandus) (١٦٤هـ/٧٨٠م) التي تنادي أن المسيح هو ابن الله ، وهو ما يناقض العقيدة الكاثوليكية التي تؤمن بعقيدة الثالوث المقدس وأن المسيح هو الله . (1)

وكان هذا الرمز اختراعاً إسبانيا خالصاً ، فهو لم يوجد في دولة كاثوليكية أخرى في العالم، ولم يقدم التاريخ أي دليل لدعم الأحداث الإعجازية والمعجزات التي أدت إلى ظهور رمز القديس جيمس، ولكن في هذه الحالة فإن الدليل التاريخي غير مهم ، فالمهم أن القصة لاقت قبولاً وإيماناً ، وهذا الايمان كان شديد القوة إلى درجة دفع الرجال للقيام بأعمال غير معقولة ، وإذا قلنا أن الأساطير تدفع الناس بشكل أشد من الأحداث الحقيقية فإن تلك القصة من هذا النوع . وكان هذا الرمز الذي غذي بعناية وآمنوا به بشغف هو الذي جعل التحرير أمراً ممكناً . (2)

وتقول الاسطورة : جاء القديس جيمس الأعظم بن زبدي أحد الحواريين الاثني عشر إلى إسبانيا للوعظ لمدة ست سنوات ، بعد ذلك عاد إلى القدس حيث قام الملك هيرود (Herud) بقطع رأسه ، فقام أتباعه بتحنيط جسده ونقله على متن سفينة إلى إسبانيا ونزلوا في الميناء الروماني القديم ايريا فلافيا (Ira Flavia) على ساحل جليقية وتابعوا سيرهم إلى داخل البلاد إلى أن وصلوا إلى موقع المدينة الحالية سانتياغو دي كومبو ستيلا (Santiago de compostela) حيث قاموا بدفن الجثة ، وأصبح القبر لعدة سنوات محجاً ، ولكن بعد اضطهاد الرومان للمسيحيين الإسبان أهمل هذا المكان وطواه النسيان لمدة ستة قرون . (3)

تقول الحكاية بأنه في أواخر القرن ٢هـ/٨م وتحديداً سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣م) رأى أحد النساك الذي كان يعيش في المنطقة وعلى مدى عدة ليال متعاقبة نجماً لامعاً يشع على شجرة بلوط ضخمة كانت وحيدة على إحدى التلال ، رافقت هذه الرؤيا أصوات موسيقية سماوية ، تم إبلاغ المطران المحلي بذلك حيث ذهب بصحبة عدد من الكهنة إلى الموقع ليفحص الأمر حيث وجدوا مذبحاً وقبوراً لثلاث أشخاص وكان أحدهم مقطوع الرأس ، ويذكر النص المنحوت بأن هذا الموقع هو مدفن القديس جيمس . (4)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ١٠٧.

(2) Crow, Spain the root and the flower, P 82

(3) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٤٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٧ .

(4) عنان ، دولة الإسلام، ع١ق١ ص ٢١٧ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ١٢٠ .

وعندما سمع الملك ألفونسو الثاني (الطاهر) بالأخبار هرع إلى المكان بصحبة العديد من كبار رجال البلاط وفحص القبور واحتفل بالاكتشاف المعجزة وأنشأ كنيسة في الموقع ، ابتهج البابا ليو الثالث بالأخبار وأذاعها على العالم المسيحي ونشأت مدينة سانتياغو حول الكنيسة واعتبرت ثالث أعظم مدينة مقدسة في العصور الوسطى بعد روما والقدس . (1)

لم يكن مؤكداً أي العظام من الهياكل العظمية الثلاث تعود إلى القديس جيمس لذلك فقد خلطت الهياكل الثلاث معاً ووضعت في صندوق واحد ثم نقلت إلى جرة فضية لا تزال موجودة حتى الآن. (2)

أعطت الأحداث رمز القديس جيمس شكله الدراماتيكي النهائي وأهمها معركة كلافيجو الأسطورية فيما بعد ، فبعد عدة سنوات من الهدنة بين النصارى والمسلمين طالب المسلمون بجزية مقدارها مئة عذراء ، رفض الملك راميرو الأول (٢٢٧-٢٣٥هـ/٨٤٢-٨٥٠م) ملك جليقية الموافقة على ذلك الطلب بناء على إصرار إحدى الفتيات ، وجاء المسلمون ليحصلوا على الجزية بالقوة ، ويفترض أن الجيشين قد تقابلا في كلافيجو (٢٣٠هـ/٨٤٤م) وخلال اليوم الأول من المعركة تعرضت القوات المسيحية لهزيمة ساحقة في تلك الليلة قام راميرو بتفقد جنوده الجاليشيين والليونيين المرهقين ، وفكر في المصير الذي ينتظرهم في اليوم التالي ، وفي الصباح جمع جنوده وأعلن بصوت طنان بأن القديس جيمس قد ظهر له في المنام ووعده بالنصر ، وقال بأن القديس كان يركب عربة بيضاء ويحمل راية بيضاء تحمل صليباً أحمر ، وأعلن أن الدفاع عن الايمان في إسبانيا من مسؤوليته وأنه سوف يكون بالمعركة ليقود الإسبان ، حتى أنه أخبر راميرو كيف يوزع جنوده في أفضل المواقع . (3)

وعندما ابتدأت المعركة ألقى المسيحيون بأنفسهم على المسلمين وهم يصرخون سانتياغو جاء لينقذ إسبانيا ، وهاجموا بعنف لدرجة أن المسلمين هربوا من ساحة المعركة تاركين المكان مليئاً بجثث قتلاهم ، وحصل الملك راميرو على نصر معجزة ، ومنذ ذلك الحين اعتبر سانتياغو (ذابح المسلمين) حامياً لإسبانيا والحامي الخاص للجنود المسيحيين في عملية التحرير، وأدى الايمان به إلى تحويل مجرى العديد من المعارك لصالح المسيحيين وأعطى الكاثوليكية الإسبانية في العصور الوسطى طابعاً خاصاً. (4)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ١٢٠ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 83

(2) Crow, Spain the root and the flower, P 83.

(3) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص 122 ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 84

(4) Crow, Spain the root and the flower, P 84

بعد معركة كلافيجو بدأ الحجاج يؤمون الضريح المشهور بأعداد متزايدة ، وبدأت الأديرة والمستشفيات بالظهور ، واعتبرت الكنيسة الأصلية التي بناها الفونسو الطاهر بناية لا تليق بهذا الضريح الشهير ، ولذلك وفي حوالي (٢٨٨هـ/٩٠٠م) في عهد الفونسو الثالث (٢٥١-٢٩٥هـ / ٨٦٦-٩١٠م) هدمت وبنيت مكانها كنيسة أعظم جداً منها . (1)

ومن الجدير ذكره أنّ الأعداد الكبيرة من الحجاج إلى إسبانيا ساعدت في جذب الانتباه نحو حروب المسلمين ، وجلبت المساعدات المالية والبشرية لصالح القضية الإسبانية . (2)

---

(1) Imamuddin, A political , P 220 ; Crow, Spain the root and the flower, P 84.

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٨ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 86

العامل الجغرافي والبشري وأثره في العلاقات مع مسلمي الأندلس :

الأرض تقاتل وتدافع عن أهلها ، ولعل هذه العبارة لم تتجسد في بقعة من العالم مثلما تجسدت على أرض إسبانيا الشمالية ، تلك الأرض التي لم يستطع المسلمون دخولها جميعاً ، بل إن هناك مناطق لم يدخلوها أصلاً . (1)

فطبيعة الشمال الإسباني الوعرة القاسية كانت السبب الرئيسي وراء امتناع جنود موسى ابن نصير عن مواصلة الفتح ، واقتحام مفاوز جليقية ، طالبين منه الرجوع بهم وعدم المغامرة في هذه الأرض الموحشة (2) . كما أن وعورة الجبال وضيق المسالك وقفت وراء تكبد المسلمين لخسائر فادحة في كوفادونجا . (3)

لا تفصل جبال البرنيه فرنسا عن إسبانيا فقط ، ولكنها تستمر باتجاه الغرب تحت اسم مرتفعات كنتبريه واشتريس على امتداد الساحل الشمالي لإسبانيا تاركة مساحة قليلة من الأراضي المنخفضة (سهول) على امتداد خليج بسكاي حتى تصل إلى المحيط الأطلسي . (4)

وينبع من هذه الجبال عدد من الأنهار لها فروع كثيرة ، فهناك نهر ابره (Ebro) الذي ينبع من جبال البرنيه ويصب في البحر المتوسط ، وهناك نهر المنيو (المندجوا) (Mendgo) ودويره (Douro) اللذان يصبان في المحيط الأطلسي ، وما بين المندجوا ودويره هضاب قفره واسعة أصبحت حاجزاً طبيعياً بين الشمال والجنوب . (5)

تشكل إسبانيا قلعة عظيمة وهي محاطة بشكل كامل بسلاسل جبلية ، تطبق على مساحات من أراضي قشتالة الشاسعة ، وتغطي الثلوج بعض القمم الجبلية المرتفعة على مدى أشهر عديدة في السنة ولهذا أطلق عليها اسم سيرانيفادا (السلاسل المغطاة بالثلوج) ، وتنقسم أراضي قشتالة إلى مناطق أصغر بواسطة السلاسل الجبلية الداخلية . (6)

---

(1) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥-٣٦ ؛ شلبي ، أحمد ، موسوعة للتاريخ الإسلامي ، ص ٢٧

(2) مجهول ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ص ١٢٧ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ١٠٣.

(3) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٤ ؛ مؤنس ، حسين ، بلاي وميلاد اشتريس ، ص ٦١ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٨ ؛ Chapman, A history of Spain, P 2

(5) مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيون ، ص ٢٦٦ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٩٨-٩٩ .

(6) Crow, Spain the root and the flower, P 1.

تشكل هضبة قشتالة المركزية حوالي ٦٠% من مجمل أراضي إسبانيا ، يتراوح ارتفاع هذه الهضبة العظيمة ما بين ٢٠٠٠-٣٠٠٠ قدم وهي تشكل ليس فقط قلب إسبانيا وإنما حصنها المنيع أيضاً ، وهي أيضاً تتشكل من الأراضي الجافة والجبال القاحلة والسهول الخالية من الحياة . (1)

يطغى شعور عظيم من الارتفاع والاتساع على جو قشتالة ، وهذا الجزء من البلاد هو الذي أعطى إسبانيا شخصيتها القاسية وعنفها البدائي وتحملها للآلام والمعاناة ، فقشتالة هي أرض الحصون والقلاع التي اكتسبت اسمها منه . (2)

أصبحت العزلة في إسبانيا حالة عقلية وأسلوب حياة وليس مجرد جبال أو ارتفاعات ، فالولاء الأول في نظر الإسباني هو لموطنه الصغير أو منطقته الوطنية ، ولذا سألت إسبانيا من أين أنت ؟ فان جوابه سوف يكون أنا ابن ليون أو نبرة أو قشتالة ، ثم بعد ذلك ربما يرغب أن يكون إسبانيا .(3) وهذا التطلع نحو الانفصال يتجلى بقوة في مناطق قطلونية والباسك .

ولذلك فان الصراع من أجل تعزيز الوحدة القومية استمر على مدى قرون بواسطة القشتاليين ، وقد وجد عوائق في كل خطوة بسبب الولاء الأساسي للموطن الأصلي ، ثم بدأ الإحساس القومي الإسباني بالتبلور تدريجياً فيما بعد. (4)

خفف من حدة التنوع الجغرافي تجانس السكان ووحدة الديانة فلم تحوِ إسبانيا النصرانية عناصر غير متجانسة مثلما وجد في الأندلس الإسلامية كما لم يستعينوا بعناصر أجنبية ينقصها الإخلاص في جيوشهم . (5)

انعكست الطبيعة القاسية على أخلاق ساكنيها ، فغلبت عليهم الخشونة والقسوة والتعصب ، حتى وُصفوا بأنهم قوم كالبهائم ، وأنهم أهل غدر ودناءة أخلاق . (6)

---

(1) Crow, Spain the root and the flower, P4.

(2) Crow, Spain the root and the flower, P 4.

(3) كحيلة ، عبادة ، الخصوصية الأندلسية ، ص ٢٨ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P2

(4) Crow, Spain the root and the flower, P3.

(5) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ١٠١

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٢٤ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٦٩ .

كان فقر الطبيعة أحد أسباب فقر السكان ، وغزو المسلمين في الجنوب حسّن من أوضاعهم ، فكانوا يغيرون على الأراضي الإسلامية ويخربونها ، ويقتلون أهلها ، فيضطر الأمير الحاكم لتجهيز جيش لإغاثة مواطنيه وثغوره ، وحالما يصل الجيش إلى المكان المحدد يكون النصارى قد غادروا المنطقة إلى أخرى بعدما امتلأت أيديهم بالغنائم والأسلاب ساعدهم على ذلك بعد العاصمة قرطبة إلى الجنوب ، وبالطبع حرب العصابات هذه شكلت هدرا لطاقات قرطبة البشرية والمادية ، (1) على الرغم من كل ما ذكر علينا أن لا نعتقد أن الجغرافيا كانت العامل الوحيد أو حتى الأساسي المسيطر على الحياة والأحداث في شبه الجزيرة الايبيرية .

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ١٠١ ؛ Collins, Roger, Early Medieval Spain, P 187

الفصل الثالث

أحوال إسبانيا النصرانية المؤثرة في علاقاتها مع الأندلس الإسلامية خلال عصر الإمارة (١٣٨-٣٠٠هـ / ٧٥٥-٩١٢م)

يتناول هذا الفصل العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية (١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٥-٩١٢م) ، لنضع أيدينا على الأسباب التي أدت إلى هزيمة المسلمين وانتصار النصارى في الفترات اللاحقة ، لعلها تكون لنا درساً وعبرة وتفيدنا في معركتنا الحالية ضد عدو يفوق نصارى الشمال الإسباني من جميع النواحي .

أولاً: العلاقات مع ليون (Leon) :

نجح عبدالرحمن الداخل في انتزاع النصر من خصومه المحليين وتأسيس إمارته سنة (١٣٨هـ-٧٥٥م) (1) لكن الثمن كان باهظاً إذ إن انشغاله في حروبه الداخلية انعكس بشكل خاص على سياسته الخارجية تجاه نصارى الشمال الإسباني ، فلقيت الإهمال ، مما أتاح المجال أمام مملكة اشتريس وجليقية أخطر التجمعات النصرانية المناوئة للمسلمين آنذاك أن تنمو وتزداد توسعاً على حساب حكومة قرطبة التي أصبحت مضطرة إلى الاعتماد على إمكانياتها الداخلية المحدودة في مواجهة الخطر الزاحف إليها من الشمال . (2)

لم تترك الفتن وحركات التمرد الداخلية الوقت الكافي للداخل لمقارعة نصارى الشمال فوجد ملك جليقية فرويلا الأول (١٤١-١٥٨هـ / ٧٥٨ - ٧٧٤م) الفرصة مواتية لانشغال الأمير بقمع ثورة يوسف الفهري (١٤١هـ/٧٥٨م) (3) وأنه لا يستطيع القيام بأي عمل عسكري خارج حدود إمارته ، فعبر نهر دويرة وهاجم الثغور الإسلامية واستولى على أراضٍ شاسعة فملك مدينة لك وبرتغال وسموره وقشتاله وشقوبيه وضمها إلى مملكته . (4)

وهكذا سقطت هذه الأراضي في عصر أمير يعتبر من أقوى وأصلب أمراء بني أمية .

---

(1) ابن حبيب ، كتاب التاريخ ، ص ١٣٦ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٥٠ .

(2) الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(3) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨٨-٩١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٣٩ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٦٨٨-٦٩٠ .

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص١٥٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٠ ؛ ينظر خريطة رقم (٥)ص ١٥٩ .

ورغم الانتصارات الحاسمة التي حققها فرويلا الأول إلا أنه اضطر لعقد معاهدة سلام مع المسلمين مدتها خمس سنوات تبدأ من سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م) ، تعهد من خلالها بدفع مبالغ كبيرة للحكومة الإسلامية (1) ، حتى يتفرغ لقمع ثورات الأشراف الداخلية التي حفل بها عصره . (2)

لم يتمكن عبدالرحمن الداخل من الرد على اعتداءات النصارى إلا عام (١٥٠هـ/٧٦٨م) وهو العام الذي شهد أول لقاء عسكري بين عبدالرحمن الداخل ونصارى الشمال ، إذ وجه حملة بقيادة مولاه بدر (3) إلى ألبه (Alava) (4) شرقي ليون وحارب أهلها وانتصر عليهم وأخذ منهم الجزية ، دون إعطاء أي تفاصيل أخرى . (5)

وخلال رحلة العودة جلب بدر معه إلى قرطبة كل من شك في إخلاصه وولائه من زعماء الثغور. (6)

---

(1) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ص ٢٥٠ ؛ للاطلاع على نص كتاب الصلح ينظر ملحق (٣).

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ق١ ص ٢١٣ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ٢٠٠ .

(3) بدر : يرجع إليه الفضل الأكبر في قيام دولة بني أمية في الأندلس ، إذ رافق عبدالرحمن بن معاوية في رحلة هروبه من الشام إلى المغرب ، وبعد أن أخفقت آماله في المغرب بعث مولاه بدراً إلى الأندلس في أواخر سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م) كي يمهد له أمره ويهيئ له أنصاره وأنجز مهمته بنجاح ، فأخذه العجب بنفسه ، وظن أنه حر التصرف في أمور الدولة ، فغضب عليه الأمير وسلبه ماله ونفاه إلى الثغر ، ولم يدع له حقوق الخدمة . لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٤ – ٤٧ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٦٦ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(4) ألبه (Alava) والقلاع (Gastile) علمان جغرافيان يستعملان معاً في النصوص العربية ، وأما ألبه فهي الإقليم الواقع عند منابع نهر إبره على الضفة اليمنى منه إلى الشرق من جبال كنتبريه على أبواب فرنسا ، أما القلاع فيراد بها المنطقة التي تعرف بقشتاله (Gastella) لكثرة قلاعها ، وكان العرب في غزواتهم إلى سرقسطة أو الشمال الإسباني يسيرون مع نهر إبره فتكون ألبه والقلاع في طريقهم ، ولهذا يذكر الإقليمان معاً . لمزيد من المعلومات ينظر : أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م١ج١ ص ٢٢١-٢٢٢؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ق١ ص ٢١٣.

(5) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ٥٤؛ الصوفي،خالد ،تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة)، ص ٨٧.

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٥٤ ؛ الدوري ، ابراهيم ، عبدالرحمن الداخل ، ص ٢٠١.

وشكلت مسألة الثغور إحدى العقبات الكبرى أمام حكومة قرطبة ، التي كان من المفترض أن تكون خط الدفاع الأول عن الأمة ، وبدلاً من ذلك كانت حدود الأندلس خليطاً مشوشاً من التناقضات . وافتقرت تلك المنطقة إلى التجانس الضروري الذي يجعلها منطقة حدود ، وصارت حدوداً ضد قرطبة . (1)

ولم تحدثنا الروايات التاريخية عن أي اشتباكات أخرى بين الطرفين حتى عام (١٦٤هـ/ ٧٨٠م)، إذ أجبرت الأوضاع الداخلية كلا الجانبين على العيش بسلام ، باستثناء ما انفردت به رواية نصرانية عن نبأ موقعة عظيمة دارت أحداثها في بونتومو من أعمال جليقية سنة (١٥٧هـ/ ٧٧٣م) ودارت الدائرة فيها على المسلمين ، وقُتل منهم على ما تدعيه الرواية أربعة وخمسون ألفاً. (2)

نفى المؤرخون المحدثون إمكانية حدوث مثل هذه المعركة في ذلك الوقت ، إذ إن ظروف كل من المسلمين والنصارى لم تكن تسمح بحدوث مثل تلك المواجهة إذ كان عبدالرحمن الداخل مشغولاً بقمع ثورة شقيا بن عبدالواحد البربري (3) ، كما أن فرويلا الأول الذي زعمت الرواية أنه قاد القوات النصرانية خلال المعركة كان قد قتل منذ عام (١٥٠هـ/٧٦٨م) . (4)

انتهز الداخل فرصة وجوده في الشمال عام (١٦٤هـ/٧٨٠م) لردع ثوار سرقسطة بعد فشل حملة شارلمان ليقوم ببعض الغارات العسكرية ، فاخترق بلاد البشكنس (Bacos) وخرب بنبلونه (Pamplona) وقلهره (Calaborra) واجتاح ولاية شرطانية (Cerdana) التي أُرغم أميرها على تقديم الطاعة وأداء الجزية وأُخذ ابنه رهينة . (5)

---

(1) أجيوس، ديونيسيوس، التأثير العربي في أوروبا، ص ١٢٣ ، ١٢٥.

(2) عنان،دولة الإسلام،ع١ ق١ ص ٢١٣؛عبدالحليم، رجب،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٣١.

(3) ثورة شقيا بن عبدالواحد البربري : نشبت سنة (١٥١هـ/٧٦٨م) وزعيمها رجل من قبيلة مكناسه البربريه ، كان يعمل معلماً للصبيان، وكانت أمه تسمى فاطمه، فأدعى أنه فاطمي من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسمى بعبدالله بن محمد ودعا الناس إلى اعتناق الدعوة العلوية كي يخلصهم من حكم الدولة الأموية في الأندلس، تكررت محاولات قرطبة للقضاء عليه دون جدوى، لاتباعه خطة عسكرية محكمة، فكان يتجنب المواجهة المباشرة مع الجيش الأموي، وكانت نهايته عام (١٦٠هـ/٧٧٦م) على يد اثنين من أصحابه فقتلاه واجتزا رأسه وتوجها به إلى عبدالرحمن الداخل . لمزيد من المعلومات ينظر: مجهول ، أخبار مجموعة، ص ١٠١ ؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٥ ص ٦٠٥ ؛ حسين ، حمدي ، ثورات البربر في الأندلس ، ص ١٨-٢٣ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٣١ .

(5) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ص١٥٨ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة)، ص ٨٨ ؛ ينظر خريطة رقم (١) ص ١٥٥ .

ومنذ العام (١٦٤هـ/٧٨٠م) وحتى وفاته (١٧٢هـ/٧٨٨م) لم يشتبك عبدالرحمن الداخل مع نصارى الشمال لإنشغاله في مجابهة التمردات الداخلية . (1)

تولى الإمارة بعد عبدالرحمن الداخل ابنه هشام (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) ولم تمكنه الأحوال الداخلية في بداية عهده من استئناف الجهاد ضد الدويلات الإسبانية، ففي الوقت الذي انشغل فيه بمحاربة أخويه سليمان وعبدالله الطامعين بالحكم انتهز الفرصة سعيد بن الحسين الأنصاري في طرطوشه(2) ومطروح بن سليمان والي برشلونة وأعلنا الثورة في الثغر الأعلى(3) ، فتوقفت الغزوات ضد نصارى الشمال حتى شاع بين الناس أن المسلمين غير قادرين إلا على قتال بعضهم بعضاً ، وأفتى بعض الفقهاء بعدم جواز تأدية الخراج لأمراء لا يعرفون إلا قتال مواطنيهم المسلمين، وكانوا يضربون الأمثال في خدمة الإسلام بخلفاء بغداد الذين كانوا يواصلون غزو القسطنطينية . (4)

كان الجهاد إحدى اللافتات المرفوعة للاستقطاب أو للاستيلاء على الحكم ، وكان هو المقياس عند الشعب للظفر بالاحترام أو بالاحتقار .

قرر هشام أن ينفي هذا الاتهام عن نفسه ويكسب ثقة مواطنيه من جديد ، فأعلن الجهاد وعبأ جيشاً سنة (١٧٦هـ/٧٩٢م) قوامه أربعين ألف مقاتل جعل على رأسه قائده أبا عثمان عبيدالله بن عثمان (5) وسيّره إلى ألبه والقلاع.

---

(1) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٦ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٥٠-٥١ .

(2) طرطوشه (Tortosa) : وهي في سفح جبل ، ولها سور حصين ، وبها أسواق وعمارات وضياع ، وانشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ ، ومنها إلى طركونه خمسون ميلاً ، وبينها وبين البحر المتوسط عشرون ميلاً . ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ٩٨ ، ١٣٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ص ٢٣٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(3) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٦ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٥٣-٣٥٤ .

(4) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٢٦ .

(5) أبو عثمان ، عبيدالله بن عثمان : وهو أول من تولى منصب الوزارة لعبدالرحمن الداخل ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته ونجدته فهو أحد زعماء الموالي الأموية الذين ناصروا الداخل وهيأوا له سلطانه في الأندلس حتى قبل أن يعبر الداخل إليها وبعد عبوره إلى أن استخلص الأمر له ودانت الأندلس لحكمه . ينظر : النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٥٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ص ٤٤ – ٤٥ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٦٦٦ .

فمضى الجيش حتى وصل وادي ابره وصعد مع النهر حتى ألبه حيث التحم مع النصارى بقيادة ملكهم برمودو (برمند) وحلفائه البشكنس وفرق جموعهم وقتل منهم تسعة آلاف ثم عاد إلى قرطبة محملاً بالأسلاب والغنائم . (1)

ركزت الرواية الإسلامية في سردها لمجريات المعارك على العبارات الطنانة وعلى خسائر العدو دون الإشارة إلى حجم الخسائر في صفوفها ، الأمر الذي جعل من الصعب تحليل نتائج هذه الوقائع تحليلاً واقعياً بعيداً عن الارتباك .

عُرف عن هشام أنه كان يرسل جيشين في آن واحد ، لذا نرى جيشاً آخر يخرج في العام نفسه (١٧٦هـ/٧٩٢م) وعلى رأسه يوسف بن بخت (2) متوجهاً إلى جليقية حيث يشتبك مع جيش برمودو على نهر بوربيا (Burbia) فيهزمه شر هزيمة ويقتل منه ما يزيد عن عشرة آلاف . (3)

بعد هذه الهزيمة المنكرة خشي برمودو على مستقبل المملكة ، فتنازل عن العرش مختاراً لصالح الفونسو الثاني سنة (١٧٥هـ/٧٩١م) (4) وكان أول لقاء عسكري بين هشام والفونسو الثاني عام (١٧٧هـ/٧٩٣م) فجرد إليه حملة بقيادة عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث (5) اخترقت ألبه والقلاع من جديد وأثخنت في نواحيها . (6)

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٣ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين ، ص ٢١٦ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة) ، ص ١٢١ .

(2) يوسف بن بخت : هو أبو الحجاج يوسف بن بخت مولى عبدالملك بن مروان بن الحكم ، دخل الأندلس في جند الشام مع طالعة بلج بن بشر القشيري ، وأصبح من رؤساء الموالي الأموية في الأندلس ، عهد إليه عبدالرحمن الداخل بمنصب الحجابة وكان يستخلفه على قرطبة عند غيابه ، وطال عمره فكان أحد قواد الأمير هشام بن عبدالرحمن (ت ٢١٩- ٢٢٠هـ / ٨٣٤-٨٣٥م) . ينظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٩ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن)، ص ١٦٨ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٨ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٢٤ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين ، ص ٢١٦ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٢٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢١٧ .

(5) عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث : جده مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبله بن الأيهم الغساني الذي يدعى مغيث الرومي ، دخل الأندلس مع طارق بن زياد وهو الذي اطلع بفتح قرطبة ، أما عبدالواحد بن مغيث فقد كان حاجباً للداخل ثم لابنه هشام ، كانت وفاته في أيام الحكم الربضي سنة (١٩٩هـ/٨١٥م) وقد أعقب ثلاثة أبناء كان لهم مكانة عظيمة في أيام هشام وابنه الحكم وهم عبدالملك وعبدالكريم وعبدالحميد . ينظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٣ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٤.

(6) ابن الأثير، الكامل،ج٦ ص ١٣٣ ؛ابن عذارى،البيان المغرب،ج٢ ص ٦٤؛ ابن خلدون،العبر ، ج٤ ص.١٦٠.

كما قاد عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث (1) حملة أخرى إلى ألبة والقلاع عام (١٧٨هـ/٧٩٤م) وأدى مهمته بنجاح حسب تعبير الرواية وعاد إلى قرطبة محملاً بالغنائم (2). حدث ذلك في الوقت الذي كان فيه جيش آخر بقيادة عبدالملك بن عبدالواحد يتوجه إلى جليقية وينجح في مهاجمة أفيدو (أبيط) عاصمة الفونسو الثاني وتخريبها (3) لكن هذا الجيش تعرض لمحنة كبيرة أثناء عودته إذ وقع في كمين نصبه له النصارى فتكبد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات (4)، الأمر الذي دفع عبدالكريم بن عبدالواحد للخروج بالصائفه (5) عام (١٧٩هـ/٧٩٥م) انتقاماً لذلك. فاخترق مفاوز جليقية حتى مدينة استرقه وكان الهجوم شديداً لدرجة أن الفونسو الثاني تراجع إلى الشمال وعسكر في حشود ضخمة ما بين حيز جليقية والصخرة على خليج بسكاية فاستمد العون من البشكنس وغيرهم من سكان تلك النواحي. (6)

---

(1) عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث : تبوأ مكانة عظيمة أيام الحكم الربضي وكان له مقام محمود في إخماد ثورة الربض (٢٠٢هـ/٨١٨م) وتوسط في استسلام وعقد الأمان لهم، توفي عام (٢٠٩هـ/٨٢٤م) بعد أن تقلب في أعلى مناصب الدولة، تولى القيادة والكتابة والوزارة فضلاً عن الحجابة معظم أيام الحكم وثلاث سنوات من إمارة عبدالرحمن الأوسط. ينظر : ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٤؛ الخشني، قضاة قرطبة، ص ٦٤؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ٧٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢ ص ١٢.

(2) ابن خلدون، العبر، ج٤ ص ١٦٠؛ العمايرة، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٩.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج٦ ص ١٤٤؛ العمايرة، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٩.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج٦ ص ١٤٤؛ نهاية الأرب، ج٢٣ ص٣٥٦؛ وذكر المؤلفان أن ما نال جيش المسلمين من مشقة كان نتيجة أن الدليل قد ضل بهم؛ عبدالحليم، رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٣٦.

(5) الصوائف : جمع صائفة، مشتقة من الصيف، هي الحملات التي جرت عادة أمراء بني أمية على توجيهها إلى الممالك النصرانية خلال فصل الصيف، وقد استقر تقليد هذه الحملات حتى أصبحت وظيفة ثابتة يعهد بها إلى أحد القواد الكبار أو إلى واحد من أفراد الأسرة الحاكمة، وكان أحياناً الأمير أو الخليفة يضطلع بقيادتها. حتى أن لفظ "الصائفة" انتقل إلى اللغة الإسبانية في صورة (Aceifa). ينظر : ابن حيان، المقتبس، (قطعة الأمير عبدالرحمن)، ص ٢٦٧، حاشية رقم ١٠٧؛ ذنون، عبدالواحد، تنظيمات الجيش، مجلة المورد، م١٧ ع١ ص٢٠.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢ ص ١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١ ص ٣٣٨.

خرج إليه فرج بن كنانه (1) أحد قادة عبدالكريم على رأس فرقة مكونة من أربعة آلاف فارس ليقتفي أثره ، فاصطدم بقوة نصرانية مكونة من ثلاثة آلاف فارس نجح في القضاء عليها وأسر قائدها عُنْدمارة في وادي كوثية وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية . (2)

ويبدو أن الفونسو الثاني قد تفادى الاصطدام مع قوات المسلمين على أراضيه ، فهرب إلى حصن في وادي نَلون (Nalon) (3) ، لكنه سرعان ما رحل عنه إلى حصن آخر تاركاً إياه بما فيه من أطعمة وذخائر بيد عبدالكريم الذي سارع بإرسال فرج بن كنانه مرة أخرى ليستأنف مطاردته لألفونسو الثاني ولكن هذه المرة في قوة قوامها عشرة آلاف فارس ، وكاد الفونسو الثاني أن يقع في الأسر لولا أنه نجح في الإفلات من جديد تاركاً وراءه جميع معداته وذخائره . (4)

كانت هذه آخر الحملات التي أرسلها هشام إلى الشمال الإسباني ، إذ توفي عام (١٨٠هـ/ ٧٩٦م) ، لكنها كانت درساً قاسياً لنصارى الشمال جعلتهم يلتزمون الصمت مدة طويلة قبل أن يجمعوا شتات أمورهم ويستأنفوا حربهم ضد المسلمين . (5)

وفي الواقع إن الأمير هشام يُعتبر من أنشط الأمراء الأمويين في مجال الحروب مع النصارى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الغزوات التي قام بها في المناطق الشمالية بالنسبة إلى مدة حكمه والتي لم تتجاوز الثماني سنوات . (6)

---

(1) فرج بن كنانة : هو فرج بن كنانة بن نزار بن مالك من أهل شذونه ، إستقضاه الأمير الحكم بن هشام بقرطبة ، وذلك سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) وظل قاضيا إلى سنة مئتين ، ثم خرج إلى الثغر الأعلى ،وقاتل النصارى ، اتصف بالشجاعة والفروسية ، توفي سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م) . ينظر : الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ٦٣ تر ٢٣ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٤٩ تر ١٠٣٠ ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٧٤ .

(2) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٤-٦٥ ؛ العمايرة ، محمد ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٦٠.

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٦٥ ؛ الصوفي، خالد، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ص ١٢٣.

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٥ ؛ ويذكر ابن الأثير أن الذي قاد هذه الحملة هو عبدالملك بن مغيث ، الكامل ، ج٦ص ١٤٦ ؛ وكذلك ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٠ .

(5) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٢٥ .

(6) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ،(عصر الإمارة) ، ص ١٢٣ .

بدأ "الحكم" عهده عام (١٨٠هـ/٧٩٦م) بإرسال صائفة إلى الشمال الإسباني تولى قيادتها عبدالكريم بن عبدالواحد ، فقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، وجعل على كل قسم رئيس ، وأمر كل واحد منهم أن يُغير على الناحية التي وُجه إليها ، فأغاروا واستباحوا وانصرفوا غانمين ، ثم عادوا ثانية وجازوا خليجاً من البحر كان الماء قد جزر عنه ، وكان النصارى قد جعلوا أموالهم وأهلهم وراء ذلك الخليج ظناً منهم أن أحداً لا يستطيع العبور إليهم ، فغنم المسلمون جميع أموالهم ، وسبوا النساء والذرية وعادوا سالمين إلى عبدالكريم . (1)

وبعث طائفة أخرى فخربوا كثيراً من بلاد الفرنجة ، وغنموا الأموال وأسروا الرجال فأخبرهم بعض الأسرى أن جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين إلى وادٍ وعر المسلك على طريقهم وبلغ ذلك عبدالكريم فجمع عساكره وسار بسرعة فلم يشعر الكفار إلا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم ، فانهزموا ، وغنم المسلمون ما معهم وعادوا بالظفر والغنيمة. (2)

يبدو أن هذه الحملة اتبعت في خط سيرها وادي الايبرو (Ebro) واستولت على قلهرة (Callahora)ثم تابعت سيرها نحو الشمال فاجتاحت منطقة اشتريس، قبل أن ترجع إلى قرطبة.(3)

انتهز الفرنج فرصة انشغال الحكم بمحاربة عميه عبدالله وسليمان وتقدموا إلى برشلونة وملكوها عام (١٨٥هـ / ٨٠١م) وجعلوها قاعدة الثغر الإسباني ، وتراجع المسلمون إلى الوراء.(4)

وفي عام (١٨٧هـ/٨٠٣م) قاد عبدالملك بن عبدالواحد حملة إلى ألبه والقلاع ولكنها لم تترك أثراً يذكر إذ إن المعلومات عنها لا تكاد تكفي لتقييم نجاحها ، وهي لا تختلف عن حملات تقليدية أخرى كانت تشق طريقها كل صيف إلى الشمال . (5)

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٥٩-٣٦٠ .

(2) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص١٥٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٦٠ .

(3) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ١٥٦ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ص١٦٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ص١٦١.

(5) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ١٥٧ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانيا ، ص ٢٣٦ .

وفي عام (١٩٢هـ/٨٠٨م) أرسلت صائفة أخرى بقيادة هشام بن الحكم نحو جليقية وعادت مظفرة (1) حسب تعبير الرواية الإسلامية دون ذكر نوع أو مقدار هذا الظفر ، فالمؤرخون المسلمون ألصقوا الظفر بكل حملة قادها أمير أو أحد كبار القواد ، وحاولوا تعظيم دورهم بالتركيز على تدويخهم للعدو وتخريب أرضه ثم العودة بالأسلاب والغنائم كدليل على قوة المسلمين وإذلال للكفرة وإظهارهم بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع حماية ممتلكاته . والحقيقة ، أنه بعد الإمعان في هذه الروايات ومثيلاتها نستشف منها أنها مجرد غارات لم يتمخض عنها أي نتائج حاسمة ، عدا أن المعلومات عنها عامة ومقتضبة لا تكاد تكفي لتقييمها.

والأحوال الداخلية المتردية في عصر الحكم تفسر لنا ضعف الحملات التي وجهت نحو الشمال النصراني . فلم يكد يلتقط أنفاسه بعد قضائه على ثورة عميه الطامعين في الحُكم عام (١٨٦هـ/٨٠٢م) حتى قامت عام (١٨٩هـ/٨٠٤م) مؤامرة جديدة للإطاحة بحكمه فاكتشفها وقضى عليها ليتفرغ لثورة بربر ماردة التي استمرت من عام (١٩٠-١٩٧هـ/٨٠٥-٨١٢م) . (2)

هذا بالإضافة لإنشغاله بخطر الفرنجة الذي هدد كيان قرطبة باستيلائهم على برشلونة سنة (١٨٥هـ/٨٠١م) . (3)

ولم يفوّت الفونسو الثاني هذه الفرصة وقام بحملات متوالية على الأراضي الإسلامية، واتسمت حملاته بأنها كانت ذات طابع ديني ، إذ عرف عن هذا الملك بأنه كان شديد التعصب لدينه حتى أنه لقّب بالعفيف (4) ، فعبر نهر دويره (دورو) عام (١٩٣هـ/٨١٠م) وغزا الأراضي الإسلامية وعاث بها قتلاً وتخريباً ، وكانت حملاته تتجه بالأخص إلى أطراف الثغر الأدنى وإلى المنطقة الواقعة بين نهر دويره والتاجه ، فتوغل في حملاته حتى قلُمْريه (قلنبريه) واشبونه في غرب الأندلس (5) لبعدها عن حكومة قرطبة وضعف وسائل الدفاع فيها . (6)

---

(1) سالم ، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٢٥ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ١٥٧ .

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٧٠-٧٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٩ .

(4) عنان ، دولة الإسلام، ع١ ق١ ص ٢٣٧ .

(5) عنان ، دولة الإسلام، ع١ ق١ص ٢٣٨ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٣٩.

(6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٨ .

تنامى إلى سمع الحكم ما يعانيه أهالي الثغور من المتاعب جراء غزوات النصارى ، خصوصاً ما نقله إليه الشاعر العباس بن ناصح (1) ، عن معاناة الأسرى المسلمين وحسب ما ورد في الرواية التاريخية أن هذا الشاعر توجه ناحية الثغر فلما نزل بوادي الحجارة (cuadalajar) سمع امرأة تستغيث بالحكم قائلة : " واغوثاه يا حكم ، لقد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا ". (2) فسألها عن شأنها ، فقالت : كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل العدو ، فقتلت وأسرت ، فنظم قصيدة بهذا المعنى تلاها أمام الحكم . (3)

ويبدو أن الحماسة أخذت الحكم من شدة تأثره بما سمع فأعلن النفير، وقاد الحملة بنفسه نحو منطقة وادي الحجارة سنة (١٩٤هـ/٨٠٠م) فأوغل فيها وهدم المعاقل وافتتح الحصون ، ويذكر أنه استطاع تخليص عدد من الأسرى المسلمين من بينهم المرأة المستغيثة ، فطلب من العباس أن يسألها هل أغاثها الحكم؟ فقالت: والله لقد شفى الصدور، وأبلى العدو، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله وأعز نصره، فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه . (4)

٥٨٢٢٠٩

---

(1) عباس بن ناصح الثقفي : شاعر من أهل الجزيرة يكنى : أبا العلاء ، رحل به أبوه صغيرا فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالباً للغة العرب ، ثم رحل به أبوه إلى العراق فلقي الأصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة، وانصرف إلى الأندلس فلم يزل متردداً على الحكم بن هشام بالمديح ، ويتعرض للخدمة فاستقضاه على شذونه والجزيرة . ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٩٦ -٢٩٧ ، تر ٨٨١ ؛ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ٢٤٦. ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص٣٤٣ .

(2) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١١٧؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٧٣ .

(3) منها : تململت في وادي الحجارة مسهراً ... أراعي نجوماً ما يردن ثغورا

إليك أبا العاصـي نضبت مطيتي ... تسـير بهم سـارياً مهجـراً

تدارك نسـاء العالمين بنصـرة ... فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا

ينظر:المقري ، نفح الطيب ،ج١ ص ٣٤٣ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة)،ص ١٥٧-١٥٨ .

(4) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٧٣؛ المقري ، نفح الطيب، ج١ ص ٣٤٣، ونظم الحكم بهذه المناسبة الأبيات التالية :

ألم ترَ يا عباس أني أجبتها ... على البعد أقتاد الخميس المظفرا

فأدركت أوطاراً وبردت غلة ... ونفست مكروباً وأغنيت معسرا

ينظر:المقري ، نفح الطيب، ج١ص ٣٤٤ ؛ الصوفي، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ،(عصر الإمارة) ، ص١٥٨.

ويبدو أن حجم الرد الإسلامي كان يحدده مقدار التهديد النصراني للأراضي الإسلامية، والذي أخذ يزداد خطورة مع الزمن، فقبل فترة قصيرة كان هدف هؤلاء الحفاظ على ما تبقى بأيديهم، أما الآن ، وبسبب التناحر الإسلامي بالدرجة الأولى فُرض واقع جديد على شبه الجزيرة وانقلبت الصورة إذ أصبح المسلمون هم الذين يسعون للحفاظ والذود عن أراضيهم .

ومع ذلك ما زال المسلمون قادرين على تحقيق الانتصارات المؤقتة ، فكان عام (٢٠٠هـ/٨١٦م) تاريخ إحدى الوقائع المشهودة بين المسلمين والنصارى الذين اضطروا للتقهقر أمام جيش المسلمين حتى وصلوا في تراجعهم إلى نهر آرون (Oron) ، وهنا حجز النهر بين الجانبين ، وفشل أي منهما في هذه المرحلة من الوصول إلى نصر حاسم ، فتحاربوا حتى تكسرت السيوف ثم لجأوا للقذف بالحجارة ، وعمد النصارى إلى ملء النهر بالعوائق كالأخشاب حتى يمنعوا المسلمين من اجتيازه ، كما صنعوا عوائق أخرى مثل حفر الخنادق ، زاد الأمر صعوبة سقوط الأمطار الغزيرة مما ساهم في عدول المسلمين عن مطاردة العدو ، بالإضافة إلى نقص المؤن لدى الجانبين بعد معركة قاسية استمرت ثلاثة عشر يوماً ، فاكتفى القائد عبدالكريم بما حققه وقفل راجعاً بالمسلمين إلى الجنوب . (1)

كان هذا آخر لقاء عسكري بين الحكم والنصارى إذ انشغل في إخماد ثورة الربض (٢٠٢هـ/ ٨١٨م) ، ثم توفي بعد ذلك بسنوات قليلة (٢٠٦هـ/٨٢٢م). (2)

اتسم عصر خليفته عبدالرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) بالنشاط النسبي في مجال حروبه مع نصارى الشمال ، والواقع إن السياسة الجهادية أصبحت محكاً عملياً للنظام في الأندلس فمن خلالها يُقيّم نجاح أو فشل الأمير الحاكم . (3)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٧٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٣ .

(2) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ص ٢٩٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال، ج٢ ص ١٥ ، ١٧ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانيا ، ص ٢٢٩ .

(3) بيضون ، ابراهيم، الدولة العربية في إسبانيا ، ص ٢٥١ .

فوجه عام (٢٠٨هـ/٨٢٣م) أول حملة عسكرية نحو الشمال تحت قيادة عبدالكريم ابن عبدالواحد، وكالحملات التقليدية اتجهت نحو ألبه والقلاع عن طريق ممر جرنيق (Guernico) (1) الواقع بين سيرا دي انثيا (Sierra de Encia) وجبال أتوريل (Iturrieta) وهزم جموع النصارى وخرب المدن والقرى واستولى على مخازن المؤن والذخائر مما أجبر حكام تلك المنطقة على دفع الجزية وإطلاق سراح الأسرى المسلمين . (2)

وفي العام التالي (٢٠٩هـ/٨٢٤م) تحرك جيش إسلامي نحو الشمال ، لكنه لم يتخط الحدود الإسلامية ، إذ فاجأ المرض قائد الجيش عبدالكريم بن مغيث وكان مرضه الذي توفي به ، فعيّن الأمير مكانه القائد أمية بن معاوية بن هشام ، الذي غزا بالصائفة إلى أوريط (3) ثم تقدم إلى شنت بريه (4) وتدمير (5) ، ليعمل على تهدئة الثورة في هذه المناطق ، وهكذا لم تخرج هذه الغزوة خارج الحدود فكانت داخلية بحتة . (6)

وخرجت حملة عام (٢١٠هـ/٨٢٥م) بقيادة حاكم جيان فرج بن مسرّة (7) فتوغل في المناطق الشمالية وافتتح حصن القلعة أو القليعة وعاد منتصراً . هذه الحملة لم تخرج من قرطبة ،

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج٢، ص ١٩ ؛ وسمي الممر بإسم جرنيو .

(2) النويري ، نهاية الأرب، ج ٢٣ ص ٣٧٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٤-٣٤٥ .

(3) اوريط (Oreto) : مدينة قديمة بالأندلس ، كانت عظيمة ، منكورة مع طليطلة ، وعمرت قلعة رباح وكركي بخراب اوريط . ينظر : البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٦.

(4) شنت بريه : مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهي شرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات تشتهر بشجر الجوز والبندق ، لها حصون كثيرة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٣ ص ١٥٨ .

(5) تدمير: تنسب كورة تدمير إلى الملك الذي كان يحكمها أيام الفتح العربي للأندلس "تيودومير" (Teodomiro) وقد نزلها جند مصر ، وانتقلت عاصمتها بعد ذلك إلى مدينة مرسيه في أيام عبدالرحمن بن الحكم سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) . ينظر : العذري ، نصوص عن الأندلس، ص ٥ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣١-١٣٢ ؛ أرسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، م٢ ج٣ ص ٢٦٥ .

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥٣ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ٢٠١ .

(7) فرج بن مسرة بن سالم (٢١٧هـ/٨٣٢م) ، سماه ابن حزم فرج بن سالم ناسباً إياه لجده ، وسالم المذكور هو سالم بن ورعمال بن وكذات المصمودي من موالي بني مخزوم وإليه تنسب مدينة سالم ، أما حفيده الفرج بن مسره فهو الذي تنسب إليه مدينة الفرج ، التي كانت تسمى وادي الحجاره إحدى مدن الثغر الأوسط . ينظر: ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠١ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٠٩ .

وإنما قام بها أحد عمال الإمارة ، ولكن من الواضح أن ذلك كان بإيعاز من قرطبة وليس بدافع شخصي فاقتدى التنويه بها. (1)

في العام نفسه انتصر جيش بقيادة عبيدالله البلنسي على جيوش اشتريس قرب جبل المجوس في معركة وصفت بالكبيرة حتى أنه أطلق على الغزوة اسم غزوة الفتح . (2)

وفي نفس العام تمكن المسلمون بقيادة العباس بن عبدالله القرشي (3) من مهاجمة جليقية والتوغل حتى بازو (Vizeu) . (4)

لدينا معلومات أخرى عن خروج صائفة أخرى عام (٢١٣هـ/٨٦٢م) بقيادة عبيدالله البلنسي فجال في أرض العدو حتى بلغ برشلونة وظل ينتسف ويخرب بها ستين يوماً . (5)

توقفت الغزوات بعد ذلك ولم تستأنف الا عام (٢٢٣هـ/٨٣٨م) فأرسل ثلاث حملات متتالية إلى مملكة اشتريس أولها حملة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم فدخل جليقية من جهة الغرب فنازلوا حصن الفرات وقتلوا أهله ، وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذرية وعادوا . (6)

وفرقة أخرى تحت قيادة سعيد الخير أخ الأمير عبدالرحمن الثاني ، وقد تمكن من دخول ألبه وقشتالة القديمة، والثالث بقيادة أخيه أمية ونجح في هجومه على حصن القرية (Alqueria). (7)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص٤٠٠ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٧٧ .

(2) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٧٧ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٣٩ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصرة الإمارة) ، ص ٢٠٢ .

(3) عباس بن عبدالله بن مروان القرشي : تقلب في كثير من مناصب الدولة الكبرى ، إذ ولاه الأمير هشام بن عبدالرحمن على باجة (Beja) ، ثم ولي الوزارة وقيادة الجيوش للحكم بن هشام ، وقد ظل على القيادة والوزارة في عهد عبدالرحمن الأوسط حتى وفاته عام (٢١٩هـ/٨٣٤م) . ينظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١١٦؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٧-١٠٨ ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٦٦ – ٦٧ ، ٢٣٥.

(4) سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٣٩ .

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٣ .

(6) م . ن ، ج٢ ص ٨٥ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٢٨٠-٢٨١ .

يذكر السيد عبدالعزيز سالم أن الحملة كانت بقيادة عمه الوليد بن هشام ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٣٩.

(7) سالم ،السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٠.

في العام التالي (٢٢٤هـ/٨٣٩م) أرسل الأمير جيشاً بقيادة عبيدالله بن عبدالله البلنسي فاخترق ألبه في جليقية . وكثر القتل والسبي في العدو الأمر الذي دفع الفونسو الثاني إلى الانتقام ، فأغار على مدينة سالم (Medinacel) فسار إليه فرتون بن موسى وقاتله ، واستطاع أن يهزمه ويهدم الحصن الذي بناه أهل ألبه بالثغر نكاية بالمسلمين . (1)

بلا شك أن تدمير القلاع والحصون والاستيلاء على ما تحويه من ذخائر ومؤن ألحق ضربات موجعة بالاقتصاد الإسباني الفقير ، لكن هذه الحرب الاقتصادية ضد الإسبان كان لها نتائجها السلبية على المسلمين إذ أصبحت الإغارة على الثغور الإسلامية من أجل السلب والنهب تشكل أحد أسباب الغنى للنصارى الأمر الذي زاد من متاعب قرطبة.

وفي العام (٢٢٥هـ/٨٤٠م) خرج الأمير عبدالرحمن بنفسه إلى جليقية فطالت غزواته فناله التعب (2) ، ويبدو أن الأمير لم يعتد حياة الغزو والجهاد وما يتبعها من مشقة وتعب، ويبدو كذلك أن حنينه لقرطبة وحياة اللهو والترف كانت مسؤولة عن جزء كبير من هذا التعب، حتى أنه دعى الشاعر ابن الشمر (3) ووصف له أرقه وحنينه لمن في قرطبة فنظم له القصيدة التي مطلعها:

عداني عنك مزار العدى   وقودي إليهم لهاماً مهيباً (4)

---

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٥ .
وذكر ابن عذارى أن قائد الحملة هو الحكم بن عبدالرحمن الأوسط ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٥.

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ص ٨٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٥.

(3) عبدالله بن الشمر: من أهل وشقه ، ويكنى :أبا محمد ، كانت له عناية بالعلم وطلب مشهور ، وله رحله ، وكان متقننا في العلوم شاعراً جيد الشعر . ينظر: مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٢٣؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٧ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٢٨.

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص٨٦ ؛ وردت هذه الأبيات مع بعض الاختلاف عند ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٧ .

بينما اتهمه بعض المستشرقين بقلة الكفاءة العسكرية والتي كان من نتائجها قلة نجاحه في غزواته بدليل أنه لم يعد يكثر من الخروج للغزو بنفسه (1)، فنراه يرسل بالصائفة إلى جليقية في العام التالي (٢٢٦هـ/٨٤١م) ابنه المطرف (2)، وكان قائد هذه الحملة القائد عبدالواحد الاسكندراني (3) ، وعلى العموم فان خروج المسلمين إلى جليقية بدأ يخف بصورة عامة .

والحقيقة أن قلة خروج المسلمين لجليقية منذ ذلك الوقت يعود لأسباب خاصة بجليقية نفسها إذ كانت مشغولة بأحداثها الداخلية بعد وفاة ألفونسو الثاني (٢٢٧هـ/٨٤٢م) فلم تزعج المسلمين ، وبالطبع لاحظنا أن حرب المسلمين ضد نصارى الشمال كانت دفاعية بالدرجة الاولى . (4)

وفي العام (٢٣١هـ/٨٤٦م) أرسل عبدالرحمن ابنه محمد على رأس حملة وصلت إلى مدينة ليون (Leon) فحاصرها ورمى أسوارها بالمنجنيق فخاف أهلها وخرجوا فارين تاركين ما فيها من مغانم فحاولوا هدم سورها فلم يستطيعوا لسماكته إذ بلغ عرضه سبعة عشر ذراعاً . (5)

وفي عام (٢٣٧هـ/٨٥١م) أرسل بالصائفة ابنه المنذر نحو ألبه والقلاع وقاد الحملة عبدالواحد الاسكندراني فغزا تلك النواحي وافتتح بعض الحصون وعاد بكميات من الغنائم بعدما سمع بوفاة الملك ردمير الأول . (6)

---

(1) سالم ، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٠.

(2)ابن عذارى،البيان المغرب، ح٢ص ٨٦؛ سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،ص ٢٤٠.

(3) عبدالواحد بن يزيد الاسكندراني: قدم إلى الأندلس حدثاً ، وكان يشدو شيئاً من الغناء ، فاتصل بالحاجب عيسى ابن شهيد ، فلما رأى منه نجابة وكفاية نصحه بأن يمسك عن الغناء ويكتفي بأدبه وفضله ، ففعل ، وأوصله الحاجب إلى الأمير عبدالرحمن ، فأعجب به وقربه ، وتدرج في وظائف الدولة حتى تولى الوزارة والقيادة ، توفي عام (٢٣٧هـ / ٨٥١م) . ينظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٩ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص٩٩ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٤٤ ، ١٧٧ .

(4) العمايرة ، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٦٦ .

(5) النويري، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص٣٨٤-٣٨٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٦ .

(6) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٤٤ .

وآخر غزوة سيرها نحو الشمال كانت عام (٢٣٨هـ/٨٥٢م)عرفت باسم وقعة البيضاء (Albelda) (1) انتصر فيها الجيش الإسلامي نصراً كبيراً مع أن اليوم الأول من المعركة لم يكن لصالحهم فاستشهد عدد كبير منهم وأصيب موسى بن موسى بخمس وثلاثين طعنة لكنه في اليوم التالي تقدم الصفوف متحاملاً على ألم جراحه مما كان له كبير الأثر في إثارة حماسة الجيش الإسلامي فهزم النصارى شر هزيمة . (2)

وصل الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) للحكم في وقت تمزقت فيه وحدة الأندلس وقام الثوار بسائر أنحائها ضد حكومة قرطبة ، واستقلوا بحكم المناطق التي ثاروا فيها ، حتى أنه لم تعد سلطة الأمراء الأمويين تمتد إلى أكثر من إقليم قرطبة ، وتعددت أجناس الثوار فمن المولدين أعلن موسى بن موسى منطقة الثغر الأعلى في شمال شرق الأندلس ولاية مستقلة عاصمتها سرقسطة (3)، وفي غرب الأندلس استقل عبدالرحمن بن مروان الجليقي في بطليوس، وكذلك عمر ابن حفصون الذي زرع الرعب في البلاد وقطع الطريق واتخذ مركزه حصن ببشتر (Bobastro). (4)

إلى جانب هؤلاء استطاع البربر أن يتخذوا مراكز نفوذ لهم فسيطروا على طليطلة بزعامة موسى بن ذي النون ، وجيان بزعامة بنو الملاخ . (5) ولم تفت عملية التقاسم هذه زعماء العرب حيث لتخذ بنو الحجاج وهم من العرب اليمانية من إشبيلية وقرمونه قواعد لهم . (6)

---

(1) البيضاء (Albelda) : وهي مجاورة لمدينة بقيره من بلد بنبلونه ،أنشأ بها موسى بن موسى القسوي حصناً صغيراً ، وتذكر الروايات المسيحية أنه لم يكد موسى بن موسى أن يتم بناؤه حتى حاصره ملك جليقيه واشتوريس أردون الأول ، فخرج موسى للقائه ودارت بين الطرفين معركة حامية تعرف باسم كلابيجو (Clavijo) وأن المسلمين أصيبوا فيها بهزيمة منكرة . ينظر : العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١٤٧ ؛ ابن حيان ، المقتبس (قطعة عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٥٦ ، ٢٥٥ .

(2) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٥٦ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٥.

(3) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٠؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٣٤١ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٣ .

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٠٢-١٠٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٩١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ،ج٢ ص ٢٥ .

(5) سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٣ .

(6) م . ن ، ص ٢٤٣؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانيا ، ص ٢٦٧ .

صرف الأمير كل جهوده وأوقاته لمعالجة أخطر أزمة سياسية تعرضت لها الأندلس حتى ذلك الوقت ، إلا أنه لم يستطع تجاهل خطر الدويلات الإسبانية في الشمال التي أخذ عددها يزداد وقوتها كذلك ، وأخذت بالتوسع تدريجياً على حساب الممتلكات الإسلامية . فحاول أن يضع حداً لهذا الزحف نحو الجنوب . (1)

فنراه يبدأ نشاطه العسكري ضد نصارى الشمال عام (٢٣٩هـ/٨٥٣م) بإرسال حملتين إحداهما بقيادة أخيه الحكم بن عبدالرحمن لإصلاح قلعة رباح (2) والثانية بقيادة موسى بن موسى صاحب تطيله (Tudela) فعاث في نواحي ألبه والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع . (3)

وكان أهل طليطلة قد أعلنوا الثورة على الأمير في نفس عام ولايته ، وكانت المدينة تعج بالمولدين والنصارى فخافوا من ردة فعل قرطبة ، فالتمسوا العون من أردونيو الأول فلم يتردد في تقديم كل وسائل المساعدة للثوار ، إذ كانت مصلحته تقتضي إشعال نيران الحرب الأهلية في الأندلس، فبعث إليهم جيشاً بقيادة أخيه غاتون (Gaton) عام(٢٤٠هـ/٨٥٤م) . (4)

وكان لتدخل النصارى في شؤون البلاد الداخلية أثره في إنكاء حماسة المسلمين الدينية فسارعوا بالانضمام لجيش الأمير من كل صوب ، فخرج ببعض قواته إلى طليطلة بينما ترك بقية جيشه مستتراً بالتلال عند وادي سليط، فلما رأى أهل طليطلة قلة الجيش المحاصر خرجوا لقتاله مع حلفائهم النصارى، فتظاهر الأمير بالهزيمة وارتد نحو وادي سليط ، وعندئذ برزت قواته من مكامنها وأطبقت على الثوار وحلفائهم النصارى ، وقتل منهم أعداداً هائلة تقدرها المصادر الإسلامية بأحد عشر ألفاً وقيل عشرين ألف ، ثمانية آلاف منهم من الجلالقة . (5)

في العام التالي (٢٤١هـ/٨٥٥م) قاد الأمير محمد الصائفة وكان قد كتب إلى موسى بن موسى وأهل الثغور بأن يتوافوا إليه ، فدخلوا جميعا إلى منطقة ألبه والقلاع وبلغوا أقصى جليقية وفتحوا كثيراً من الحصون . (6)

---

(1) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ، ص ٢٦٧.

(2) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٢٩٣ ، ويذكر ابن حيان أن أهل قلعة رباح هجروها بعد مهاجمة أهل طليطلة لهم وقتلهم الكثير من أهلها ، فاحتلها الحكم وأصلح سورها ، وأرجع أهلها إليها بعدما ترك حامية كبيرة لحراستها . ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٥ .

(3) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ، ص ٢٦٧ .

(4) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال، ج٢ ص ٢٠ .

(5) ابن حيان، المقتبس، (قطعة الأمير محمد)، ص ٢٩٦-٢٩٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢ ص ٢١.

(6) ابن حيان، المقتبس، (قطعة الأمير محمد)، ص٣٠٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٣٨٨ .

شغل الأمير بعد ذلك بعودة ظهور النورمانيين على سواحل الأندلس عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م) كما شغله أيضاً ظهور قوة نبّره وتحالفها مع بني قسي الذين عادوا للتمرد وطلبوا من الأمير أن لا تكون طريق القوات الإسلامية الغازية عبر منطقته، نظراً لما ناله من الأذى ونال أراضيه من دمار، فأجابه الأمير إلى ذلك، رغم أن طلبه يعتبر تملصاً من واجبه في الدفاع عن الثغور ، وضغطاً على حكومة قرطبة بوضعه العوائق أمامها بعدم تسهيل مهمة جيوشها ، وغير خاف أن ذلك كان نتيجة التحالف الذي تم بينه وبين ملوك نبره (1) فنرى صائفة عام (٢٤٧هـ/٨٦١م) تسير نحو ألبه والقلاع ولكن من طريق آخر فعاثت في أراضي النصارى. (2)

تميزت حملة عام (٢٤٩هـ/٨٦٣م) والتي وجهت إلى جليقية بقيادة عبدالرحمن ابن الامير محمد والقائد عبدالملك بن العباس ، بكثرة القوات المشتركة بها من كل المقاطعات والكور والتي بلغ فيها عدد المتطوعين ٢١-٢٢ ألف مقاتل، وكان الأمير محمد قد قام بإلغاء ضريبة الحشود من باب التخفيف على الناس والاكتفاء بدعوتهم للتطوع في الجيش. (3)

وبعد اجتياح القوات الإسلامية للمنطقة وتدميرها ، أخرج الملك اوردونيو أخاه إلى مضيق الفج ليحول بينهم وبين المسلمين ويقاتلهم عنده ، فتقدم عبدالملك بن عباس إلى المضيق واشتبك مع النصارى لكنه لم يحرز نصراً حاسماً عليهم رغم الامدادات ، وصبر النصارى في تلك المعركة صبراً عظيماً بشهادة المؤرخين المسلمين، ولكنهم هزموا في النهاية وقتل من قادتهم فقط تسعة عشر مما يدل على عنف المعركة. (4)

وما لبث أن سير حملة أخرى عام (٢٥١هـ/٨٦٥م) ، وكان على رأس الحملة المنذر بن عبدالرحمن، أما قيادتها فكانت للحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبيدة فاجتاح الجيش جليقية حتى وصل ناحية دويرة (Duero) ، ثم توافد الجند عليه من كل ناحية، فتقدم بهم نحوفج برذيش (pradanas) وكانت عليه أربعة حصون للنبلاء والسادة في تلك المنطقة، فتغلب الجند عليها وغنم المسلمون من جميع ما فيها وخربوها حتى لم يبق للذريق صاحب القلاع ولا لقانده صاحب توقه ، ولا لفند شلب (Conde de Silvies) صاحب برجيه ولا لقومس (Comez) صاحب مسانقه ، حصن من حصونهم الا وعمه الخراب. (5)

---

(1) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ،ص٣٠٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ص ٩٦-٩٧.

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٩٧ .

(3) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ، ص ٢٤٦.

(4) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٩٨ .

(5) م . ن ، ص ٣١٩؛ م . ن ، ج٢ص٩٨.

ثم قصد الملاّحة (la Burebu) وكانت من أجمل أعمال لذريق فخربها ، وأثناء تقدمه تصدت له جيوش النصارى عند الفج المعروف باسم المركوين (MalaCuera) والذي كان لذريق قد عني بتحصينه لمنع الجيوش الإسلامية من عبوره ورغم ذلك كان النصر حليف المسلمين وتفرقت جموع النصارى . (1)

وبعد قسط من الراحة عاود المسلمون القتال وأحرزوا نصراً كبيراً هذه المرة أيضاً حتى اضطروا جنود العدو الفارين إلى خوض نهر إيره (Ebro) فغرق عدد كبير منهم ، وتقدر أعداد القتلى من النصارى بـــ (٢٠٤٧٢) رجلاً . (2) ومن الغريب جداً تحديد الرقم بمثل هذه الدقة .

لم يترك الأمير محمد فرصة لأعدائه للاستراحة ولم شتات أنفسهم فأعاد الكرة ضدهم في العام التالي (٢٥٢هـ/٨٦٦م) بقيادة ابنه عبدالرحمن (3)، فغزا منطقة ألبه والقلاع وترك أهلها في وهن شديد فركنوا للسكينة، تصادف ذلك مع وفاة ملكهم اردونيو(٢٥٢هـ/٨٦٦م) فخلفه ابنه الفونسو الثالث (الكبير) (٢٥٢-٢٩٦هـ/٨٦٦-٩١٠م) والذي انشغل بالثورات الداخلية ضد حكمه. (4)

ثم عاد الأمير إلى غزو المنطقة في العام التالي (٢٥٣هـ/٨٦٧م) حيث أرسل ابنه الحكم بصائفة وقادها خالد بن خالد فضرب الحصار على حصن جرنيق (Guernica) وفتحه وغنم المسلمون ما فيه . (5)

توقفت الحملات إلى الشمال الإسباني بعد هذه الحملة ، فلم نسمع عن حملات عسكرية حتى عام (٢٦٦هـ/٨٨٠م) وذلك بسبب انشغال الأمير محمد بقمع فتنة النصارى المعاهدين الذين حرضوا أهل طليطلة وماردة عن الثورة . (6)

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج٤ ص ١٦٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١ ص ٣٥١؛عنان ،دولة الإسلام،ع١ ق١ ص٢٩٥ .

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ٩٩ ؛ ويذكر النويري أن ما أخذ من رؤوس القتلى ألفين وأربعمائة وتسعين رأساً ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٢٩٠ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح٢ ص ٩٩ .

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعمال ،ج٢ ص ٣٢٤ ؛ العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٦٧ .

(5) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٣٢١ ، ويسمى الحصن جلديق ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٩٩ .

(6) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ١٠٠-١٠١ ؛ عبدالحليم، رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٥ .

انتهز الفونسو الثالث هذا الوضع وشجع كل خارج عن حكومة قرطبة ، فمد يد العون وتحالف مع ابن مروان الجليقي ، واستطاع الطرفان هزيمة قوات الأمير التي قادها المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبدالعزيز فأسر الأخير وأرسل إلى ليون وبعد فك أسره أراد الانتقام فخرج في حملة إلى ماردة لكن الجليقي هدد بحرق بطليوس إذا تجاوزت قواته مدينة لبله (Liebla) فرجع هاشم عنه . (1)

فكر الأمير باتخاذ خطوة جديدة في الحرب ضد أعدائه ألا وهي غزو جليقية من ناحية البحر، فأصدر أوامره ببناء السفن فلما تم له ذلك وجهها إلى المحيط الأطلسي عام (٢٦٦هـ/٨٧٩م) بقيادة قائد الاسطول عبدالحميد بن مغيث ، ولكن ولسوء الحظ داهمت العواصف المراكب ودمرتها قبل أن تبلغ هدفها ، واضطر ما بقي منها للعودة إلى قواعده دون القيام بأي عملية حربية . (2)

رد الفونسو الثالث على ذلك بأن قام في العام التالي (٢٦٧هـ/٨٨٠م) بغزو الأراضي الإسلامية ، وعبر نهر دويره والتاجه ووصل في زحفه حتى أحواز ماردة ووادي آنه وهو مدى لم يصله أحد من ملوك النصارى من قبل (3)

إزاء ذلك أرسل الأمير محمد سنة (٢٦٨هـ/٧٨١م) جيشاً بقيادة المنذر وهاشم نحو ألبه والقلاع ، فافتتحا حصن روطة وحصوناً كثيرة وتركوا حاميات في بعضها ، بينما تركوا البعض الآخر خالياً من الجند خوفاً من سقوطه مجدداً بيد العدو نظراً لضعف امكاناته الدفاعية . (4)

وعني الأمير محمد بتحصين أطراف الثغور ، فأقام عدداً من القلاع الدفاعية الحصينة ، فابتنى حصن شنت اشتيبن لحماية مدينة سالم ، وحصون طلمنكه ومجريط بمدينة وادي الحجارة لحماية طليطلة (5)، وحصون قنالش (Canales) ودلموش (Olmos) وقلعة الحلفا (Salatalifa) على سفوح جبال وادي الرمل الجنوبية . (6)

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٠٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعمال، ج٢ ص ٢٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٧-١٦٨ .

(2) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد) ، ص ٣٩٨ ؛ ويذكر أن قائد الحملة هو ابن مغيث المعروف بالدك وهو عبدالملك بن عبدالله بن محمد بن عبدالحميد بن مغيث ؛ النويري ، ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٩١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٨ .

(3) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٦.

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ١٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ ص ٣٩٢ .

(5) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٣٠٧ .

(6) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٦ .

النصارى من جهتهم قاموا ببناء المدن الحصينة بعد أن وصلت حدودهم حتى نهر دويرة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي مدن سمورة (Zamora) وسمينقه (Simancas) ، وسان اشتيبان (San steven de Gormas) واسمه (Osma) . (1)

فرضت هذه المعاقل الحصينة على الطرفين واقعاً جديداً ، فنجد أن غزوة عام (٢٧٠هـ/٨٨٣م) والتي خرجت بقيادة المنذر وهاشم قد انتهت بعقد هدنة ، وبالطبع رحب الفونسو الثالث بهذه الهدنة وأرسل القس دولشديو سفيراً إلى قرطبة لإرساء دعائم هذا الصلح ، ونجحت السفارة فتنفس الفونسو الثالث الصعداء لأنه أراد التفرغ للأزمات والقلاقل الداخلية . (2)

أما قرطبة وبعد وفاة الأمير محمد عام (٢٧٣هـ/٨٨٦م) فقد جاءها الخطر الجسيم من الداخل خاصة ثورة عمر بن حفصون كبير الثوار وأخطرهم ، كما كان بنو قسي وبنو الطويل المولدون ، وبنو تجيب العرب قد تنازعوا فيما بينهم من أجل السيادة على الثغر الأعلى واستعانوا بملوك جليقية ونبرة ضد بعضهم البعض . (3)

لذلك توقفت حملات قرطبة نحو الشمال واضطلع حكام الثغور بهذه المهمة ، فقام محمد بن لب ابن موسى القسوي سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) وهي السنة نفسها التي تولى فيها المنذر الإمارة بمهاجمة ألبه والقلاع ، وفتح بعض حصونها ، لكنه ما لبث أن قتل أمام أسوار سرقسطة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) بعد أن فشل في الاستيلاء عليها من بني تجيب . (4)

انتهز ألفونسو الفرصة وحشد نصارى جليقية وألبه والقلاع وبمبلونه وأغار بهم على الثغر الأعلى ، فتصدى له لب بن محمد بن لب الذي خلف أباه على تطيله وطرسونه واستطاع أن يهزمه ويقتل من قواته ستة آلاف وتخليص جميع الأسرى الموجودين بيد النصارى . (5)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٦ .

(2) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٠ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(3) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١٥ ، ١٢٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ص ٣٩٣ ؛ أبو مصطفى ، كمال السيد ، المولدون في منطقة الثغر الأعلى ، (بحوث في تاريخ حضارة الأندلس) ، ص ٦٦-٦٧ .

(4) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١١٥ ؛ ابو مصطفى ، كمال السيد ، المولدون في منطقة الثغر الأعلى ، (بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس) ، ص ٦٦ ،

(5) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٧ ؛ أبو مصطفى ، كمال السيد ، المولدون في منطقة الثغر الأعلى، (بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس) ، ص ٦٧ ،

وبالطبع قام حكام الثغور بهذه الحملات بدافع الحفاظ على مصالحهم واستقلالهم ولم يكن الدفاع عن قرطبة في حسابهم إذ إنهم هم أنفسهم كانوا خارجين عن حكومة قرطبة .

عانى سكان الثغر الأوسط أكثر من غيرهم واشتد إحساسهم بالخطر بعد بناء مدينة سموره (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) حيث اتخذها النصارى قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة (1) ، لذا رحب سكان هذه المناطق بدعوة أحمد بن معاوية المعروف بالقط (2) للجهاد ومهاجمة سموره (٢٨٨هـ/٩٠١م) فخرج معه أهل طليطلة وطلبيرة ووادي الحجارة وشنتبريه والبربر المجاورين لسموره واستطاع الانتصار على قوات ألفونسو الثالث ، إلا أن المسلمين أبوا إلا أن يزرعوا بذور فنائهم في تلك الأراضي بأيديهم لشدة حسدهم وغيرتهم من بعضهم البعض ، واقتصر تفكيرهم على اشتداد أمر ابن معاوية في حالة نصره ، وكأن انتصار الفونسو الثالث وتحكمه في رقابهم كان أهون عليهم ، لذا انهزموا وتركوا ابن معاوية يواجه مصيره المحتوم بمفرده أمام ألفونسو الثالث فقتله وعلق رأسه على باب سموره وصار هذا اليوم يعرف باسم يوم سموره . (3)

---

(1) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٧٠ .

(2) أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام الملقب بابن القط : كان منكباً على دراسة الكيمياء والسحر ، كما كان طامعا في العرش ، وأعلن بين البربر أنه المهدي المنتظر ، وحتم عليهم الانضمام إلى صفوفه ليسير بهم جميعاً ضد سموره . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٧ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٧ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٠ ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٨ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٤٠-٢٤١ .

ثانياً العلاقات مع نبّره (Navarra) :

ظهرت نبّره ككيان مستقل منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٠-٨٥٢م) وكانت قبل ذلك تدور في فلك ملوك جليقية وملوك الفرنجة (1) وما لبثت أن اشتركت مع قوات جليقية في حروبها ضد المسلمين ، فخرج إليهم الحاجب عبدالكريم بن مغيث عام (٢٠٠هـ/٨١٥م) والتقى مع قوات بلشك الجلشقي (فلاسكو Velasco) – أحد زعماء البشكنس قبل ظهور الأسرة المالكة في نبّره بعد ذلك – المتحالفة مع قوات الفونسو الثاني ، وبعد معركة عنيفة استمرت ثلاثة عشر يوماً اندحرت قبائل البشكنس وقتل أحد زعمائها المعروف بشانجه فارس بمبلونه . (2)

جنحت نبّره بعد هذه الضربة الموجعة للسلم خاصة وأن الجبهة الإسلامية الداخلية شهدت انتعاشاً زمن عبدالرحمن الثاني ونجحت في التصدي لملوك جليقية هذا عدا عن تعرض بمبلونه نفسها عام (٢٠٩هـ/٨٢٣م) لهجوم الجيش الفرنجي بقيادة أزنار وابلو فاستغاثت بجيرانها المسلمين من حكام الثغر الأعلى المرتبطين معهم بروابط المصاهرة ، واستطاعت قوات البشكنس تساندهم القوات الإسلامية من دحر الجيش الفرنجي وإلحاق الهزيمة به. (3)

وبرأيي أن حكومة قرطبة ارتكبت خطأً جسيماً حين مدت يد العون للبشكنس ضد الفرنجة وكان الأولى بها أن تترك كلا الطرفين يقتتلان حتى يقضي أحدهما على الآخر وترتاح من شر أي منهما بدلاً من أن تضحي بدماء غالية وأموال طائلة لنصرة البشكنس الذين هرعوا –وكعادتهم عندما يشعرون بضعف – لإرسال السفارات إلى قرطبة حيث أبرم اتفاقاً بين الطرفين يضمن مساعدة المسلمين لنبرّه في صد أي إعتداء خارجي عليها، مقابل السماح لهم بعبور جبال البرنيه في طريقهم إلى جنوب فرنسا متى شاؤوا . (4)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص١٤٩ ؛ العمايرة ، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٦٢ .

(2) النويري، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٧٣ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٧٥.

(3) أرسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب، ص ١٤٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ق١ ص ٢٥٣ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٤٩-١٥٠ .

لكن نصارى الشمال وكعهدنا بهم لم يحترموا عهداً أبرموه فحالما أتيحت لهم الفرصة تحالفوا مع أصهارهم بني قسي ضد قرطبة (1) ، أما عن أسباب الخلاف بين بني قسي وأمراء قرطبة فتعود إلى خلاف داخلي بين قادة الجيش الإسلامي ، ففي طريق عودتهم إلى قرطبة بعد إحرازهم نصراً كبيراً على جيوش الفرنجة عام (٢٢٦هـ/٨٤١م) حدث أن صدرت عن جرير ابن موفق أحد قادة الجيش معاملة قاسية نحو موسى بن موسى مما أغضبه وجعله يفكر في الانفصال، وما لبث أن نفذ ما جال بفكره فعلاً واتجه إلى تطيله وأعلن خروجه عن طاعة عبدالرحمن الثاني(2). الأمر الذي لم تسمح به قرطبة فوجهت إليه جيشاً بقيادة الحارث بن يزيع (3) فنجح في هزيمة قوات موسى وقتل ابنه ، وظل يضيّق عليه الخناق حتى تمت المفاوضات بين الطرفين على أن يتخلى موسى عن تطيله ويسلمها للحارث مقابل تركه حراً يتوجه مع أتباعه إلى مكان آخر ، فغادر إلى أرنيط (Arnedo) بينما دخلها الحارث (4) . لكن الحارث ما لبث أن نقض ذلك الاتفاق وسار لحصار موسى من جديد في أرنيط ، فاستنجد موسى بأمير بمبلونه غرسيه بن ونقه (Garcia Iniquez) فاستجاب له واتفق الطرفان على الحرب وفاجأا الحارث بالكمائن وأحدق به الجند من كل جانب ، وحدثت معركة عنيفة كان النصر فيها حليف موسى وغرسيه وأصيب الحارث في المعركة بضربة أفقدته إحدى عينيه ثم وقع أسيراً بأيديهم . (5)

إزاء ذلك صمم عبدالرحمن الثاني على القضاء على تلك الحركة فوجه ابنه محمد على رأس جيش كبير في عام (٢٢٨هـ/٨٤٣م) فحاصر موسى بتطيله حتى قبل الصلح وأطلق سراح الحارث بن يزيع وبقية الأسرى فلحقوا بعبدالرحمن الذي اتجه نحو بمبلونه وأخضعها . (6)

---

(1) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٣٠ .

(2) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨١ ؛ المقري ، نفح الطيب، ج١ ص ٣٤٥ .

(3) حارث بن يزيع : أحد كبار قواد عبدالرحمن الأوسط بن الحكم، عاش أبوه يزيع في دولة عبدالرحمن الداخل وذلك أنه لما قام حيوه بن الملامس بالثورة في إشبيليه على الأمير الداخل ، وثار معه عبدالغافر اليحصبي ودارت الهزيمة على هذين في سنة (١٥٤هـ) قام عبدالرحمن بشراء عدد من العبيد ممن حسن بلاؤهم في المعركة ، وكان من بينهم يزيع والد الحارث . ينظر : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٩٩ ؛ العذري ، نصوص عن الأندلس، ص٣٠؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٤٣ .

(4) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ص ٣٨٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٥ .

(5) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٥ .

(6) العذري ، نصوص عن الأندلس، ص ٣٠؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٥ .

ويبدو أن الأمير لم يكن واثقاً من دخول موسى في الطاعة فنراه في العام التالي يقود جيشاً يتجه به لحصاره من جديد في تطيله حيث يلتقي بقواته مجتمعة مع قوات حليفه الملك غرسيه فيخوض معهما معركة عنيفة يحرز فيها نصراً كاسحاً ،وفرّ موسى وحليفه جريحين (1) مما اضطر أمير بمبلونه لطلب الصلح والأمان فعقد له الأمير الأمان وأقره على بلده شرط أن يؤدي الجزية ومقدارها سبعمائة دينار كل عام ، كما دخل بالأمان أيضاً كونت سردانيه على شرط أن يرد هو وأمير نبّره جميع ما بقي عندهما من سبي وشقه . (2)

ولم يعد موسى بن موسى يقوى على مجابهة قوات الأمير، فعرض الدخول في الطاعة، فوافق الأمير مقابل تسليم رهائن ، فسلمت وكان من بينها ابن الثائر فقبلها الأمير ورضي بإبقاء موسى حاكماً على تطيله ، وكان عبدالرحمن بحاجة إلى مثل هذا الصلح إذ وردت إليه أنباء نزول النورمانديين عام (٢٣٠هـ/٨٥٩م) على سواحل الأندلس فاستعان الأمير في صدهم بقوات موسى مما يدل على أن الرجل أخلد فعلاً للطاعة ولو لبضع سنوات على الأقل . (3)

وفي عام (٢٣٧هـ/٨٥٢م) وخلال المعركة التي عرفت باسم وقعة البيضاء قتل ينقه ابن ونقه أخو موسى لأمه وحليفه في ثورته السابقة . (4)

حتى إذا كان عام (٢٤٦هـ/٨٦٠م) وجه الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) حملة لغزو بمبلونة وصاحبها يومئذٍ غرسيه بن ونقه الذي كان متحالفاً آنذاك مع اوردونيو صاحب جليقية –بينما كان موسى بن موسى في طاعة قرطبة – (5) . وأقام الجيش الإسلامي في تلك النواحي أكثر من شهر (اثنين وثلاثين يوماً) يخرب ما أمامه ويفتح المدن والحصون منها حصن فيروس وفالحسن والقشتل . (6)

---

(1) ذكر المقري أن غرسيه قتل مع عدد كبير من جنوده ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٥ .

(2) العذري ، نصوص عن الأندلس، ص ٣٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٥٧ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٨٧ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٢٢٧ .

(4) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٥٧ ؛ الصوفي ، خالد، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الامارة) ، ص ٢٠٨ .

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٩٧ ؛ المقري ، نفح الطيب، ج١ ص ٣٥١ .

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٩٧ ؛ النويري، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٩ .

ومن أهم أحداث تلك الحملة وقوع فرتون بن غرسيه أسيراً بيد المسلمين ، فحملوه معهم إلى قرطبة حيث بقي فيها عشرين سنة قبل أن يصدر الأمير محمد تعليماته بالإفراج عنه ورده إلى بلده. (1)

الضربة الموجعة التالية جاءت لنبرة من قبل جارتها القوية ليون ، إذ قتل ملكها غرسيه في معركة حامية بين الطرفين مما كان له أثر كبير في إضعاف هذه الإمارة ، فعاشت فترة من الزمن لم يظهر لها أي نشاط سياسي أو عسكري (2) ، وبما أن حملات قرطبة ضد الإمارات النصرانية الشمالية كانت دفاعية بالدرجة الاولى فقد توقفت حملات قرطبة ضدها فترة من الزمن قبل أن تستأنف من جديد عام (٢٥٩هـ/٨٧٣م) وتلتها حملة أخرى عام (٢٦٠هـ/٨٧٤م) استهدفت بمبلونه أيضاً ، وحملة ثالثة تحمل تاريخ عام (٢٦٤هـ/٨٧٨م) ، وليس في هذه الحملات أي أحداث هامة فقد استهدفت إضعاف العدو وإيقاف هجماته وتوسعه على حساب الأراضي الإسلامية. (3)

انشغل الأمراء الأمويون في النصف الثاني من عصر الإمارة بتدهور الأوضاع في جبهتهم الداخلية ولم يتمكنوا من التصدي لنصارى الشمال الإسباني ، فحل محلهم في هذا المجال بعض القادة والولاة في الثغر الأعلى خاصة أسرة بني قسي وزعيمها آنذاك لب بن محمد الذي ألحق هزيمة نكراء بجيوش الفونسو الثالث وجيوش نبرة المتحالفة معه عند وادي برجة حيث أراضي بني قسي . (4)

وفي عام (٢٩١هـ/٩٠٤م) هاجم حصن بايش (Baeza) في مقاطعة ألبه وفي هذه الأثناء كان ألفونسو يحاصر حصن غرنون ، فلما بلغه دخول محمد بن لب إلى أراضيه فك الحصار وعاد إلى مركز حكمه . (5)

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٩٧ ؛ النويري، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٥١.

(2) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٥٣ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٠١-١٠٢ ؛ المقري ، نفح الطيب، ج١ص ٣٥١ .

(4) العذري ، نصوص عن الأندلس، ص ٣٧ ؛ أبو مصطفى ، كمال السيد، المولدون في منطقة الثغر الأعلى، (بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس) ، ص ٦٩ .

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ١٤١ .

وصعّد لب بن محمد نشاطه في ناحية بليارش شمال الثغر الأعلى ، وفتح هناك حصن لحرونفه وحصن إيلاس وحصن قشتيل شنت وحصن موله وقتل في هذه الحصون ما يقرب من سبعمائة من المدافعين عنها كما وقع في يده ألفاً من السبايا. (1)

وكان آخر لقاء له مع ملوك نبّره عام (٢٩٤هـ/٩٠٧م)إذ خرج إلى جهات بمبلونه فنزل في نهوره وشرع في بناء حصن هرين فجمع له ملك نبّره الجديد شانجه غرسيه الأول(٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م)جموعاً غفيرة واستعان بالسرطانيين ونصبوا له الكمائن واستدرجوه حتى قتلوه.(2)

ولم تنته متاعب ملوك نبّره مع حكام الثغر الأعلى بوفاة لب بن محمد، ففي السنة نفسها هاجم محمد بن عبدالملك الطويل زعيم أسرة بني الطويل المولدين من جهات برطانيه وافتتح بعض الحصون ، ووقع في يده عدد من السبي (3)، وأعاد الكرة بعد عامين وتحديداً عام (٢٩٦هـ/٩٠٩م) فهاجم منطقة بليارش وأوقع بأهلها ، ووفد عليه رسل أهل حصن روطة ، يعرضون عليه الصلح ويعطونه الرهائن والجزية ، فلم يجبهم إلى ذلك ، فخرجوا هاربين من الحصن وأخلوه ، فهدمه، وفي نفس العام تغلب على حصن مُنت بطروش وهو المعروف بجبل الحجارة. (4)

وتابع هجماته في العام التالي (٢٩٧هـ/٩١٠م) إلى المنطقة ذاتها، فافتتح حصن اوريواله (Orihuelo) وأصاب ثلاثمائة من السبي وقتل عدداً كبيراً من الجند ، وقبل أن يغادر هذا الحصن هدمه وتقدم إلى حصن غلتير والغيران فهدمهما وكان مقدار الغنائم في هذه الحملة ما قيمته ثلاثة عشر ألفاً . (5)

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ١٤١ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ٣٢٤ .

(2) العذري ، نصوص عن الأندلس، ص٣٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٣ .

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٣ .

(4) م . ن ، ج٢ ص ١٤٥ ؛ الصوفي ، خالد، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ،ص ٣٢٤.

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٦ .

وفي العام (٢٩٨هـ/٩١١م) ظهرت بوادر تعاون مشترك بين أسرة بني قسي وأسرة بني الطويل ضد نبّره ، إذ خرج محمد بن عبدالملك الطويل إلى أرغونه في طريقه إلى بمبلونه على أن يجتمع هناك مع عبدالله بن محمد بن لب الذي كان قد خلف أخاه لب بن محمد في حكم تطيله عام (٢٩٤هـ/٩٠٧م). وعندما وصل إلى حصن البربر أمر بإحراق ما حوله ومن ضمن ما أحرقه كنائس تلك المنطقة ، ثم تابع سيره واحتل أحد الحصون التابعة لنبره ويعرف بشار قشتيله ، ولكن عند سماعه بتحرك قوات ملك نبره تخاذل وفضل الانسحاب ، ولما بلغ ذلك عبدالله بن لب صرف جهده إلى محاصرة حصن لوازة أحد حصون ملك نبره وقتل وسبى وعاد من حيث أتى مكتفياً بذلك ، وهكذا لم يتمكن ابن الطويل وابن قسي من القيام بعمل ناجح ضد نبره . (١)

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٤٨ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٥٥ .

ثالثاً: العلاقات مع قطلونية (Catalonia) (برشلونة) (Barcilona) :

بعد حملة شارلمان الفاشلة على الأندلس عام (١٦١هـ/٧٧٧م) نراه يُعنى بتنظيم مقاطعة اكيتانيا في الجنوب لكي يقع على عاتقها العبء الرئيسي للدفاع عن فرنسا ضد أي محاولة للتوغل يحاول حكام قرطبة القيام بها. (1)

بعد ذلك ساد الهدوء حدود الدولتين العربية في الأندلس والفرنجية في فرنسا ، فلم يعرف عن الأمير عبدالرحمن الداخل أنه قام بأي غزوة في أراضي الفرنجة ، كما أن شارلمان لم يعد إلى التدخل في شؤون الأندلس ولو لبعض الوقت. (2)

وفي العام (١٧٧هـ/٧٩٣م)تأهب هشام لمحاربة الفرنج واستئناف الجهاد ضدهم،فسيّر إليهم حملة ضخمة بقيادة عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث،فعبر البرنيه من جهة قطلونية،واستطاع أن يخرب جيرونه (جرندة)ويثلم أسوارها وكان الفرنجة قد استولوا عليها منذ العام (١٦٩هـ/٧٨٥م)(3)

واستولى الحاجب بن عبدالملك بعد ذلك على عدد من المعاقل والحصون ، ثم مضى إلى أربونه قاعدة الثغر الإسلامي القديم في سبتمانيا ، وظل شهوراً يحرق القرى ويخرب الحصون ووطأ أرض شرطانية (Sardaigne) . (4)

تذكر الرواية الإسلامية أن المسلمين افتتحوا خلال تلك الحملة أربونة (5) ، ولكن الروايات الفرنجية تنكر هذا الفتح ، وتذكر أن المسلمين ارتدوا عن أربونة لمناعتها إلى قرقشونة . (6)

---

(1) الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ٩٢ .

(2) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٠-٣٣١ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ١٨٠ ؛ الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، (عصر الإمارة) ، ص ٩٣ .

(3) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٧ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٠ .

(5) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٧ .

(6) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ١٨٠ .

وكان شارلمان مشغولاً آنذاك بمحاربة السكسونيين ، فتصدى للحملة الإسلامية ولده لويس أمير اكيتانيا ،بأن أوفد لمحاربتهم جيشاً بقيادة جيوم كونت تولوز ، فالتقى الفريقان في مكان يسمى "فيل دني" على ضفاف نهر أوربينا بين أربونه وقرقوشه ، ونشبت بين الطرفين معركة غير حاسمة ارتد على أثرها المسلمون إلى الجنوب مثقلين بالغنائم والسبي (1) ، وقدرت أخماس السبي وحدها بخمسة وأربعين ألفاً من الذهب العين (2) ، وبالغت بعض المصادر حين ذكرت أنه بلغ من شدة تحكم هذا القائد أن اشترط على المعاهدين من أهل جليقية نقل عدد من أحمال التراب من سور أربونة إلى باب قصر الإمارة بقرطبة ، ومنها بني المسجد الذي يقع تجاه باب الجنان أحد أبواب قصر الإمارة . (3)

أوافق الرأي الذي استبعد إمكانية حدوث مثل هذا الأمر على أساس بعد أهل جليقية الذين يعيشون في أقصى الشمال الغربي عن أربونه التي تبعد عنها آلاف الأميال وتقع في إقليم سبتمانيا شمالي جبال البرنيه بمسافة كبيرة وعلى الأرجح أن هذا الشرط فرض على أسرى مدينة أربونة . (4)

إن انشغال قرطبة بأحوالها الداخلية أتاح الفرصة للفرنجة لأن تعبث بثغور المسلمين فاستولوا على برشلونة سنة (١٨٥هـ/٨٠١م) ، واتخذوا منها قاعدة للثغر القوطي الذي نما فيما بعد وغدا إمارة نصرانية قوية هي إمارة قطلونية ، وارتدت حدود الإسلام إلى الثغر الأعلى ، بعد أن كانت تجاوز جبال البرنيه . (5)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٠ .

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٢٤ .

(3) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٣٧ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢١٧ ؛ نوار ، صلاح الدين ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٣-١٧٤ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٣٥ .

(5) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٦٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٨٨ .

وفي سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م) ملك الفرنجة مدينة تطيله (Tudela) ، وسبب ذلك أن عمروس ابن يوسف (1) قام بعدة حملات متكررة على مناطق النصارى وأوقع بأهلها ، غير أن جيوش النصارى تكاثرت عليه ، فخرج منهزماً وهم يطاردونه حتى التجأ إلى حصن تطيله وامتنع به ، بينما رجع عنه النصارى خوفاً من التعرض لمزيد من المخاطر من جانب المسلمين ، وعقب ذلك قام عمروس بتعمير وتحصين تطيله وأسند حكمها إلى ابنه يوسف . (2)

وكان بنو قسي في ذلك الوقت خارجين عن الطاعة وحلفاء لأصهارهم بني ونقة النصارى ملوك نبره ، لذلك حرضوهم على مهاجمة تطيله وأعانوهم وحلفاءهم الفرنجة على ذلك ، وبهذه المعونة تمكن الفرنجة من دخولها عنوة وأسروا وإليها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس بأراضي بنبلونه ، وعندما بلغ عمروس ذلك، لم يتردد في إرسال حملة كبيرة بقيادة ابن عمه شبريط المولد والي وشقه فتمكن من الإيقاع بالنصارى وتحرير يوسف بن عمروس من الأسر. (3)

كذلك شارك عمروس في الحملات التي سيرها الأمير الحكم ضد الفرنجة ،حيث تشير المصادر إلى أن الفرنجة بقيادة لويس التقي بن شارلمان هاجموا منطقة الثغر الأعلى ، وحاصروا مدينة طرطوشة سنة (١٩٣هـ/٨٠٩م) فبعث إليهم الحكم جيشاً بقيادة ابنه عبدالرحمن وانضمت إليه قوات الثغر بقيادة عمروس والي سرقسطة وعبدون والي طرطوشه ، ودارت بين المسلمين والفرنجة معركة انتهت بهزيمة الفرنجة وإنقاذ طرطوشه . (4)

---

(1) عمروس بن يوسف الوشقي : لعب دوراً هاماً في عهد الأمير الحكم الربضي ، وكان عمروس هذا قد اكتسب ثقة بني أمية ، فولاه الأمير الحكم على طلبيرة ، ثم نقله إلى ولاية طليطلة لإخماد ثورات المولدين بهذه المدينة ، ونجح في ذلك حيث أوقع بزعماء الثورة بطليطلة في وقعة الحفره الشهيرة سنة (١٨١هـ/٧٩٧م) ، بعد ذلك أسند إليه الحكم حكم سرقسطة في منطقة الثغر الأعلى للقضاء على ثورة بهلول بن مرزوق فنجح في ذلك ، وأعاد الأمن والاستقرار إليها بعد فترة من الفتن والاضطرابات طال أمدها . ينظر : العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٧-٢٨ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ١٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦١ .

(2) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٦٣ .

(3) ابن الأثير ، الكامل، ج٦ ص ١٨٧-١٨٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٦٣-٣٦٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ج٦ ص ١٦١ ولطلق ابن خلدون على الصخرة اسم صخرة قيسر .

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ص ٧٢-٧٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٦٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٣ ، وجاء رسم المدينة عنده طرسوسه .

حاول الحكم استرجاع برشلونه، فأرسل عبيدالله بن عبدالله البلنسي بالصائفة عام (١٩٥هـ/٨١١م) فهاجم برشلونة وهزم الفرنجة لكنه لم يحرز فتوحاً ثابتة (1)، وشعر الفرنجة، كما شعر المسلمون بعقم هذه الحملات، فآثر كلا الطرفين التفاهم والمهادنة، وهكذا عقد السلم بين الحكم وشارلمان، واستمر معقوداً حتى وفاة شارلمان، بعد ذلك بأعوام قلائل في سنة(١٩٩هـ/٨١٤م)(2)

اعتلى لويس بن شارلمان العرش بعد وفاة والده (١٩٩-٢٢٦هـ/٨١٤-٨٤٠م) ، وفشلت جهود الحكم في السيطرة على منطقة الثغر الإسباني مما اضطره للاعتراف رسمياً عام (٢٠١هـ/٨١٦م) بسيطرة الفرنجة على برشلونة. (3)

واستعان أمراء الثغر الإسباني الفرنجة ضد بعضهم البعض بالأمير عبدالرحمن الثاني ، وذلك أن ايزون (Aison) – أحد النبلاء القوط المنحدرين من سلالة القوط – ثار ضد برنارد بن جيوم كونت تولوز في إقليم برشلونة سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م) ، واستولى على عدد من المدن والحصون مثل حصن اوسونه ، واستنجد بالأمير عبدالرحمن ضد أبناء جلدته الفرنجة . (4)

انتهز الأمير عبدالرحمن هذه الفرصة ، وقام بإرسال عبيدالله البلنسي على رأس صائفة عام (٢١٢هـ/٨٢٧م) لمحاصرة برشلونة ، فاستمات حاكمها برنارد في الدفاع عنها ولم يُمكن عبيدالله من فتحها ، فاضطر إلى رفع الحصار عنها ، واجتاح ولاية قطلونية حتى جرندة في أقصى الشمال ، ثم عاد إلى قرطبه بعد غياب دام شهرين دون أن يستطيع تحقيق نتائج حاسمة . (5)

عانت مملكة الفرنجة بعد وفاة لويس التقي فترة من الفوضى والاضطرابات السياسية نتيجة الصراع على العرش بين شارل الأصلع (٢٢٦-٢٦٤هـ/٨٤٠-٨٧٧م) الذي ورث عرش والده وبين ابن أخيه ببين الثاني ملك اكتانيه الذي طلب مساعدة المسلمين . وأرسل كونت تولوز المسمى غليالم بن برباط بن غليالم إلى قرطبة ، يلتمس العون والتأييد ، فاستقبله الأمير عبدالرحمن الأوسط بترحاب شديد ، وأرسل جيشاً بقيادة عبدالكريم بن مغيث إلى برشلونه تمكن من إخراج شارل الأصلع من معظم مدن قطلونيه .

---

(1) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ١٥ ؛ ويجعل سنة سبع وتسعين ومائة تاريخاً لهذه الحملة ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٧٤ . ويجعلها سنة (١٩٩هـ/٨١٤م) .

(2) عنان ، دولة الإسلام ، ع١ ق١ ص ٢٣٨ .

(3) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٥٦ .

(4) م . ن ، ص ١٥٦ .

(5) ابن الأثير ، الكامل، ج٦ ص ٤٠٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٨٣ .

وعين غليالم حاكماً لبرشلونه (1)،وكان الأمير قد كتب لعامله على طرطوشه عبدالله ابن يحيى ، وعامله على سرقسطة عبدالله بن كليب، في إمداده وتأييده في ثورته ضد ملك الفرنجة.(2)

بعد عودة الجيش الإسلامي إلى قرطبة فتح المجال أمام شارل الأصلع لترتيب أموره وجمع قواته من جديد وتمكن من إنزال الهزيمة بمعارضيه وقتل غليالم (غليوم) لتحالفه مع المسلمين وفتح أبواب برشلونه لهم (3) ، فأرسل الأمير عبدالرحمن عام (٢٢٧هـ/٨٤١م) جيشاً بقيادة عبيدالله البلنسي ، فلما وصل بين أربونه وسرطانيه ، فوجئ بالأعداء يحيطون به من كل ناحية عندما بدأ الليل يرخي سدوله ، فاضطر المسلمون للقتال طوال الليل ومع انبلاج الصباح بدأت هزيمة العدو تظهر . (4)

كانت الأمور تسير لصالح الفرنجة باستمرار حتى أن الأمير الجديد (محمد بن عبدالرحمن) أخذ يكلف عماله على الثغر الأعلى بمهمة مقارعة الفرنجة ، فكتب إلى موسى بن موسى القسوي بأن يحشد قواته ويهاجم برشلونه ، فدخلها موسى عام (٢٤٢هـ/٨٥٦م) وحارب قلاعها وتجاوزها حتى وصل حصن طراحه وهو آخر حصون برشلونه ، ثم عاد إلى سرقسطة بعدما امتلأت يداه بالغنائم ، ومن خمس غنائم ذلك الحصن بنيت الزيادة في المسجد الجامع بسرقسطة ، وكان الذي أسسه التابعي حنش الصنعاني . (5)

وفي العام(٢٤٧هـ/٨٦١م) اتجه القائد محمد بن السليم إلى برشلونه،وكان موسى بن موسى قد كتب للأمير محمد يذكر له ما ناله وجماعته من التعب والنصب في قتال العدو ويطلب إليه أن يكون دخول الجند من غير منطقته، فأجيب إلى طلبه واتبع الجيش الإسلامي طريقاً آخر.(6)

وعند وصول هذا الجيش إلى برشلونه ، أرسل أهلها يطلبون المدد من ملك الفرنجة ، فأرسل لهم جيشاً كبيراً مما اضطر المسلمين بدورهم لطلب المدد ، فوصلهم . (7)

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص ٣٤٦ .

(2) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص١٤٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع١ق١ ص ٢٦١-٢٦٢ .

(3) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٥٧ .

(4) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٦ ؛ الصوفي، خالد ، تاريخ العرب في الأندلس، (عصر الإمارة) ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٦٥-٦٦ .

(6) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٩ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٩٧ .

(7) م . ن ، ج٢٣ ، ص ٣٨٩ .

واقتتل الطرفان حتى انهزم الفرنجة واستولى المسلمون على أرباض المدينة وبرجين من أبراجها ، وقتلوا الكثير من الفرنجة وعادوا ظافرين (1)، إزاء هذه الضربات الموجعة المتكررة التي أنزلت بالفرنجة وجد الملك شارل الأصلع نفسه مضطراً لأن يوقع الصلح مع الأمير محمد عام (٢٥٠هـ/٨٦٤م) ، تعهد من خلاله ألا يعود لمساعدة نصارى الشمال الإسباني ، بالمقابل لم يعد المسلمون يرسلون حملات مستمرة منتظمة لمحاربة ملوك الفرنجة، لكنهم كانوا يضطرون أحياناً للإغارة على هذه المنطقة حتى أنهم وصلوا جبال البرنيه (2) ، ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنه في عام (٢٧٠هـ/٨٨١م) شرع اسماعيل بن موسى ببناء وزيادة تحصينات مدينة لاردة ، ومعروف أن لاردة تقع على مسافة قريبة من برشلونة الأمر الذي أقلق كونت برشلونة فخاف من هجمات مسلمي لاردة إذا تم لهم تحصينها ، فجمع جموعه واشتبك مع اسماعيل لكن النصر كان حليف المسلمين في هذه الموقعة . (3)

زادت الأوضاع المتردية للدولة الإسلامية من جرأة العمليات التي استهدفت المناطق الإسلامية وهدفت إلى إلحاق أكبر قدر ممكن من الدمار ، فقاد شنير (Sunier) كونت امبروس (Ampirus) عام (٢٧٦هـ/٨٨٩م) حملة بحرية مكونة من خمس عشرة سفينة حربية أغارت على ساحل المريه ، وأحرقت الكثير من السفن الإسلامية الراسية هناك ، فتصدى لها أهالي بجانه ، وقاوموا الغزاة حتى تم الصلح على أن يغادر هؤلاء الغزاة ولا يعودوا مرة أخرى . (4) وتولى شنير حكم برشلونة بعد مقتل والده المدعو عنقديد عام (٢٨٤هـ/٨٩٧م) في غارة شنها لب بن محمد القسوي صاحب الثغر الأعلى على حصن اتوره من أعمال برشلونه . (5)

وفي العام (٢٩٩هـ/٩١١م) خرج محمد بن عبدالملك الطويل إلى برشلونة فأغار على تلك الجهات وعند وصوله إلى وادي طراده كان شنير قد سبقه وأعد له الكمائن في الجبال، لكن ابن الطويل تمكن من هزيمته وقتل عدد كبير من خصومه ، لكن الدائرة دارت عليه حيث قتل في العام التالي خلال حملة جديدة قادها إلى قطلونية . (6) وهكذا بقيت هذه المناطق خارجة عن حكم المسلمين رغم كل الجهود التي بذلوها لإخضاعها.

---

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٨٩ .

(2) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٥٨ .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص ١٦٩ .

(4) عبدالحليم،رجب،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية،ص١٥٩بوتشيش،ابراهيم،مجلة المؤرخ العربي،ع ٣٤ ص ١٧٩

(5) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٦٠.

(6) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص١٤٩؛ أبو مصطفى، كمال السيد، المولدون في منطقة الثغر الأعلى، (بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس)، ص ٧١ .

بعد دراسة وتحليل الروايات التاريخية التي أمدتنا بأخبار الحملات العسكرية التي جردتها قرطبة نحو الشمال الإسباني، أول ما يستوقفنا أنها اتخذت شكلاً تقليدياً وزمناً ثابتاً وهو إرسال صائفة كل عام تقريباً ، كما أنها وردت بإيجاز شديد، وغير واضح تماماً سبب ذلك وعلى الأرجح أنها لم تكن معارك ذات نتائج حاسمة.

فحرب المسلمين ضد نصارى الشمال كانت حرباً وقائية بالدرجة الاولى ، فالمسلمون في الغالب لم يجردوا الحملات إلى الشمال الإسباني الا لرد عدوان أو حماية الثغور، مما أعطى نصارى الشمال الفرصة لإعادة ترتيب صفوفهم لاستئناف حربهم ضد المسلمين من جديد.

ويبدو من خلال تركيز الروايات على حصول المسلمين على الأسلاب والغنائم ، ما يدعو للقول إن المكاسب المادية كانت إحدى الدوافع وراء تجريد الحملات للشمال ، خصوصاً وأن نسبة كبيرة من الجيش النظامي كان من الجنود المرتزقة، كما أنه استخدم النصارى بشكل واضح في جيوش الدولة الإسلامية . (1)

وواضح رغم عبارات التعظيم والمبالغة التي استخدمها مؤرخونا لتضخيم دور الأمراء الأمويون الجهادي أنها لم تتعد كونها استعراض عسكري كان هدفها إظهار قوة قرطبة وفرض السلطة والهيبة وتوفير الأمن لسكان الثغور ثم العودة سريعاً للجنوب حيث التمردات والثورات المتلاحقة، ولم يكن هدفها على الإطلاق القضاء على الدويلات النصرانية فذلك لم يعد ممكناً لعدم توفر الوقت والإمكانيات.

فحكومة قرطبة كانت تركز نفقاتها في إصلاح البلاد وإعمارها بدلاً من الانفاق على الحملات العسكرية (2) التي كانت مكلفة جداً بالنسبة لقرطبة بحيث كان عليها أن تقطع مسافات شاسعة قبل أن تصل مناطق الحدود ، الأمر الذي شكل استنزافاً لثرواتها البشرية والمادية.

وأصبح الأمراء الأمويون منذ النصف الثاني من عصر الإمارة يلوذون إلى السلم استسلاماً ورهبة ، والملاحظ أن المعاهدات السلمية لم تقم على قدم المساواة ، كما أنها كانت عرضة للخرق من جانب القوى النصرانية عندما لا تستجيب لمصلحتها أو رغبتها. (3)

---

(1) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى، ص ١٦٠-١٦١ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٧٢.

(2) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٧٤ .

(3) يونشيش ، ابراهيم ، الإنحسار العربي في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٤ ص ١٨٠ .

وربما كان لمذهب الامام مالك أثر في ذلك، فهو من القائلين بجواز الصلح وإن كان لغير ضرورة معتمداً على قوله تعالى :" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله " . (1) اذن كانت حروب المسلمين تهدف قبل كل شيء إلى الدفاع عن النفس والمحافظة على المصالح ، وهكذا تحكمت مقاصد دنيوية في توجيه مضمون الجهاد والانحراف به عن معناه الأساسي . (2)

أما عن ممالك إسبانيا النصرانية فقد اضطرمت نار الاسترداد في اشتوريس أولاً ثم في سائر الممالك الشمالية الصغيرة ، غير أن هدفها في البداية ليس الاسترداد لمجرد الرغبة في الحرية ، ولا نشأت نشأة واعية من حماسة لنشر المسيحية والدفاع عنها ضد المسلمين ، فينبغي الحذر من أن يُسقط على الماضي ما ينتمي إلى عصور لاحقة ، وقد رأينا المرة تلو المرة أنهم لا يكترثون لفوارق الدين. بيد أن أهل الشمال خلال حروبهم من أجل الحرية أولاً ثم من أجل مد حدود سلطانهم قد تمسكوا أكثر فأكثر بالدين المسيحي ، ووجدوا في تقديس شانت ياقب مصدر قوة خارقة تشد ازرهم في المحن وتهبهم أملاً في نصر نهائي . (3)

كان نصارى شمال إسبانيا رجال حرب وجلاد ، لا يقل نزوعهم إلى القتال عن نزوع أعدائهم المسلمين، وقد يفوقونهم في استعدادهم للنضال واحتمالهم الحرب الطويلة الأمد ، وفي جرأتهم اليائسة المستميتة . (4) كما كان ملوك النصارى كما لاحظنا يقودون المعارك بأنفسهم ، مما كان له تأثير كبير على معنويات الجنود .

وبلغ من شدة تردي الأوضاع الداخلية في الجنوب أن بدأ المسيحيون حربهم ضد المسلمين بالهجوم عوضاً عن الدفاع لايقاف الحملات الإسلامية التي كانت تمطر مواقعهم الأمامية بالحملات المكثفة ، وأعطت هذه الخطة ثمارها في النصف الثاني من عصر الإمارة ، حيث بدأت حملات المسلمين تتميز بالقلة والضعف فضلاً عن أن خسائر المسلمين لم تكن بالهينة حتى عندما انتقلت مهمة الدفاع عن الثغور الإسلامية إلى الإمارات المستقلة في الثغور –لم تنجح مهمتها – وتساقطت الواحدة تلو الأخرى أمام هجمات الممالك النصرانية، بسبب الوهن الذي أصابها من جراء حروبها المستمرة وتفاقهم مشاكلها الاقتصادية . (5)

---

(1) سورة الأنفال ، آية ٦١ .

(2) مفتاح ، محمد ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي، مجلة عالم الفكر ، م١٢ ع١ ص ١٨٢ –١٨٧ .

(3) وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٧٩ .

(4) لين ، بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٧٣ .

(5) يونشيش، ابراهيم ، الإنحسار العربي في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٤ ص ١٧٨-١٧٩ .

واستفادت القوى المسيحية من معرفتها بجغرافية المنطقة وركزت ضرباتها على المواقع الاستراتيجية التي تخرج منها الهجمات ، كما استفادت من التحالفات مع الثوار المولدين وعرفت كيف تستغلها ودعمتها بوسائل مختلفة كالمصاهرة ، مدركة أهميتها في إضعاف الإمارة . (1)

وبعد أن تأكدت أن الأندلس أصبحت في موقف دفاعي بدأت تصعد من هجماتها حتى أصبحت دولتهم تشمل كل ما يقع خلف نهر دويرة ، ونصف المنطقة التي تقع بين نهر إبره وجبال البرنيه حتى تنتهي عند نقطة على ساحل المتوسط في منتصف المسافة بين برشلونة التي يسيطر عليها الفرنجة وبين طرطوشة آخر الثغور الإسلامية في تلك الناحية . (2)

---

(1) بوتشيش ، ابراهيم ، الإنحسار العربي في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٤ ص ١٧٩ .

(2) عبدالحليم، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ١٢٨ .

الفصل الرابع

العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية
وإسبانيا النصرانية في عصر الإمارة الأموية
(١٣٨- ٣٠٠ هـ / ٧٥٥-٩١٢م)

لم يكن العرب من المبتكرين العظام ، بل كانوا يقلدون بإتقان ويستوعبون بسرعة ويدمجون بشكل جميل ما يروق لهم من الثقافات الأكثر تحضراً والبلاد التي فتحوها ، وأضافوا إلى هذا الدمج عنصر الخفة والحس والروعة الذي تناقض بشكل كبير مع القوى الظلامية للحضارة المسيحية في العصور الوسطى . (1)

في البداية كانت أعظم عناصر قوتهم الشعب الفاتح النشيط ، وبينما كانت أوروبا ترزح تحت ظلال العصور المظلمة استطاعت الحضارة العربية الإسلامية من خلال الدين واللغة أن تستوعب الكثير من أفضل ما أنتجته الفلسفة اليونانية ، والقوانين وأنظمة الحكم الرومانية والفنون البيزنطية والفارسية واللاهوت اليهودي والمسيحي ، وتصهره في بوتقة الإسلام ، وأن تكسف كل شيء في أوروبا . (2)

لم يكن الفتح الإسلامي لإسبانيا حدثاً عسكرياً بقدر ما كان حدثاً حضارياً امتزجت فيه حضارات سابقة كالرومانية والقوطية مع الحضارة الإسلامية ونتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة وصلت إلى الفكر الأوروبي وأثرت فيه ، كما تغلغلت في الحياة الإسبانية وتركت فيها آثاراً عميقة . (3)

فالحضارة الأندلسية إذاً لم تنشأ فجأة من تلقاء نفسها ، بل مرت بأدوار مختلفة ، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية باعتبارها عضواً من الجسم الحضاري الديني الإسلامي الضخم ، مع وجود تدابير تكيف إضافية وأنماط حياة تتلائم مع ظروف شبه الجزيرة التي نشأت فيها . (4)

ولا شك أن وضع الأندلس الجغرافي في الأطراف الغربية البعيدة للعالم الإسلامي وبجوار الغرب المسيحي في قلب أوروبا قد جعلها في مواجهة مستمرة مع الدول اللاتينية المسيحية هناك، وهذا يجعلها بالتالي أكثر الدول الإسلامية معرفة وتأثيراً وتأثراً بها. (5)

---

(1) Crow,Spain the root and the flower, P 47

(2) وات، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٦؛ Crow, Spain the root and the flower, P 47

(3) العبادي ، أحمد مختار، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية ، ص ٢١ .

(4) وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٥ ؛ العبادي ، أحمد مختار، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسلامية ، ص ٢١ .

(5) العبادي ، أحمد مختار، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسلامية ، ص ٢١ .

والحقيقة أن تواصلاً قد تحقق بين عناصر أهل البلاد والفاتحين شاركت فيه حضارة كلا الطرفين . (1)

لقد قدم العرب الكثير من أنماط الحضارة المادية ، كما قدموا شيئاً من الدفع المعنوي ، ومع ذلك يبدو أن الطاقات الخلاقة التي أعطت المنجزات الفنية العظيمة في العمارة والأدب وغيرها من الفنون جاء بعضها من العنصر الأيبيري ، ويبدو أن حال الايبيريين مع الإسلام شابهت تماماً حال العبقرية الفارسية التي وجدت في الإسلام شيئاً أخصبها ومكنها من الازدهار . (2)

هذا التداخل المستمر بين الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة أعطى الأندلس طابعاً وشخصية مميزة ، فرغم العداء الكبير الذي كنه نصارى شمال إسبانيا للمسلمين والحروب الطاحنة التي استمرت بين الطرفين لمدة ثمانية قرون كانت سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان علىعقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين (3) بحيث يمكن القول بأن الحضارة الأندلسية ، حضارة إسلامية عربية إسبانية . (4)

تميزت الخلافة الأموية بالمشرق بتقديم ما هو عربي على ما هو إسلامي خالص، وهكذا كانت حضارة المسلمين الأوائل في الأندلس عربية أكثر مما كانت عليه إسلامية وبقيت سيطرة العنصر العربي صفة مميزة يبرهن على ذلك الاهتمام بالشعر العربي والنحو والاهتمام بتفاصيل الأنساب العربية ، واعتماد المذهب المالكي مذهباً رسمياً يصب في الاتجاه نفسه ، لأن هذا المذهب كان المذهب العربي الأكثر أصالة . (5)

إن الإشعاع الذي كانت تعكسه قرطبة على المسيحية الغربية لا يمارى فيه (6) ، وإذا استثنينا بيزنطة فلن نجد في أوروبا مدينة تساميها في جمال أبنيتها أو في حياتها الرخية المترفة ، أو فيما تزخر به من أنواع العلوم وفنون الآداب . (7)

---

(1) وات، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٧٧ ؛ بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٩.

(2) م . ن ، ص ١٧٧-١٧٨ .

(3) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٧١ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 50 .

(4) العبادي ، أحمد مختار ، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسلامية ، ص ٢١ .

(5) العبادي ، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٢١ ؛ وات مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٦.

(6) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس ، ص ٧٦ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٢٤ .

(7) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٢٣ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 56 .

وهذا يوصلنا إلى ضرورة معرفة القنوات التي عبرت من خلالها الحضارة الأندلسية إلى إسبانيا النصرانية .

أولاً: طرق انتقال التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية .

أ- اليهود :

لم يعد اليهودي خلال حكم المسلمين لإسبانيا ذلك العبراني المضطهد في العهد القوطي (1) ، وبعد قبول المسلمين لهم كجزء مكمل للثقافة الإسلامية في شبه الجزيرة أصبحوا فيما بعد مقبولين بنفس الشكل لدى ملوك إسبانيا النصرانية، فأصبح العديد منهم وزراء وشعراء وكتاباً . (2)

ولا تكاد قائمة أعمالهم تنتهي فنجد من بينهم خياطون وصباغون ونساخون للكتب ، وصانعو فضة وأطباء (3) ، باختصار كان اليهودي يقوم بأي شيء حتى أن هناك بعض النساء اليهوديات كانت تعمل نائحات في الجنائز المسيحية . (4)

كما قام اليهودي بالوظائف والأعمال التي كان يأنف منها النصراني الشمالي الذي كان يتحلى بنفسية تحاول التعبير عن نفسها بأعمال غير يدوية ، وشخصية تحاول أن تفرض نفسها من خلال الاندفاع والسيطرة . (5)

ومن المؤكد أن نسبة مرتفعة من التجارة كانت بين أيديهم، فتحكموا في تجارة النسيج والأحجار الكريمة ، كما اشتهروا بتجارة الرقيق وكانوا على استعداد للذهاب إلى أي مكان للحصول على الأرباح (6) . فكانوا يصاحبون الجيوش النصرانية كتجار ، ويتاجرون بكل ما تصل إليه أيدي الجنود من أسلاب وغنائم . (7)

---

(1) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ٦٤ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 111 .

(2) المراكشي، المعجب ، ص ١١٩؛ عبدالبديع ، لطفي، الإسلام في إسبانيا ، ص ٣٤ – ٣٥ ؛ أبو رميلة ، هشام ، الإسبان والحضارة الإسلامية ، ص ٦٦٣ .

(3) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٤١١ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 111 .

(4) Crow, Spain the root and the flower, P 111.

(5) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات ، ص ٤١٢ ؛ Crow,Spain the root and the flower, P 111 .

(6) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى، ص ٦٤ ؛ Hole, Andalus, P 51 .

(7) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤١٢

كان عددهم كبيراً وبخاصة في الثغر الإسباني ، وقد عُرفت طركونة (Tarragona) بمدينة إليهود (1) ، وفي برشلونة كانوا يعادلون النصارى كثرة (2) ، كما أقاموا في مدن هامة داخل أحياء خاصة مسورة دعيت بمعسكرات إليهود (Gastra Judaeorum) (3) ، مثل أحيائهم في قرطبة وطليطلة وغرناطة التي كانت تحتوي على مجتمع يهودي كبير حتى أنها سميت بمدينة إليهود، أما في لوسينا (اليسانه) فقد حققوا سيطرة كاملة . (4)

وكان لمعرفتهم بعدة لغات وتنظيمهم العالمي فائدة كبيرة منحتهم التفوق على الآخرين (5) فعكفوا على نقل الكتب العربية وترجمتها إلى اللاتينية (6) ، فكانوا بذلك من أهم وسائل الاتصال بين الدولتين الإسلامية والنصرانية في شبه الجزيرة.

كان الزواج المختلط بين إليهود والنصارى عرضة للاستنكار من الطرفين ، ولكن بالرغم من هذا الاتجاه القانوني والشعبي فقد كان هناك قدرٌ كبيرٌ من اختلاط الدم ، فكل الطبقة الأرستقراطية تقريباً في أواخر العصور الوسطى في إسبانيا يحملون شيئاً من الدم إليهودي في أوردتهم (7) ، اتخذوا زوجات يهوديات بسبب ثرواتهن وذكائهن وجمالهن . (8)

شابه الاتجاه العام نحو إليهود الاتجاه نحو الأقليات في المجتمعات الأخرى ، الحاصلة على امتيازات وهزات مختلفة ، ففي إسبانيا النصرانية كان المرضى مثلاً يبحثون عن طبيب يهودي ، الأ أن الغيرة والحسد من الثروة والنفوذ كانت تتغلغل في أعماق العقل الشعبي (9) ، خاصه أنهم أبدعوا في ممارسة الربا (10) الأمر الذي لم يحظَ برضا الكنيسة . (11)

---

(1) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس، ص ٦٣ .

(2) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٩٦ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٨٧ .

(3) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس ، ص ٦٣ .

(4) مذكرات ابن بلقين ، التبيان ، ص ٣٢ ؛ Hole , Andalus, P 51 .

(5) Hole, Andalus, P 51.

(6) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤١١ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس ، ص ٦٥ .

(7) Hole, Andalus, P 53 ; Crow, Spain the root and the flower, P 111.

(8) Hole, Andalus, P 53 .

(9) Crow, Spain the root and the flower, P 111.

(10) Hole, Andalus, P 52.

(11) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس، ص ٦٥ .

إشارة أخيرة لا بد من التنويه إليها ألا وهي أن إليهود الذين رحبوا بالفتح الإسلامي بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد من قبل دولة القوط البائدة نراهم ينحازون لجانب النصارى ضد المسلمين عندما انقلب ميزان القوى لصالح النصارى جرياً وراء المصالح التي تتحقق مع المنتصرين. (1)

ب-المستعربون (Mozarabs) :

هم النصارى الإسبان الذين أقاموا في دولة الأندلس الإسلامية ، وتعلموا اللغة العربية والآداب الإسلامية إلى جانب لغتهم المعروفة بالرومانسية (Romance) كما قلدوا العرب في أسلوب معيشتهم فاستعربوا لساناً وأسلوب حياة .(2) وصل بعض هؤلاء المستعربين الأندلسيين إلى مناصب مرموقة في الدولة الإسلامية في الأندلس نظراً لتسامح المسلمين الديني معهم . (3)

كان الأمر الهام بالنسبة للأمراء الأمويين الحفاظ على المجتمع المسيحي المستعرب كرمز لسيادتهم السياسية والدينية والاستفادة من المستعربين في حوارهم مع الدول المسيحية المجاورة ، حيث كانوا يقومون بدور السفراء والمترجمين . (4)

ويرجع الفضل الأكبر في نقل عناصر الحضارة الإسلامية إلى شمال شبه الجزيرة إلى هؤلاء المستعربين الذين هاجروا لسبب أو لآخرٍ إلى أراضي الشمال النصراني، ومن بينها سياسة تمليك الأراضي التي انتهجها ملوك النصارى لاجتذاب الجاليات المستعربة من داخل المجتمع الإسلامي من أجل إعمار الأراضي المحيطة بحوض نهر دويرة (Duero) مثلما فعل الفونسو الثالث (٢٥١-٢٩٥هـ/٨٦٦-٩١٠م) .(5)أو اولئك الذين انضموا إلى المجتمع الإسباني لدى سقوط المدن

---

(1) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٥٢٣ -٥٢٧ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤١٢ .

(2) العبادي ، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١١١ ؛ أبو رميلة ، هشام ، الإسبان والحضارة الإسلامية ، ص ٦٦٢ ؛ القاسمي ، جاسم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٢٩ .

(3) عبدالبديع ، أحمد لطفي، الإسلام في إسبانيا ، ص ٣٠-٣١ ؛ أبو رميلة ، هشام ، الإسبان والحضارة الإسلامية، ص ٦٦٢ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤١٥ ؛ ايبالزا ، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة ،(الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ج١ ص ٢٤٥ .

(5) ايبالزا، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة ،(الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ص ٢٥٥ ؛ غوميز ، المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ،(الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)ج١ ص ٢٧٦ .

والأراضي الإسلامية بأيدي نصارى الشمال ، فكلما سقطت مدينة من المدن الإسلامية جراء توسع ملوك النصارى انضم مستعربوها إلى المنطقة النصرانية في شبه الجزيرة . (1)

وكان من أهم ملوك اشتوريس الفونسو الأول والفونسو الثاني وقام كلاهما بحملات ناجحة ضد المسلمين وتكمن أهميتهما في إحضارهم للمستعربين من المناطق التي تم فتحها واسكانهم على الحدود (2) في المناطق القاحلة لحوض نهر دويرة وعمروها حتى أنهم يعدون مؤسسي مدينة سموره (Zamora) سنة (٢٨٠هـ-٨٩٣م) . (3)

جـ: المدجنون (Mudejares) :

هم المسلمون الذين آثروا البقاء في بلادهم بعد سقوطها بيد النصارى، وبالطبع ينطوي ذلك الوضع على عنصر من الخضوع . (4)

تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن تاريخ المدجنين لم يبدأ منذ سقوط طليطلة بيد النصارى عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، وإنما بدأ منذ بداية حرب الاسترداد في عصر الولاة (5) ، وكان السكان في وادي دويرة يستمتعون بميزة غياب الإدارة المركزية ، ولم يكن أي من حكام الأندلس أو حكام مملكة اشتوريس أقوياء بالقدر الذي يمكنهم من السيطرة عليهم . (6)

---

(1) غوميز ، المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ،(الحضارة العربية الإسلامية) ج١ ص ٢٧٦ .

(2) Chapman, A history of Spain, P 54-55 ; Imamuddin, A political History of Muslim Spain , P 218 .

(3) غوميز ، المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ،(الحضارة العربية الإسلامية)ج١ ص ٢٧٦.

(4) كحيلة، عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص ٦٧؛ هارفي، ليوناردو باتريك، المدجنون،(الحضارة العربية الإسلامية) ج١ ص٢٨٥ ، ٢٨٨ .

(5) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس، ص ٣٥٠ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤١٨ .

(6) آجيوس ، ديونيسيوس ، التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى ، ص ١٢٦.

كان المدجنون يعيشون داخل المجتمعات المسيحية ، وكانوا جزءاً من النسيج الذي يكون التاريخ الإسباني ، وقد عومل هؤلاء في البداية معاملة حسنة بصفة عامة، بسبب الحاجة إلى السكان وإلى العمال الزراعيين ، ولم يبدأ التضييق عليهم بشكل واضح إلا عقب موقعة الزلاقة (١) عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) وما تلاها من صراع مرير بين الإسلام والنصرانية على مصير الأندلس، وتحول الأمر إلى حرب إفناء ، وفي غمار هذه الحرب الطويلة فقد المدجنون حقوقهم وضماناتهم واجتهد رجال الدين في التأليب عليهم وإفساد أمرهم ، فتعرضوا لكل صنوف الأذى وتنصرت منهم فئة ولكنها قليلة وهاجر آخرون وقتل آخرون . (2) وكما يحدث عادة كان أول من هاجر الأغنياء والأعيان والرؤساء ورجال الدين، مضوا مخلفين وراءهم الضعاف من الزراع والعمال وأهل المدن، أي أن الجماعات المتخلفة أصبحت شيئاً فشيئاً بدون قيادة لا تجد من يحفظ وحدتها أو يوجهها في دين أو سياسة ، وتعرضت بذلك للانحلال والزوال . (3)

وعلى عكس جماعات المستعربين التي التفت حول مؤسساتها الكنسية وتبوأ رؤساؤهم أعلى المناصب في الحكومة الإسلامية فكان دائماً هناك من يتكلم باسمها ويخاطب رجال الدولة في شأنها فلم تتلاش أبداً . (4)

---

(1) الزلاقة (Sagrajas) : من إقليم بطليوس في غرب الأندلس، كانت فيها المعركة الشهيرة للمسلمين على ملك الجلالقة الفونسو السادس الذي استفاد فائدة عظيمة من ضعف ملوك الطوائف في الأندلس ، وبعد سقوط طليطلة استشعر المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية بأن الخطر يتهدده مباشرة، فاستغاث بيوسف بن تاشفين فجاز إلى الأندلس وسط ترحيب ملوك الطوائف ، واستطاع أن يلحق بالنصارى هزيمة شنعاء في الزلاقة ، فاضطر ألفونسو من جراء ذلك إلى إخلاء إقليم بلنسية ورفع الحصار عن سرقسطة ، وخلال عودة ابن تاشفين للمغرب العربي قبض على المعتمد ونقله إلى أغمات في مراكش واعتقله بها إلى أن توفي سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) . لمزيد من التفاصيل ينظر: مجهول ، الحلل الموشية ، ص ٥٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ص ٢٤٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٨٧-٢٩٢ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣٢٠ .

(2) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤١٦ ؛ هارفي ، ليوناردو باتريك ، المدجنون ،(الحضارة العربية الإسلامية) ج١ ص ٢٨٦ .

(3) مؤنس ، حسين ، المدجنون ، ص ١٤٣ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤١٧ ؛ مؤنس ، حسين ، المدجنون ، ص ١٤٣ .

الأصعب من ذلك أن المدجنين كانوا موضع ازدراء من المسلمين وكان ذكرهم يبعث على الحرج، كانوا إذن موضع تجاهل عام من قبل المسلمين وعبرت إحدى الفتاوي بصدق عن رأي المسلمين بهم حين حرمت عليهم العيش ولو لساعة واحدة من اليوم بين المشركين ، لما يسببه ذلك من الأدناس والمفاسد الدينية والدنيوية طوال الازمان.(1) لم يكتفِ رجال الدين المسلمين بالفرار مخلفين أهل دينهم بل حرموا عليهم البقاء متجاهلين أن الهجرة لم تكن آنذاك رحلة هينة تتوقف على رغبة المسلم الذي وقع في ذلك المأزق ، بل كانت أمراً عسيراً حافلاً بالصعوبات والمخاطر، إذ لا بد للعازم عليها أن يؤدي قدراً من المال حتى تأذن له السلطات في الانتقال، وكانت الطرق موحشة لا يأمن من يسير فيها على نفسه من قطاع الطرق أن يقتلوه أو يأسروه ويبيعوه كالرقيق ، ولم يكن السفر بالبحر أحسن حالاً فلا تأمن فيه صغار السفن ، ولا يستطيع هؤلاء المهاجرون الركوب فيها إلا بعد أن يدفعوا لرجال المرافئ مبلغاً من المال . (2)

كان لهذه الفتاوي وأمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية في إسبانيا، وقد حكم عليها وعلى كل من أجاز الإقامة بدار الكفر بأنه مارق عن الدين ومفارق لجماعة المسلمين (3) فالهجرة إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة (4) رغم كل المصاعب التي كانت تعانيها هذه الجماعة التي حكم الفقهاء بكفرها دون التفكير بسبل لمساعدة هذه الجماعات المغلوبة على الثبات أو تأمين خروجها إلى دار الإسلام بأمان.

د. الأسرى :

كان للحرب المستمرة بين الطرفين دورٌ بارزٌ في التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية. (5)

كان يقع كثير من الأسرى بأيدي الطرف الآخر خلال الحروب المتواصلة، وكان هؤلاء الأسرى من مختلف الطبقات والوظائف والمهن، وكانوا يمارسون أساليبهم في الحياة في المكان لجديد الذين اجبروا على العيش فيه ، وربما تعلموا لغته أو اعتنقوا ديانته . (6)

---

(1) الونشريسي، أسنى المتاجر ، ص ٦٣ .

(2) مؤنس، حسين ، المدجنون ، ص ١٤٤-١٤٥ .

(3) الونشريسي، أسنى المتاجر ، ص ٢٨.

(4) م . ن ، م٥ ع (١-٢) ص ٢٣ .

(5) أبو رميلة، هشام، الإسبان والحضارة الإسلامية ، ص ٦٦٤-٦٦٥

(6) عبدالحليم، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٢٥ .

وغالباً ما كانت تجري بين الطرفين عمليات تبادل للأسرى أو فدائهم من قبل الأهل أو بواسطة أغنياء المسلمين أنفسهم الذين كانوا يحررونهم ويطلقون سراحهم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى. (1)

وفي الأندلس الإسلامية كان بعض الأسرى يتحولون إلى موالي وعبيد، وكان منهم الخدم أو أو الحرس الخاص في قصور الأمراء . (2)

أما الأسرى المسلمون في إسبانيا النصرانية فكانوا يعاملون معاملة سيئة ، فكانوا عند بيعهم يفرق بين أفراد الأسرة الواحدة (3) ، وكانت تسند إليهم الأعمال الشاقة في البناء والزراعة وتحت إشراف الرهبان الذين يوجهون لهم الإهانات وكانوا يكبلون بالأصفاد في غير أوقات العمل خوفاً من هروبهم . (4)

هـ: الزواج المختلط

ويعد من أخطر سبل الاتصال الحضاري بين مسلمي الأندلس ونصارى الممالك النصرانية في شمال إسبانيا . (5)

في السنوات الاولى من السيطرة الإسلامية كان الزواج المختلط أمراً شائعاً في شبه الجزيرة، واشترط العديد من الأمراء تزويدهم جاليشيات (Jallegas) شقراوات ضمن الجزية حيث كان الطلب عليهن شديداً، وهذا أدى إلى وجود خلفاء ذوي عيون زرقاء فيما بعد (6) ، كانت هناك حالات متعددة من الزواج المختلط بين العائلات المالكة من المسلمين والمسيحيين فقد تزوج –على سبيل المثال– الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأوسط من (Onneca) ابنة ونقه بن فرتون المعروف بالأنقر وأنجبت منه ابنه محمد والد عبدالرحمن الناصر . (7)

---

(1) النويري ،نهاية الأرب ، ج٢٣ ص ٣٥٨ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٢٥ .

(2) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٢٦ .

(3) كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى في الأندلس ، ص ٦٩ .

(4) م . ن ، ٦٨-٦٩ ؛ الحليم لعلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٢٦ .

(5) مورينو ، مانويل جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ص ٥-٦ .

(6) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص ٢٦٨ ، ٢٩٣ ؛ Crow, Spain the root and the flower, P 61

(7) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٣ .

ولم يكن بين أمراء بني أمية من كانت أمه حرة ، إذ كانت أمهاتهم من نصارى الشمال الإسباني أو من البربر أو من رقيق الصقلب . (1)

انتشرت ظاهرة الزواج المختلط بين أمراء الثغر الأعلى مثل بني قسي وبني الطويل وبين حكام نبّره وليون ، وغالباً ما كان الأصهار يقفون يداً واحدة ضد أعدائهم سواء كانوا من المسلمين أو من المسيحيين . (2)

ولم ينفرد الأمراء والحكام بهذا الزواج المختلط ، فالناس على دين ملوكها، فسار على نهجهم زعماء العرب والموسرون ، خاصة أن هؤلاء دخلوا الأندلس جيوشاً نظامية دون أن يصحبوا معهم نساءهم مما أدى إلى أن يكون الجيل الثاني من مسلمي الأندلس من المولدين وأخذ الدم العربي يتلاشى شيئاً فشيئاً . (3)

كان لإنجذاب الفاتحين نحو الإسبانيات اللاتي تميزن بقدرتهن على الاختلاط آثاراً بعيدة المدى على المجتمع الأندلسي، فبالإضافة إلى جمالهن كن يتميزن بالذكاء الذي أوصلهن إلى مراكز سامية في القصور الأموية . (4)

وقد لعبت المسيحيات الإسبانيات سواء كن زوجات أو جواري دوراً خطيراً في الحياة الاجتماعية السياسية ، ونقلن أفكاراً وعادات وأسلوب حياة نصارى الشمال إلى المجتمع الأندلسي كما تأثر الأبناء بعادات وأفكار أمهاتهم النصرانية بالإضافة إلى اللغة والدين . (5) لم تنسَ النصرانيات ديانتهن ولا إسبانيتهن بل كن في أغلب الأحيان جاسوسات على أزواجهن فكثرت المؤامرات والدسائس داخل القصر الأموي . (6)

تأثرنصارى الشمال بنظام الجواري في الأندلس الإسلامية،ولكن بصورة أخف مما كان سائدا في المجتمع الإسلامي(7)،وسبق أن ذكر أن مورقاط بن ألفونسو كانت أمه جارية عربية.(8)

---

(1) Hole, Andalus, P 47 .

(2) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢-٥٠٣ ؛ عبدالمنعم ، حمدي ، المغرب والأندلس ، ص ٢١٦ .

(3) مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٣٧٦، ٥٠٢ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر ، م١٠ ع٢ ص ٦٢ .

(4) Hole, Andalus, P 49.

(5) مورينو ،مانويل جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ص ٦ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، ص ٣٧٧ ؛ .Crow, Spain the root and the flower, P 61

(6) أمين ، أحمد ، ظهر الإسلام ، ص ٣٠-٣١ ، ٣٠٣ ؛ Chapman, A history of Spain, P 88 .

(7) Chapman, A history of Spain, P 88.

(8) ابن الخطيب، أعمال الأعمال ،ج٢ ص ٣٢٣ ؛ مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٣.

كانت هناك قنوات اتصال أخرى بين إسبانيا النصرانية والأندلس الإسلامية تمتعت بنشاط كبير مما كان له أثر كبير في عملية المزج الحضاري على رأسها البعثات العلمية والطلبة الذين جاؤوا ينهلون من علوم جامعات قرطبة التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمناً طويلاً. (1)

كما كان للجوء السياسي أثره في عملية المزج الحضاري ،ففي عصر الإمارة كان أمراً شائعاً بين الجانبين ، خاصة بين حكام الثغور ، فقد لجأ مروان الجليقي إلى ألفونسو الثالث، كما لجأ أمراء بني قسي وبني الطويل إلى ملوك نبره وليون ، وربما عاش بعض المتمردين فترة من الزمن بين ظهراني النصارى . (2)

ومما أتاح الفرصة لنقل التأثيرات الحضارية الجنود المرتزقة ، فبدأ أمراء بني أمية منذ عصر الداخل (١٣٨هـ/٧٥٥م) في استخدام الجنود المرتزقة ثم توسع خلفاؤه في هذه السياسة وهؤلاء الجند اقتبسوا الكثير من أساليب العرب وبالمثل كان جنود من الدولة الإسلامية يعملون متحالفين مع ملوك النصارى لدعم جهة ضد أخرى . (3)

---

(1) لوبون ، غوستاف، حضارة العرب، ص ٢٧٣ .

(2) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٥١ ، ٦٨ ؛ ابن حيان المقتبس ، (قطعة الأمير محمد بن عبدالرحمن) ص ٣٩٦ ؛ أبو مصطفى ، كمال، المولدون في منطقة الثغر الأعلى، (بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس) ص٦٣ .

(3) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ١٣ ؛ العبادي ، أحمد مختار، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٠ ؛ ذنون ، عبدالواحد طه ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٨ .

ثانياً: مظاهر التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الاجتماعية :

نجد التأثيرات الحضارية في هذا الميدان واضحة في نواحٍ عدة ، في صور التسامح الديني والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في شبه الجزيرة ، وفي علاقات المصاهرة واسعة النطاق بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين وفي مجال الأخلاق والعادات والتقاليد وفي الموسيقى والأعياد وفي الملبس والمأكل والمشرب وكذلك في مجال فن العمارة والبناء .

وكان نصارى شبه الجزيرة ينهلون من منابع الحضارة الإسلامية وينتفعون بأحسن ما فيها دونما أدنى حرج ، ولم يصبح سلوكهم عدائياً تجاه هذه الحضارة إلا بعدما اتخذت حروبهم ضد المسلمين الصفة الدينية. (1)

أما التسامح الديني فلم يدع للأسبان سبباً للشكوى فقد ترك لهم العرب حرية العبادة من غير أن يضطهدوهم أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة كما كان يفعل القوط باليهود (2) ، بل فضلوا ترك الخيار لهم بتقبل الدين الإسلامي أو دفع الجزية بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على المسلمين والنصارى واليهود بعدل ومساواة . (3)

ومن أثر هذه المعاملة وذلك التسامح أن رضي المسيحيون بالنظام الجديد، واعترفوا بصراحة أنهم يؤثرون حكم العرب على حكم الإفرنج أو القوط ، حتى أن القساوسة أنفسهم لم يكونوا شديدي التألم لحكم العرب (4) . وبقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول (Depensar) ، وجابيها الخاص (Censo) وقاضيها الذي يطبق في محكمته تحت إشراف الإدارة الأموية القانون القوطي القديم . (5)

لم يقتصر التأثير الحضاري الإسلامي على إسبانيا النصرانية على المجال المادي والثقافي بل أثر في أخلاق الناس أيضاً ، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية التسامح ، وبلغ هذا التسامح مبلغاً كانوا يسمحون به لدعاة النصرانية أن ينشروا دينهم . بل بلغت الحال ببعض المتحمسين منهم

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣١-٤٣٢ .

(2) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٤٧ ؛ ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص ٧١.

(3) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٤٦ ؛ Chapman, A history of Spain, P 40.

(4) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٤٧ .

(5) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس ، ص ٧١ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ٤٦.

أن كانوا يقفون على أبواب بعض المساجد لإقناع المسلمين بالدخول في دينهم (1) ، وسُمح أيضاً لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر اشبيلية النصراني الذي عقد سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) ، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) ، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم الإسلامي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم .(2)

ولم تكن تلك العلاقات رسمية فحسب، بل رافقتها علاقات شعبية غير رسمية، فكانت بعض الكنائس تفتح أبوابها للمارة من النصارى والمسلمين على حد سواء وتقدم لهم الطعام والشراب، ولم يتحرج بعض المسلمين من المبيت فيها (3)، كما كان النصارى يزورون قبور أولياء المسلمين لنيل البركة ، كما أنهم قلدوا المسلمين في الامتناع عن أكل لحم الخنزير وقاموا بختان أبنائهم. (4)

نستنتج مما سبق أن إسلام كثير من النصارى لم يكن طمعاً في كبير شيء ، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة . (5)

ورغم أن العرب جاؤوا من بيئة قاسية إلا أنهم جبلوا على الترف واللين واستطراف الجمال بكافة صوره ، مما كان له كبير أثر في تغيير طبيعة نصارى الشمال الهمجية المخربة (6) ، فاقتبسوا الكثير من حسن أخلاق المسلمين الذين كانوا يرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم بالإضافة إلى نبلهم وكرمهم (7) وعدا عن ذلك كان المسلمون يتصفون بالفروسية المثالية، وللفروسية العربية شروطها ، فلم يكن المرء ليصير فارساً إلا إذا تحلى بهذه الخصال العشر : " الصلاح والكرامة ورقة الشمائل والقريحة الشعرية والفصاحة والقوة والمهارة في ركوب الخيل والقدرة على استعمال السيف والرمح والنشاب " . (8)

---

(1) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٧٦ ؛ عبدالحليم ، رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٧٤ .

(2) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(3) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج ٢ ص ٣١١ ؛ ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ص ٢١.

(4) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج٢ ص ٣١١ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣٢ .

(5) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب، ص ٢٧٧ ؛ ليفي ، بروفنسال، حضارة العرب في إسبانيا ، ص ٧٢.

(6) ابن الشباط ، وصف الأندلس، ص ٣١؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ١٦ .

(7) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٧٨ .

(8) م . ن ، ص ٢٧٨ .

وذاعت خصال الفروسية هذه بين النصارى ، ولكن ببطيء ، ومما لا ريب فيه أن قواعد الفروسية التي جاء بها العرب أدت إلى إصلاح طبائع النصارى أكثر من جميع التعاليم الدينية. (1)

أما عن تأثر نصارى الشمال الإسباني بالغناء والموسيقى الأندلسية فمصادرنا ضئيلة ، وما نعرفه عن تاريخ الموسيقى الأندلسية في بواكيرها أشبه بالعدم ، إذ لا يمكن تكوين صورة واضحة عن تطور تلك الموسيقى في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي (2) ، فبالنظر إلى التركيبة العرقية لأول موجات الفاتحين لا يمكن معرفة إن كانت طرائق البربر ذات أثر في هذا المجال، أو أن السيادة في تلك المرحلة المبكرة كانت للثقافة العربية ، والمتمثلة في استقدام مختلف الموسيقيين من الحجاز ، مما تسبب في بعض الانشقاق الأولي بين تقاليد الغناء الشعبي وموسيقى البلاط . (3)

والرأي السائد أنه لم يكن معروفاً في الأندلس سوى الحداء العربي البسيط وغناء النصارى ويقصد ترانيم الكنيسة ، ولم يكن لها قانون عندهم ، فقد كانت ترانيم أولية. (4)

وفي النصف الأول من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي ، يبدو أن الصورة بدأت تغدو أكثر وضوحاً بما يخص موسيقى البلاد إذ لمع فيها نجم زرياب . (5)

---

(1) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٣٣ .

(2) رايت ، اوين ، الموسيقى في الأندلس، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ج١ ص ٨٠٤ .

(3) م . ن ، ج١ ص ٨٠٤-٨٠٥.

(4) م . ن ، ج١ ص ٨١٦ ؛ وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٣٠ ، ضيف ، شوقي ، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، ص ١٤ .

(5) زرياب : هو أبو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي وتلميذ المغنيين ابراهيم الموصلي وابنه اسحق، قدم الأندلس سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) فقربه عبدالرحمن الأوسط ، وأورث صناعة الغناء بالأندلس بنيه وعددا كبيراً من تلاميذه وجواريه ، كما أدخل إلى تلك البلاد جملة من التقاليد الحضارية الشرقية، وتوفي سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) . ينظر: الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٥-١٦ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير عبدالرحمن الأوسط) ، ص ١٥٤؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٧ ص ١٣٧ ، ١٦٢ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ج١ ص ٧٦-٧٩ ؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٥٣.

أما عن تبني النصارى للموسيقى الأندلسية فنجد بعض الدلائل في أخبار الجواري اللواتي كن زينة القصور المسيحية مما يشير إلى أن أرقى أساليب الغناء العربي كانت موضع قبول كبير، لكن مثل هذه الدلائل لا يمكن أن تكون قاطعة ، فمثل هذه الأخبار قد تبقى تمثل الاستثناء دون القاعدة، حيث يكون امتلاك الجواري المغنيات جاء من غنائم الحرب ، فيصبحن أشبه بعلائم الانتصار التي تعبر عن التباهي دون الفهم . (1)

لكن أبلغ دليل على التأثير العربي أن معظم أسماء الالآت الموسيقية مشتقة من أصل أندلسي وأوضح الأمثلة على ذلك العود ، وكانوا ينطقونه (Laud) والرباب (Rabel) والدف (Adufe) والطبل (Atabal) والبوق (Alboque) (2) ، وقائمة الالآت المستعارة طويلة وهي تشير إلى دين ثقافي لا يمكن أن يقتصر على استعارة الآلة نفسها وحسب ، ومن المعقول أن نفترض أنه قد دخل مع تلك الآلات في الغالب أصواتها المميزة وأساليب العزف عليها . (3)

وفي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أبتكر فن شعبي أندلسي جديد هو فن الموشحات ، وهو طراز شعري مختلط، تمتزج فيه مؤثرات شرقية وغربية (4) ، ومتبدع من الموشحة هو مقدم بن معافي القبري (5) من بلدة قبره (Cabra) (6) ، وكان من شعراء الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) . (7)

---

(1) رايت، أوين ، الموسيقى في الأندلس، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ج١ ص ٨١٥-٨١٦ .

(2) م . ن ، ج١ ص ٨٢٠ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص٤٣٥ .

(3) رايت، أوين ، الموسيقى في الأندلس، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ج١ ص ٨٢٠-٨٢١ .

(4) العبادي ، أحمد مختار، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٩ .

(5) لم تورد المصادر عنه أكثر من أنه شاعر معروف في أيام عبدالرحمن الناصر، بالإضافة إلى ذكر بعض أبيات من مدائحه في سعيد بن المنذر . ينظر: الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٢١-٣٢٢ تر ٨٣٣؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٤١٥ ، تر ١٣٨٧ ؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٥٣.

(6) قبره (Cabra) : بلفظ تأنيث القبر ، كورة من أعمال الأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، مشهورة بكثرة عيونها وتنوع محاصيلها ، وهي مخصوصة بكثرة الزيتون وكان بها سوق جامعة يوم الخميس . ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ص ١٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٥٣ .

(7) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦١٢، وأورد اسمه على النحو التالي :مقدم بن معافر الغريري ؛ العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٩ ؛ القاسمي ، جاسم بن محمد ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٢٠٨ .

ويعتبر هذا الفن الجديد ثورة في الشعر العربي وحركة من حركات التجديد التي حررته من كثير من قواعد العروض الصارمة ، إذ يلاحظ في الموشحة أنها لم تلتزم نظام القوافي الموحدة كالقصيدة الشعرية ، وإنما اشتملت على قوافي متعددة ، كذلك لم تكن وحدتها البيت الشعري، وإنما المقطوعة الشعرية التي تتكون من غصن وقفل ، أي أن الموشحة عبارة عن أغصان وأقفال ، ويسمى القفل الأخير منها بالخرجة . (1)

وتعتبر الخرجة مركز المنظومة كلها ، وينبغي أن توضع في البداية ثم تبنى عليها بقية الموشحة ، فكأن الموشحة تبدأ من آخرها ، على عكس القصيدة الشعرية التي تهتم بمطلعها. (2)

كما ينبغي أن تكون الخرجة ماجنة ومحرقة ، ومنظومة باللهجة العامية الدارجة أو اللغة الرومانسية (العجمية) . (3)

كذلك جرت العادة أن تكون الخرجة على لسان فتاة تتغزل في الفتى على عكس القصيدة العربية التي نجد فيها الرجل هو المحب بينما المرأة متكبرة معرضة. (4)

أما الزَجل الذي ظهر بعد الموشح بقرنين ، فمنظوم كله باللغة العامية الدارجة على ألسنة عامة الناس في البيوت والأسواق وتتخللها كلمات وعبارات من عجمية أهل الأندلس . (5)

على أن موضع الأهمية هنا أن الأغنية الشعبية الأندلسية وما اتصل بها من غناء ورقص وتلحين كانت تتسرب منه صور كثيرة إلى قصور ملوك الشمال المسيحيين ، ولم تكن إسبانيا المسيحية تعرف سوى ترانيم الكنيسة وإنها إنما عرفت الموسيقى وألحانها ونوتها من الغناء الأندلسي، فهو الذي أعد إسبانيا لتنفذ إلى موسيقاها الحديثة . (6)

---

(1) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٩ ؛ وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٣٠ .

(2) م . ن ، م١٠ ع٢ ص ٦٩ ؛ وات ، مونتغمري ، م . ن ، ص ١٣٠ .

(3) وات ، مونتغمري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٣١ ؛ القاسمي، جاسم بن محمد ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٢٠٧ .

(4) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٩ ؛ وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٣١ .

(5) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٧٠ ؛ وات ، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٣١ .

(6) ضيف، شوقي، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، ص ١٥.

وهناك ناحية جديرة بالاهتمام وهي أن الوشاحين المسلمين في الأندلس والتروبادور (المنشدون الجوالون) في لكيتانيا وإقليم بروفانس والجوجلارس في شمال إسبانيا يتفقون في الموضوعات التي تقوم عليها أغانيهم ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن كلمة تروبادور مشتقة من الكلمة العربية طرب . (1)

كذلك يرى بعض المستشرقين أن الأغاني التي ينشدها الإسبان في أعياد الميلاد والمعروفة باسم بيانثيلو (Villancico) هي زجل أندلسي . (2)

وحتى سلوك السامعين الأندلسيين أثناء العزف وصياحهم مقاطعين المغني Ole Ole (الله .. الله) لا زالت باقية تدل على ما كان يحدث أيام المسلمين ، والمغني الإسباني – إلى عهد قريب – كان يبدأ غناءه بصيحة طويلة Leli Leli (يا ليل) أخذها الإسبان عن مسلمي الأندلس . (3)

أما الأعياد والاحتفالات في الأندلس فكانت كثيرة ومتنوعة ، فبالإضافة إلى الأعياد الدينية التي شاركت فيها الأندلس العالم الإسلامي كدولة إسلامية كان معروفاً عن مسلمي الأندلس أنهم يشاركون النصارى احتفالاتهم بالأعياد غير الإسلامية .(4)

وهناك أعياد لها طابع ذاتي مستقل انفردت بها الأندلس بحكم البيئة المحلية والموقع الجغرافي ، وأول ما نلاحظه في هذا الصدد هو أن يوم الأحد من كل أسبوع كان عطلة رسمية عند الأندلسيين ، وكان أول من سن لكتاب السلطان وأهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم الأحد من الاسبوع والتخلف عن حضور القصر قومس بن انتنيان كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانياً دعا إلى ذلك لنسكه فيه ، فتبعه جميع الكتاب واتخذوا ذلك اليوم للاستراحة والنظر في أمورهم.(5)

---

(1) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٧٢ ؛ القاسمي ، جاسم ابن محمد ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٢١٠ .

(2) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٧٢ .

(3) ضيف ، شوقي ، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، ص ١٦ ، عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣٥ .

(4) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ١٠٦ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣٧ .

(5) ابن حيان ، المقتبس ، (قطعة الأمير محمد بن عبدالرحمن) ، ص ١٣٨ .

كذلك شارك الأندلسيون النصارى في أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية وعيد العنصرة أوعيد سان إخوان ، وتذكر الروايات أن المسلمين كانوا يبتاعون الفواكه والحلوى في هذه الأعياد (1) ، واشتهر نوع من الحلوى كان يصنع في عيد الفيروز وهو عبارة عن مدائن من العجين لها صور مستحسنة . (2)

حرص الأندلسيون على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف احتفالاً كبيراً على الصعيدين الرسمي والشعبي بمواكب الشموع ، ويرجع العبادي اهتمام الأندلسيين بالمولد النبوي إلى الشعور بالتحدي لأنه يقابل أعياد الميلاد المسيحية ، وهي الظاهرة التي أطلق عليها "ظاهرة المشاركة والتحدي" . (3)

ومن الأعياد القومية عند أهل الأندلس عيد العصير (Alacir) الذي كان يقام عند جني محصول العنب وعصره – المحصول الرئيس في البلاد – حيث يغادر الأهالي بيوتهم وينتقلون إلى حقول العنب لعدة أيام لجمع المحصول في جو يسوده المرح والغناء والرقص . (4)

ومن الظواهر البارزة في الأعياد والاحتفالات عند الأندلسيين هي خروج الرجال والنساء مختلطين للتفرج . (5)

كذلك كان التأثير متبادلاً فيما يختص بالزي والملابس في شبه الجزيرة وتعتبر الألبسة والأزياء مقياساً للمستوى الذي بلغته الحضارة المادية من ازدهار وتقدم أو تدهور وانحطاط عبر حقب التاريخ المختلفة . (6)

---

(1) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ١٠٧ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى ، ص ١٧٥.

(2) صورها أحد الشعراء فقال :

مدينة مسورة	تحار فيها السحرة
لم تبنها الا يد	عذراء أو مخدرة
بدت عروساً تجتلى	من درمك مزعفرة
وما لها مفاتيح	الا لبنان العشرة . المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ص ٣٧٦ .

(3) العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، ص١٠٧ .

(4) م ٠ ن ، م١٠ ع٢ ص١٠٧ .

(5) م ٠ن ، م١٠ ع٢ ص١٠٧ .

(6) سالم ، سحر عبدالعزيز، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، (بحوث ندوة الأندلس) ،ص٢٤٩.

ولأهل الأندلس خصوصيتهم التي تميزهم عن المشارقة تبدت ملامح هذه الخصوصية عند الأندلسيين في عدم ميلهم إلى ارتداء العمامة (1) ، خاصة في شرق الأندلس أما أهل الغرب الأندلسي فلا يكاد يرى فيهم قاضياً أو فقيهاً الا وهو بعمامة . (2)

ويبدو أن أهل الأندلس كانوا لا يستظرفون لبس العمائم ، على أساس أنها لباس أهل المشرق ، ومن الأدلة المعبرة عن ذلك أن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي رفض لبس العمامة عندما طُلب منه ذلك ليكون قدوة لمن سواه ، ليقينه أنه لو لبسها لتركه الناس ولم يتبعوه . (3)

وكانت القلنسوة وهي غطاء للرأس من الخز أو الصوف أو الفراء من ألبسة الرأس المحببة عند الأندلسيين،وقد شاع استخدام القلانس في الأندلس على الأخص في عصر الدولة الأموية (4) ويبدو أن لبسها كان شائعاً بين القضاة ويُذكر أن القاضي محمد بن عبدالسلام الخشني كان يضع قلنسوة على رأسه . (5)

وبما أن الأضعف يأخذ عن الأقوى فقد كان تأثير المسلمين على نصارى الشمال كبيراً في هذا المجال ، فدخلت الأزياء الإسلامية إلى قصور أمراء الشمال ، وكانت سفارات الممالك النصرانية تعود محملة بأفخر الملابس والتحف والهدايا التي كانت نساء البلاط في ممالك الشمال يتلهفن عليها ويعتبرنها (موضة) العصر ويمطرن سفراء البلاط على أثر عودتهم من بعض المهام الرسمية بأسئلتهن عن أنواع القماش والألوان الدارجة والمبتكرات من العاج وزجاجات البلور المصقول ، التي كان تجار قرطبة يعرضونها في أسواقهم . (6)

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج٢ ص ١٤٥ ؛ كحيلة ، عبادة ، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية ، ص١٩.

(2) سالم ، سحر عبدالعزيز، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي ، (بحوث ندوة الأندلس) ،ص٢٥٢.

(3) الخشني ، قضاة قرطبة، ص ٥٦-٥٧ ؛ سالم ، سحر عبدالعزيز، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، (بحوث ندوة الأندلس) ، ص ٢٥٢ .

(4) سالم، سحر عبدالعزيز، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، (بحوث ندوة الأندلس) ،ص ٢٥٤ .

(5) كان القاضي محمد بن السلام الخشني (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩ م) ممن أصر على رفض توليه لخطة القضاء وفشلت كل المحاولات لاقناعه الأمر الذي أغضب الأمير محمد وهدد أنه برفضه هذا يعرض حياته للخطر، فلما سمع ذلك الخشني نزع قلنسوته عن رأسه ومد عنقه ، وجعل يقول : " أبيت ، كما أبت السموات والأرض ، إباية اشفاق ، لا إباية نفاق " . وخرج عن القوم . ينظر : الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٨ ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، ص ٢٩-٣٠ .

(6) ليفي ، بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٨٥؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣٨ .

كما كان لتنوع فئات السكان في شبه الجزيرة أثر كبير في التفنن في الإكثار من أصناف الطعام والشراب ، كما انتقلت إلى الأندلس أكلات عديدة من بلدان المشرق . وقد انتقلت إلى المطبخ المسيحي في شمال إسبانيا العديد من الأكلات عن المطبخ الأندلسي ، ونتيجة للمجاورة والاختلاط بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة فقد انتقلت للمسلمين عادة الشرب والاستغراق فيها. (1)

والتأثير المتبادل بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية أكثر ما يظهر جلياً في تأثر الجانبين بما كان عند كل منهما من نظم البناء وفن العمارة ، ذلك لأن العرب شملوا رجال الفن من أهل الأندلس برعايتهم ، واصطفوهم وشجعوهم على متابعة إنتاجهم الفني في ظل العهد الجديد ، وفي مناخ يسوده التسامح . (2)

واصل الصناع وأرباب الحرف تقاليدهم الفنية بعد أن كيفوها وفقاً لما يقتضيه الوضع الجديد ، ولم يلبث هؤلاء الفنانون والصناع أن اندمجوا في المجتمع الإسلامي، وأقبلوا على الثقافة العربية، وأمكن بهذه النقلة صياغة فن أندلسي أخذ يتدرج في التطور في العصور التالية . (3)

وبقدوم عبدالرحمن الداخل وقيام الدولة الأموية بالأندلس ، تبدأ مرحلة جديدة استقرت فيها دعائم الإسلام في الأندلس، ورسخت قواعد حضارته ، وأخذت الحياة الفنية تزدهر وتتألق (4) بتشجيع من الأمير الأموي الذي باشر في تنفيذ خطة بناء وإعمار فور استتباب الأمر له في النصف الجنوبي من شبه الجزيرة ، ومنذ البداية كان الحنين إلى الماضي يتصدر صورة الإبداع عند مسلمي الأندلس ، فعمدوا إلى خلق صورة وصفية له تذكرهم بما فقدوه من ملك وسلطان . (5)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٣٩ .

(2) سالم ، السيد عبدالعزيز ،العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ، ص ٨٩ ؛ لوبون ، غوستاف، حضارة العرب ، ص ٢٨٢ .

(3) سالم ، السيد عبدالعزيز ، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ، ص ٨٩ ؛ مورنيو ، مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ص ٩ .

(4) سالم، السيد عبدالعزيز، العمارة الإسلامية في الأندلس، وتطورها ، ص ٩١.

(5) من المعروف أن أول قصر لعبدالرحمن الداخل بناه في ضواحي قرطبة عرف بالرصافة تيمناً بقصر جده الريفي الخليفة هشام بن عبدالملك . ينظر: دودز ، جيريلين ، فنون الأندلس، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ج٢ ص ٨٦٤ .

يتضح لنا مما سبق أن الفن الأندلسي مر في أدوار مختلفة لكل منها طابعه وخصائصه المميزة وما يهمنا منها هو الدور الأول الذي يسمى بالطراز المستعرب الذي ساد في عصر بني أمية. (1)

وعمارة المستعربين التي أقامها الشعب الإسباني الخاضع للعرب كانت مزيجاً من عناصر وتقاليد لاتينية وقوطية وأخرى عربية . (2)

كان هذا في المنطقة التي تخضع للسيادة الإسلامية ، غير أن مجاورتها لإسبانيا المسيحية أدى إلى تغلغل تأثيرات قوية في ممالك الشمال النصراني تكشف عن روح مستعربة سواء عن طريق تسلل مسيحيين هاربين من الحكم العربي أو لأن التفوق الثقافي لقرطبة أعان على انتشال مجتمع شبه الجزيرة من ظلمات الهمجية . (3)

ويلاحظ فيما يتعلق بالمناطق الغربية لشبه الجزيرة قوة تأثير الرهبان المستعربين منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في جليقية واشتريس وليون – المركز الأساسي لحركة الاسترداد – في عصر ألفونسو الثالث (٢٥٠-٢٩٤هـ/٨٦٦-٩١٠م). (4)

ومن النتائج الواضحة لهذا التأثير ما شهدته العمارة من تحلل وانهيار للنظام الكنسي الاشتوري التقليدي الذي استقر في عهد ألفونسو الزاهد وعن الأسلوب الجليل الذي عرف في عهد راميرو ليقوم على انقاضها فن المستعربين فنما الطابع المستعرب المتكامل وضم روائع معمارية. (5) تجلى بأعظم صوره بسان ميجل دي اسكالادا (San Miguel de Escalada) والتي يرجع تشييدها إلى عام (٣٠٠هـ/٩١٢م) على يد القس الفونسو وأصدقائه الذين جاؤوا من قرطبة . (6)

ومن أهم المؤثرات التي طغت على الفن المعماري في هذه المرحلة الأقواس الصغيرة التي يعلو بعضها بعضاً وكانت على شكل حذوة الفرس واستخدامها يفسح مجالاً لسطح القاعة المحمول أن يكون أكثر ارتفاعاً مما هو متوقع له . (7)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٤٠ .

(2) مورينو ، مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ص ٤٢١ .

(3) م . ن ، ص ٤٢١ .

(4) م . ن ، ص ٤٢٤.

(5) م . ن ، ص ٤٢٤، ٤٣٩ .

(6) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٤٢ .

(7) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٨٢ ؛ دودز ، جيريلين ، فنون الأندلس ،(الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج٢ ص ٨٦٥ .

لم يقتصر التأثير الأندلسي في مجال العمارة على الكنائس فقط ، بل إن أثره كان جلياً في المباني الأخرى مثل الجسور والقنوات المائية المعلقة والحمامات التي انتشرت في مدن إسبانيا النصرانية مثل برغش وصورية . (1)

وبالطبع فقد تميز هذا العصر ببناء القلاع والأسوار بالرغم من أن المواد كانت معرضة للانقراض ، كانت معظم الأبنية من الخشب لأن إسبانيا كانت في ذلك الوقت مغطاة بالغابات حيث لم يعد لها وجود في بعض المناطق ، بسبب إحراق القرى في زمن الحروب وخاصة أثناء غزوات الفايكنج ، فتحولت مواد البناء من الخشب إلى مواد أخرى غير قابلة للاحتراق في بناء أسقف الكنائس . (2)

---

(1) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٤٤ .

(2) Chapman, A history of Spain, P64.

ثالثاً: مظاهر التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الثقافية والعلمية :

إن الدارس المتعمق لتاريخ المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ، يلاحظ أن رسالة التمدن كانت تقع على كاهل العرب ، في حين اختلط البربر بطبقات السكان الوسطى والدنيا ، بينما حافظ العرب على شرفهم الثقافي حتى بعد أن قبض البربر على زمام الحكم . (1)

وعلى نحو ما أتاحت حضارة الأندلس للإسبان حضارة متكاملة مادية وموسيقية أتاحت لهم حضارة معنوية أدبية وعلمية، ولم يكن للاسبان حين الفتح العربي أدب فيه شيء من الجمال يستطيعون أن يلقوا به الأدب العربي بل كان ما يمكن أن يسمى لهم أدباً خلواً من كل جمال، وكانوا يستخدمون في لسانهم رطانة لاتينية جافة ليس لها شيء من عذوبة الألفاظ العربية وجمال جرسها في الآذان . (2)

وما أن جاء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حتى تعربت الأندلس بكل ما فيها ، وقد تجلى ذلك في افتتان النصارى بكل ما هو شرقي في جميع مراحله، مما أيقظ العبقرية المسيحية وانتشر بينهم الترف العقلي وتطلعوا إلى المعرفة ، وتعلقوا بالثقافة العربية لسموها على الثقافة اللاتينية التي كانت حينئذٍ جامدة على وتيرة واحدة مما أثار ثائرة بعض الدوائر المسيحية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث ارتفع صوت ايولوخيو (Eulogio) والفارو (Alvaro) بالأسى والاحتجاج . (3)

وكان شائعاً قدوم نصارى الشمال إلى قرطبة لتلقي العلم أو العمل فيها، وكان ذوي الطموح منهم وبعد تعلمهم للعربية يعملون في إدارات الدولة المختلفة ويختلطون بأشراف العرب، وتجري عليهم أحكام الإسلام ، ومن ظل منهم محتفظاً بدينه صار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتدي بهم بأزيائهم وعاداتهم ورفاهيتهم ولهوهم . (4)

---

(1) لوبون ، غوستاف، حضارة العرب ، ص ٢٦٧ .

(2) ضيف، شوقي، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الاسبانية ، ص١٦.

(3) مورينو ، مانويل جوميث، الفن الاسلامي في إسبانيا ، ص ٨ ؛ ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٢ ؛ ضيف ، شوقي ، الحضارة الاندلسية ودورها في تكوين الحضارة الاسبانية ، ص ١٦-١٧ .

(4) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٥١ ؛ لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٣٤ .

كما شهد القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي مرحلة اضطراب ديني شديد عجل في عملية التطور في المجتمع الإسباني إذ رأى رجال الدين المسيحي أن الحضارة الإسلامية حضارة غنية وذات طاقة خلّاقة فانزلقوا إلى مبادئ الدين الإسلامي – هكذا بدون صراع أو تواطؤ- وكان التركيز حول موضوع التبني الإلهي أي أن الرب أي الأب تبنى المسيح ، وتبنى هذه النظرية كل من فيلكس (Felix) أسقف مدينة اورجيل (Orgel) التابعة لامارة قطلونية واليباندو (Elipando) مطران طليطلة ، مما تسبب في حدوث انشقاق داخل الكنيسة الإسبانية بسبب مناقضة تلك الفكرة للعقيدة الكاثوليكية التي تؤمن بعقيدة الثالوث المقدس وبأن المسيح هو الله. (1)

أما عن حركة الترجمة فلم تنشأ في مرحلتها الأولى عن طريق السلطة المركزية في الممالك الإسبانية النصرانية، وإنما قامت بفضل جهود الأساقفة والنبلاء، وكانت أديرة المستعربين تؤلف مراكز للثقافة والنظام الاجتماعي. (2)

كما أنه لم يكن في استطاعة النصارى الحصول على مؤلفات الإغريق وفلاسفتهم إلا عن طريق المسلمين ونقولهم، ولكن حركة الترجمة لم تزدهر وتنتشر على نطاق واسع إلا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد . (3)

ويبدو أن أعمق أثر تركه سكان شبه الجزيرة الأصليون في العصور الوسطى على الأندلس هو ذلك الأثر الذي خلفوه في لهجاتها الدارجة (4) ، وكان من الطبيعي نتيجة الاختلاط الكبير بين العرب والإسبان عن طريق الحروب المتصلة والزواج المشترك ، أن يتأثر الأبناء المولدون بأمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم .(5)

---

(1) الأمين ، اسماعيل، العرب لم يغزوا الأندلس، ص ٢٣٩ ، ٣٤١ ؛ كحيلة ، عبادة ، تاريخ النصارى، ص ١٨٧.

(2) أبو رميلة ، هشام ، الاسبان والحضارة الإسلامية ، ص ٦٦٦؛ مورينو ، مانويل جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا ، ص ٤٢٤ .

(3) أبو رميلة، هشام، الاسبان والحضارة الإسلامية ، ص ٦٦٦ .

(4) ليفي ، بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص ٧٨ .

(5) العبادي ، احمد مختار، صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا ، ص ١٢.

ولعل أوضح مثال لهذا اللقاء الحضاري، ظاهرة انتشار ازدواجية اللغة بين الأندلسيين ،أي اللغتين العربية والرومانسية (Romance) وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية – الايبيرية (1)، ويسميها العرب الأعجمية(2) أو اللطينية . (3)

وكانت الرومانسية هي وسيلة التعبير الوحيدة التي سلكتها آنذاك الطبقات الشعبية في المدن وجماعات المزارعين ومن ثم كان على اللغة الرومانسية أن تقدم للعربية الأندلسية العامية القسم الذي كان ينقصها من المفردات الحسية . (4)

كما وجد في الأندلس جماعة تتكلم لغتين معاً وتستعمل العربية والرومانسية بذات الأهمية في منازلها وفي الطريق العام، حتى العرب الأقحاح لم يأنفوا من استخدام الرومانسية في أحاديثهم الخاصة وذلك على كل مستويات المجتمع حتى في قصور الأمراء . (5)

أما الظاهرة المعاكسة ، أي تأثير اللغة العربية في اللغة الرومانسية فتكتسب طابعاً خاصاً من الأهمية ، فهي تقدم الدليل الضمني على الأثر العميق الذي مارسته الثقافة العربية الأندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الايبيرية بكاملها. (6)

ويقدر بعض الباحثين أن المفردات العربية التي دخلت الإسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الإسباني، بينما دخلت إلى البرتغالية حوالي ثلاثة آلاف كلمة عربية، واللغة القطلانية أيضاً فيها الكثير من الألفاظ العربية . (7)

---

(1) كحيلة، عبادة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ص ٢٥؛ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٨.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٩٦ ، ١١٨ ؛ العبادي، أحمد مختار، الإسلام في أرض الأندلس ، ص ٦٦ .

(3) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٤٣ ؛ العبادي ، أحمد مختار، صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا ، مجلة المعهد المصري ، م٢٦ ص ١٢ .

(4) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٨-٧٩ .

(5) م . ن ، ص ٧٩ ؛ ف. كوريانتي، التداخل اللغوي بين العربية واللغات الرومانسية في شبه الجزيرة الايبيرية ، (الحضارة العربية في الأندلس) ج١ ص ٦٣٧.

(6) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس ، ص ٨٠ .

(7) عبدالحليم ، رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٥٩ ؛ ينظر الملحق رقم(٤) ص١٦٤-١٦٧ .

ويسود أوساط الدارسين في هذا المجال افتراض خاطئ ألا وهو أن الرومانسية قد استعارت مباشرة من العربية الفصحى وليس بالضرورة من خلال العربية الأندلسية، وهذا كثيراً ما تسبب في الابتعاد عن الدقة في دراسة جذور الكلمات وفي بعض الأحيان الى تحليلات بعيدة الاحتمال. (1)

ولم يدرك الباحثون مدى التشابك بين قاموس اللغة الفصحى واللغة الأندلسية مما أوقعهم في فخ عند اشتقاق بعض الكلمات (2) ، وثمة مأخذ ثانٍ على هذه الدراسات، وهو إهمالها عموماً لأصول الكلمات التي تبدو عربية في ظاهرها ، وهذا يؤدي إلى الوصول إلى أنصاف الحقائق ، فعلى سبيل المثال إن الكلمة القشتالية (Jabalon) وهي ألواح خشبية لتغطية السطح مشتقة من جملون وهو ما يولّد لدينا الانطباع الزائف بأن هذه الكلمة أصيلة في العربية ، ولكن في الحقيقة هي أن هذه الكلمة دخلت العربية من الآرامية (Jamlon) وهي تصغير لاسم الجمل ويبدو أن سنامه هو الذي ولد هذا الاستعمال المجازي . (3)

لكن الكلمات الدخيلة لا تشكل سوى ناحية واحدة من دراسة التداخلات بين العربية والرومانسية ، وهي ليست أكثر النواحي تضليلاً ، فمن الواضح أن هذه الظاهرة تشمل أيضاً قواعد اللغة من صوتية وصرفية ونحوية وغيرها. (4)

ومن الواضح أنه رغم ضخامة الجهود التي بذلت في هذا المجال والنتائج الهامة التي تم التوصل إليها ، إلا أننا ما زلنا نقف في منتصف الطريق ، وأننا بحاجة إلى عمل جماعي من أجل إماطة اللثام عن بعض الحقائق التي اختلطت علينا.

---

(1) ف. كوريانتي، التداخل اللغوي بين العربية واللغات الرومانسية في شبه الجزيرة الايبيرية،(الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس) ج١ ص ٦٣٨ .

(2) م . ن ، ج١ ص ٦٣٩ .

(3) م . ن ، ج١ ص ٦٣٩.

(4) م . ن ، ج١ ص ٦٤٠ ؛ ج. س . كولان ، الاندلس، ص ١٨٩-٢٠٠ .

رابعاً : التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الاجتماعية :

أ- الزراعة :

إن أهمية الدور الذي تلعبه الزراعة في حياة الانسان منذ أقدم العصور واضحة لا تقبل الجدل .

وكان وصول المسلمين إلى شبه الجزيرة الايبيرية قد شكل بداية أعمق وأكبر تطور عرفته الزراعة في هذه البقعة ، بعد ما آلت إليه من تخلف وكساد أواخر حكم القوط الغربيين . (1)

ولم يمضِ سوى وقت قصير حتى طور المسلمون التقنيات الزراعية لسابقيهم من الرومان والقوط الغربيين مضيفين إليها معارفهم الزراعية ،الأمر الذي أحدث ثورة زراعية عظيمة في بلاد الأندلس . (2)

وكان للخصائص الجغرافية التي إمتازت بها شبه الجزيرة الايبيرية نتائج هامة مناخياً واقتصادياً ، كما أن ارتفاع وعدم انتظام الأرض أنتج درجات حرارة متباينة -وعلى الرغم من ذلك فهناك اعتدال مناسب- ويعزى أيضاً إلى الظروف الجغرافية تعاقب فصول المطر والجفاف في معظم شبه الجزيرة (3) الأمر الذي أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية وحقق للأندلس الإسلامية الاكتفاء الذاتي . (4)

وقد ساعد تنظيم الري على قيام زراعة محاصيل قادمة من الشرق كالكرمة والزيتون والبرتقال والأرز وقصب السكر والموز وغيرها من المحاصيل التي تعتبر الأفضل في العالم. (5)

---

(1) دوزي، المسلمون في الأندلس، ج١ ص ٢٧ ؛ سانشير ، اكسبيراثيون غارثيا، الزراعة في إسبانيا المسلمة ، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج٢ ص ١٣٦٧ .

(2) لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي، ص ١١٣ ؛ سانشيز ، اكسبيراثيون غارثيا الزراعة في إسبانيا المسلمة (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج٢ ص ١٣٦٧ .

(3) Chapmanm op, cit, p3.

(4) شلميطا، بدرو، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، (الحضارة الإسلامية في الأندلس) ، ج٢ ص ١٠٦٠ ؛ بشتاوي، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٧٤ .

(5) لومبارد، موريس ، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي ، ص ١١٣ ؛ أبو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس، ص ٢٠٠ .

لقد كانت الأندلس بالنسبة لسكان الممالك النصرانية الشمالية قطعة من الجنة، ولم يطل الزمن بهذا الشعور حتى تحول إلى الطمع والنهب ، وأدى وجود هذه المشاعر إلى ظهور سياسة عدوانية مخططة من أجل غايات اقتصادية ، فكان احتلال الأندلس واستثماره فيما بعد الهدف المعلن عنه في صفوف الطبقات العليا من المجتمع الإسباني النصراني . (1)

فالساحل الشمالي الذي سكنه النصارى كان له قيمة زراعية قليلة ، ولكن بفضل تساقط الأمطار المستمر والكثير فهو غني بالمراعي. (2)

وكان نصارى الشمال في الأجيال الأولى من المحاربين والرعاة بشكل رئيسي ، لقد كان لإسبانيا النصرانية على الدوام نفسية أمة من الرعاة، وكانت هذه الروح شديدة الرسوخ في الاقتصاد القومي إلى درجة أن اشتوريس وما حولها من المناطق كانت تستخدم الأغنام مكان النقد. (3)

وأصبح الاعتماد على الماشية أمراً فرضته طبيعة الحرب ، فلو حدث مثلاً وأغار جيش معادٍ على قلعة أو مدينة فمن السهل على الرعاة جمع ماشيتهم خلال ساعات والعودة بها إلى داخل أسوار المدينة . (4)

وأدرك المحاربون النصارى أهمية الحرب الاقتصادية في إنهاك قوى الخصم وإضعاف قدرته على الصمود ، فكانوا في الغالب يستخدمون أسلوب الأرض المحروقة لتسريع سقوط المدينة، إذ كان عامل تجويع السكان وقطع الماء عنهم من أهم عوامل إنهاكها. (5)

بالإضافة إلى ذلك عانت الزراعة في الأندلس من مشاكل متعددة يأتي في مقدمتها الجفاف الذي عصف بالبلاد عدة سنين (6) ، وزادت أوضاعها سوءاً بسبب الحروب الأهلية والثورات الاجتماعية وما رافقها من انتشار حركة قطع الطرق . (7)

---

(1) شلميطا،بدرو ،صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج٢ ص ١٠٦٠ .
(2) Chapman, op, cit, P4 ; Crow, op, cit, P 124.
(3) بشتاوي ، عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٧٨.
(4) م . ن ، ص ٧٩.
(5) م . ن ، ص ٧٩.
(6) كالمجاعة التي عمت الأندلس سنة (١٩٩هـ/٨١٥م) ، فمات أكثر الناس جهداً . ينظر: ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص ٧٣.
(7) يونشيش ، ابراهيم ، الإنحسار العربي في الأندلس ، ص ١٧٦ .

ب- الصناعة :

وفّر تطور الزراعة المواد الأولية لقيام صناعات خفيفة نمت في معظم أرجاء الأندلس مستفيدة من الخبرات التي توافرت لدى السكان المحليين بالاضافة للخبرات التي حملها المسلمون معهم إلى شبه الجزيرة الايبيرية في سنوات لاحقة بعد الفتح. (1)

وكانت صناعة الحرير من الصناعات المهمة بالأندلس، فقد قيل إن عدد النساجين بلغ في قرطبة وحدها مائة وثلاثين ألفاً (2) . أما عدد الأنوال فبلغ خمسة آلاف تنسج كل أنواع القماش من الحرير إلى الصوف إلى القطن . (3)

كما اشتهرت الأندلس بكثرة مصانع الورق فيها، واشتهر بتصنيعه أهل حصن (بكيران) الذي كان ينتج كميات وفيرة منه عرفت بالجودة واللمعان، ومهر بتصنيعه أهل مدينة لقنت، وساعد موقعها الساحلي على تصديره بكميات كبيرة الى داخل الأندلس، وعن طريق الأندلس انتقلت صناعة الورق الى أوروبا. (4)

كما اهتم الأندلسيون بزراعة شجر الزيتون وزرعت مساحات شاسعة منه في اقليم الشرق الى الغرب من مدينة اشبيلية حيث التربة الحمراء الملائمة والمناخ الجيد، ويعد الزيت المورد الأساسي لسكانه ، مما دفع أهل الأندلس عامة إلى الانصراف لصناعة الصابون القائمة على زيت الزيتون . (5)

ولوفرة الفواكه اشتهرت الأندلس بتجفيف بعض أنواع منها كالتين والزبيب ، كما عرف عسل الأندلس بجودته لكثرة الأزهار فيه . (6)

---

(1) لين بول ، قصة العرب في إسبانيا ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(2) م . ن ، ص ١٣٦ .

(3) Chapman, op, cit, P 61 .

(4) ابو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٢ .

(5) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩ ؛ ابو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٢ ؛ مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٣٨٥ .

(6) أبو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

كما اشتهرت مناطق المراعي خاصة ولايات مالقه والمرية وغرناطة بتصنيع منتجات الألبان وتصديرها الى مختلف الأقاليم الأندلسية (1) بالاضافة الى صناعة الجلود المزخرفة الزاهية، والاستفادة من بعض الجلود في صنع الأحذية . (2)

واستغل الأندلسيون خشب الغابات في الصناعات الخشبية المتنوعة فشملت السفن بكل أنواعها السفري والتجاري والحربي، والخشب الذي لا يصلح لصنع السفن لغلظته أو لكبر حجمه يستخدم في أغراض البناء . (3)

ومع تقدم الصناعة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تمكن الأندلسيون من إنتاج الزجاج المعروف بالظرابي الصواني والزجاج الشفاف . (4)

كما تطورت صناعة العطور والمواد الكيماوية لا سيما الأصباغ والصناعات اليدوية الأخرى . (5)

ولقد ثبت أن المرتفعات في جميع أجزاء شبه الجزيرة تحتوي على ثروة معدنية لم تستنزفها سنوات عديدة من الاستغلال، وقد تم العثور على بعض الذهب والكثير من الفضة ، ولكن المعادن المستخدمة صناعياً مثل النحاس هي الأكثر توفراً (6) ، فكان ذلك عاملاً مهماً في تطوير صناعة الأسلحة والمعدات العسكرية الأخرى ، وشجع أمراء بين أمية هذه الصناعة واشتهرت طليطلة كمركز رئيس لصناعة الأسنة والرماح والسيوف وغيرها من الأسلحة. (7)

---

(1) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٤ .

(2) أبو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٦ .

(3) بشتاوي ، عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة ، ص ٧٥ ؛ أبو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٥ .

(4) بشتاوي ، عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة ، ص ٧٤ .

(5) م . ن ، ص ٧٤ ؛ أبو دياك ، صالح ، الزراعة في الأندلس ، ص ٢٠٥.

(6) Chapman , op, cit , P 4.

(7) لين بول ، قصة العرب في اسبانيا، ص ١٣٧ ؛ مؤنس، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٤٩٠؛ بشتاوي، عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة، ص ٧٥ .

وفي أواخر عصر الامارة اتسمت الصناعة بركودها ومحليتها وطابعها اليدوي البسيط المخصص للاستهلاك لا للتسويق ، ولذلك أتتلت دور الصناعة أو خربت ، وتم تسريح الصناع ، الشيء الذي زادها تدهوراً وتفاقماً. (1)

هذا عن الأندلس الاسلامية، أما اسبانيا النصرانية فكما هو طبيعي في عهود الفوضى وعدم النظام فان الصناعة لا تزدهر ، مع ظهور المدن بدأت بعض المدن الصناعية بالظهور مثل مدينة سانتياغو دي كومبوستيلا التي حققت بعض الأهمية الصناعية . (2)

ان تربية الأغنام وصناعة الأصواف هو بشكل ما ملخص لتاريخ الاقتصاد الاسباني، ورغم وجود صناعة النسيج في اسبانيا النصرانية الا أنها لم تتطور وبقيت اسبانيا أمة رعوية. (٣)

جـ- التجارة :

ساهم وجود فائض في المنتوجات الزراعية والصناعية في الأندلس على قيام تجارة نشطة مع الممالك النصرانية ، وكان الميزان التجاري لصالح الأندلس في أغلب الأحيان. (4)

ولعبت الأندلس دوراً رئيسياً كمصدر ومستورد مع الممالك النصرانية الشمالية، فشملت الصادرات المنسوجات والملابس والحلي والمصنوعات اليدوية وغيرها. (5)

وكانت أعظم تجارة بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية هي تجارة الرقيق، وقد تخصص فيها التجار اليهود الذين يقومون بجلب هذا النوع من التجارة من سائر ممالك اسبانيا لنصرانية، ومن سبي الفرنجة الى قرطبة وغيرها من المدن الرئيسية. (6)

وكانت هذه التجارة مصدر رخاء كبير لمدن مثل بمبلونة وبرشلونة وعادت على الشماليين بدخل كبير استخدموا بعضه لشراء المنتوجات الأندلسية المتنوعة، والبعض الآخر للانفاق على الجيوش .

---

(1) يوتشيش ، ابراهيم ، الانحسار العربي في الأندلس ، ص ١٧٦ .

(2) Chapman, op, cit, P 63.
(3) Crow, op, cit, P 125.

(4) بشتاوي، عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة ، ص ٧٦-٧٧ .

(5) مورينو، مانويل جوميث ، الفن الاسلامي في إسبانيا ، ص ٤٠٣ ، ٤١١ .

(6) عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، ص ٤٧٥ ؛ لومبارد ، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي ، ص ٣٠٤.

فالتجارة في ذلك الوقت ، كما هي اليوم – كانت تتم من دون الالتفات كثيراً الى بعدها العسكري– حتى أن ملوك الشمال النصراني درجوا على شراء ملابسهم من الجنوب حتى خلال اندلاع الحرب بين الطرفين . (1)

وأدت عدة عوامل الى إعاقة التجارة في إسبانيا النصرانية كالحروب مع المسلمين ، وقطاع الطرق من النبلاء والرسوم والضرائب التي كانت تدفع للملك ،والضرائب التي كان يجنيها النبلاء على الطرق والأنهار أو الجسور الواقعة في مناطقهم ، وكان أسوأ ما فيها هو فرضها حسب هوى الملك أو النبلاء أو رجال الكنيسة ، وكانت حالة البؤس والشقاء شديدة لدرجة أن المجاعات والأمراض كانت تفتك بالناس . (2)

أما الطرق التجارية التي كانت تسلكها التجارة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فمنها ما كان يتم عن طريق الأنهار الكثيرة المنتشرة في شبه الجزيرة والتي تنبع جميعاً من جبال وسط الأندلس فتتقابل روافدها وتتصل بحيث تربط بين شرق الأندلس وغربها وبينها وبين الشمال النصراني . (3)

بالإضافة الى الطرق النهرية كانت هناك طرق برية كثيرة، وكانت تقريباً هي نفس الطرق الرومانية القديمة (4) ، وأهمها الطريق الذي يبدأ من قرطبة الى طليطلة ثم يسير في وادي الحجارة الى حوض نهر ابره ، ثم يتفرع الى طريقين أحدهما يسير بمحاذاة النهر ماراً بقلهرة حتى بمبلونة ثم يسير الى ألبه والقلاع واشتوريس، والفرع الثاني يسير جنوباً الى سرقسطة فلاردة حيث تنتهي اليه التجارة مع برشلونة . (5)

---

(1) بشتاوي، عادل ، الأمة الاندلسية الشهيدة، ص ٧٧ .

(2) Chapman, op, cit, P 63.

(3) الزهري، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٧ –١٠٠؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية ، ص ٢٨٧.

(4) مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيون، ص ٦٥.

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٤٦ ؛ مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيون ، ص ٢٨٨–٢٨٩ ؛ عبدالحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية ، ص ٤٧٧ .

وهناك أيضاً الطرق البحرية التي تربط الثغور الأندلسية ومدنه الساحلية بثغور برشلونة في الشرق وجليقية في الغرب، فعلى سبيل المثال كانت المرية وقرطاجنة ولقنت تتصل بثغر برشلونة بخط بحري ، ومدن اشبيلية ولبله وشنترين تتصل بمنطقة جليقية .(1)

وكان لا بد لهذا النشاط التجاري من عملة يتم على أساسها عملية البيع والشراء ، فسك عبدالرحمن الداخل الدينار القرطبي، فأصبح عملة مقبولة في كافة أرجاء شبه الجزيرة (2) الأيبيرية كما ضرب أمراء قرطبة الدراهم والفلوس ، وبذلك كان نشاط دار السكة عظيماً في قرطبة. (3)

ويدعى موريس أن أمويو قرطبة ظلوا حتى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لا يسكون سوى العملة الفضية ، ثم أخذوا يضربون النقود الذهبية وهي رمز القوة . (4)

وتجدر الاشارة أنه كان هناك خطراً شرعياً وكراهية شديدة خاصة من قبل المذهب المالكي – أن يتاجر المسلمون في غير ديار الاسلام – ولكن كما هو الحال في أغلب الأدلة الشرعية ، يبدو أن هناك إختلافاً كبيراً بين النظرية القانونية والواقع التجاري .

بعد دراسة أوضاع الأندلس الاقتصادية نستنتج أن القدرة الاقتصادية للاندلس الاسلامية كانت متعلقة على الأقل ببقاء شبكة الري، والأمن على شبكة الطرق والنهضة العمرانية وهكذا نستطيع أن نشرح كيف أن القوة مستمدة من وضع معين في فترة ما من التاريخ تتحول الى ضعف عندما لا تتحقق شروط معينة.

لا يسعني في النهاية الا القول أنه ما أكثر العبر وما أقل المعتبرين ، فرغم كل ما يمكن أن يقال عن رقي وروعة حضارتنا الاسلامية والأندلسية خاصة وما أنتجته من رفاهية وأمن واستقرار مما جعلها تترفع عن المقارنة بحضارة الموت والدمار التي أنتجتها عقول الغرب المسمومة ، فاننا لم نستوعب بعد الدرس الذي علمنا أن الشعوب التي تحب الرخاء والسكون مهما بلغت حضارتها ومهما حققته من ازدهار فانها ستكون فريسة سهلة لثقافة أكثر بدائية وأكثر عدوانية تحدوها الرغبة بالتوسع والاحتلال.

---

(1) الزهري، كتاب الجغرافية، ص ٧٧ ؛ عبدالحليم ،رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٧٨.

(2) بشتاوي ،عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ٧٦ .

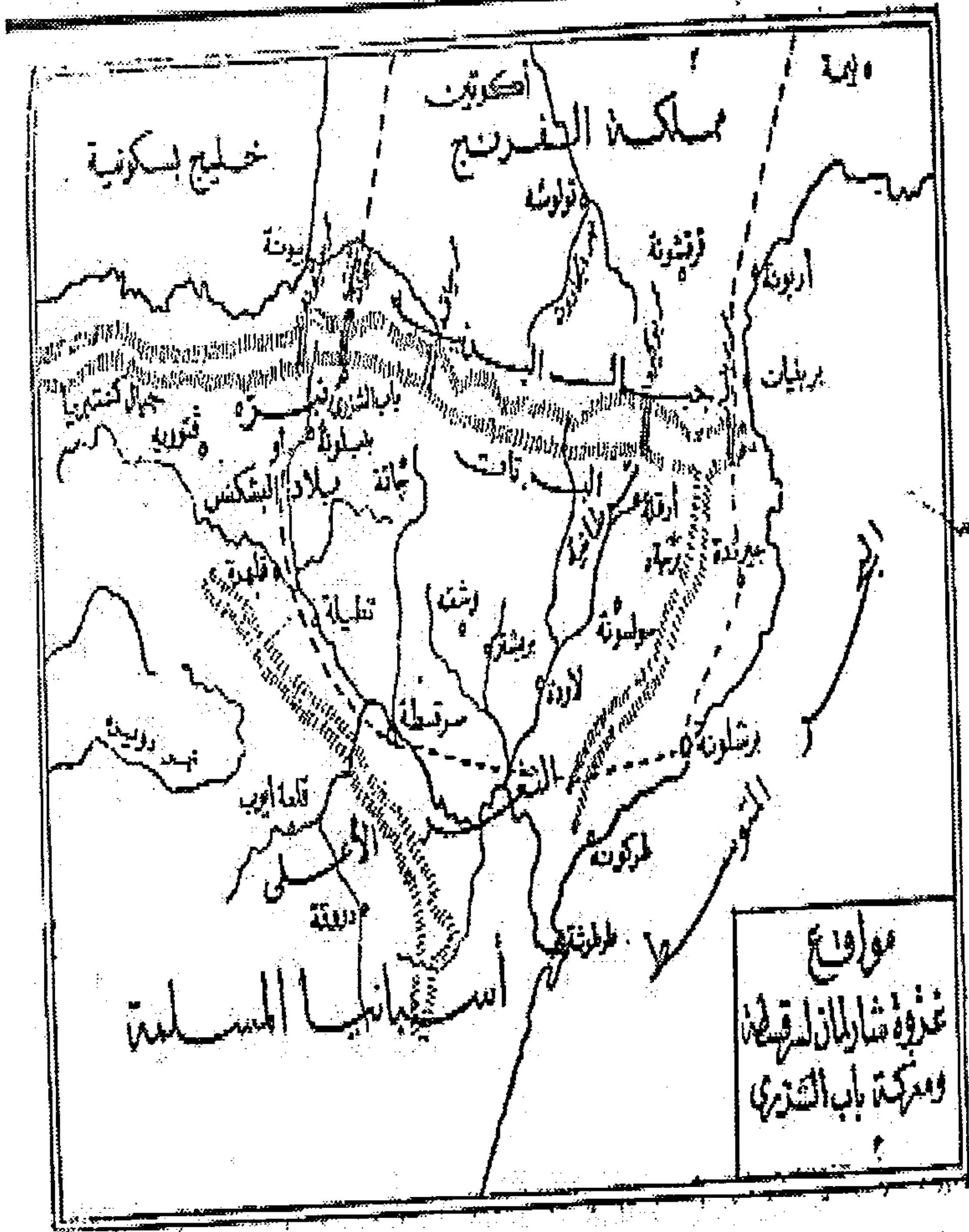
(3) عبد الحليم ، رجب ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص ٤٧٨ .

(4) لومبارد ، موريس ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي ، ص ١٥٧ .

الملاحق

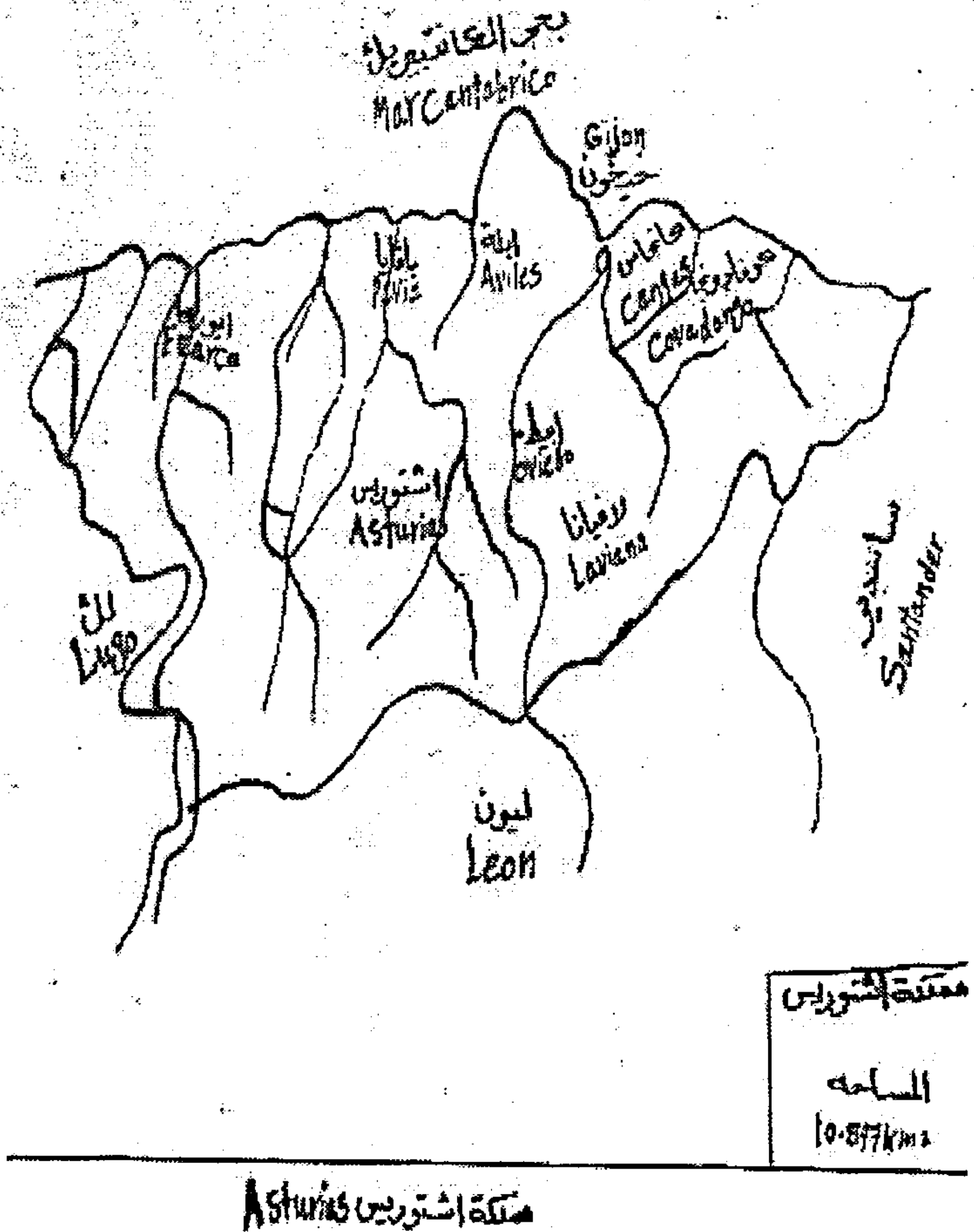
ملحق رقم (١) الخرائط

خريطة رقم (١)



عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، ع١ ق١ ص١٧٥

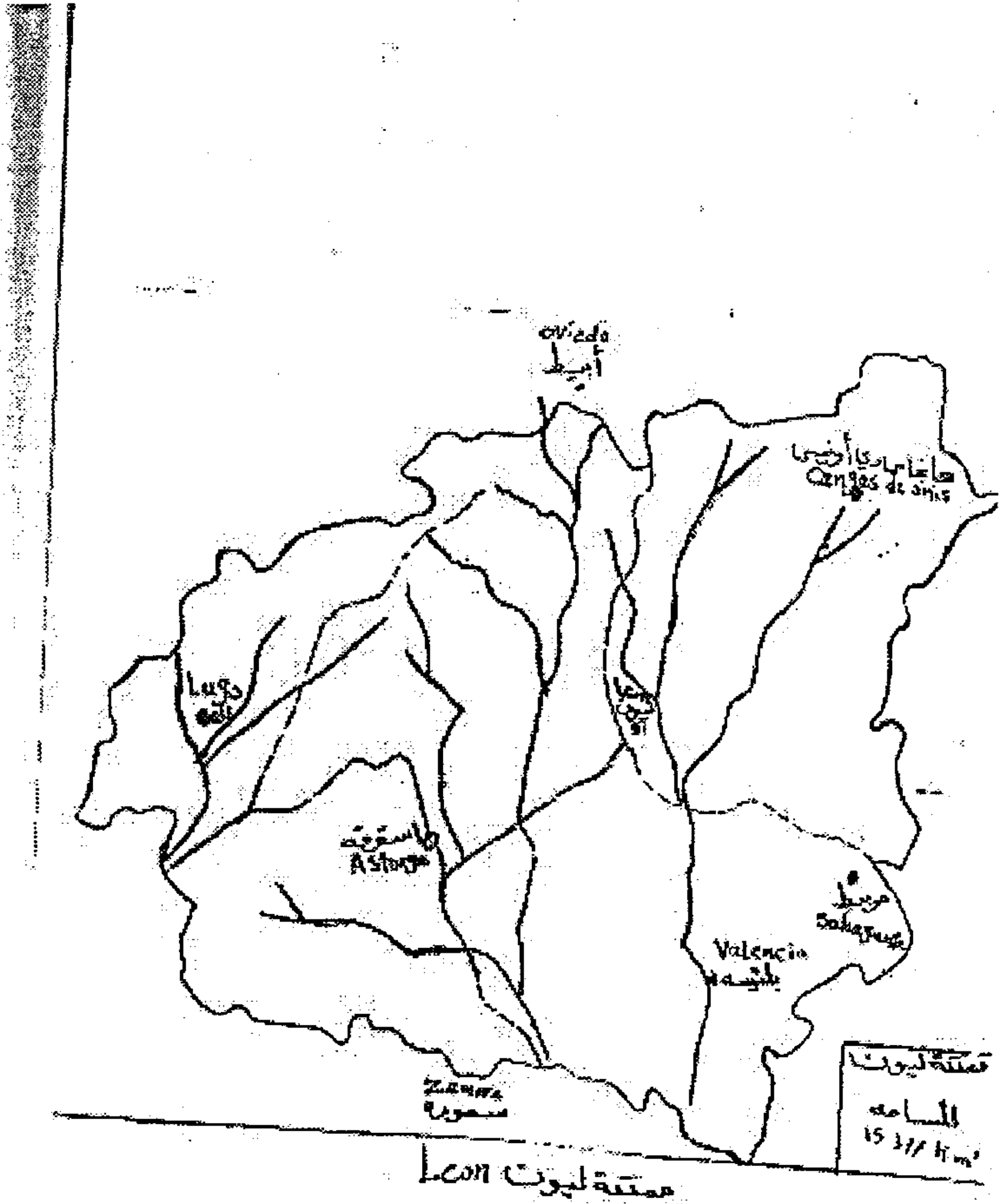
خريطة رقم (٢)



مملكة اشتوريس Asturias

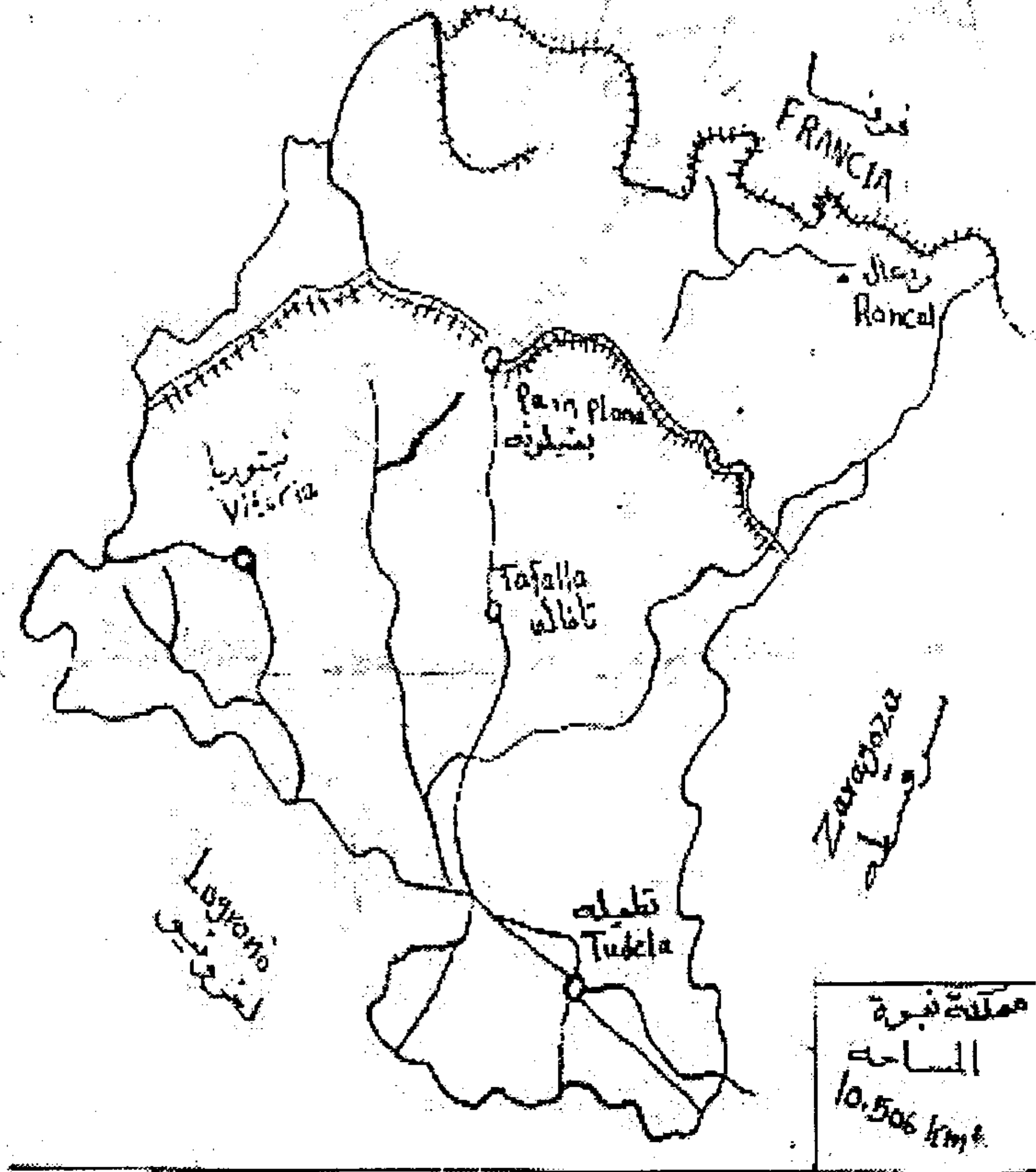
العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٧٣

خريطة رقم (٣)



العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ٩٨

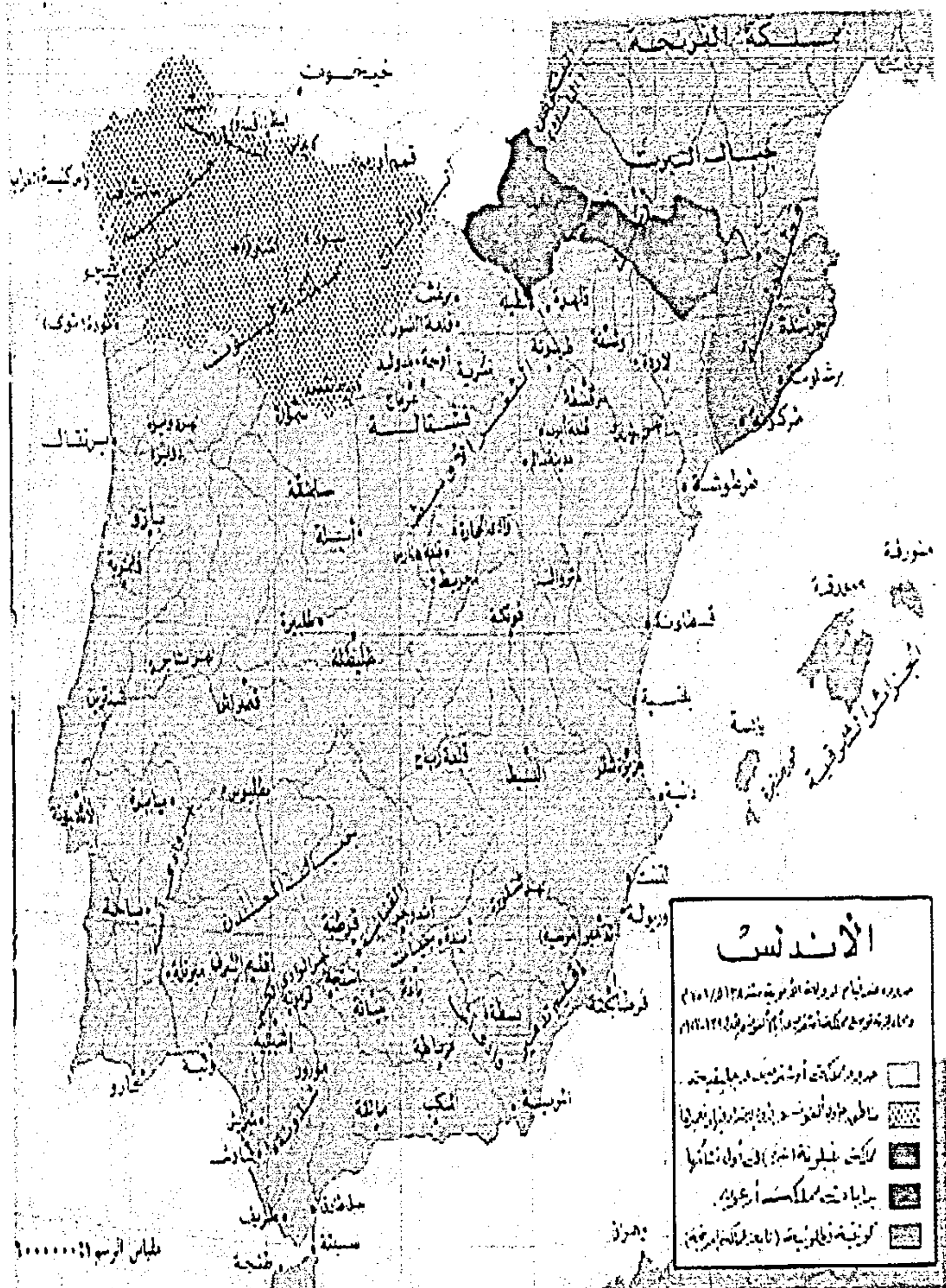
خريطة رقم (٤)



Navarra مملكة نبره

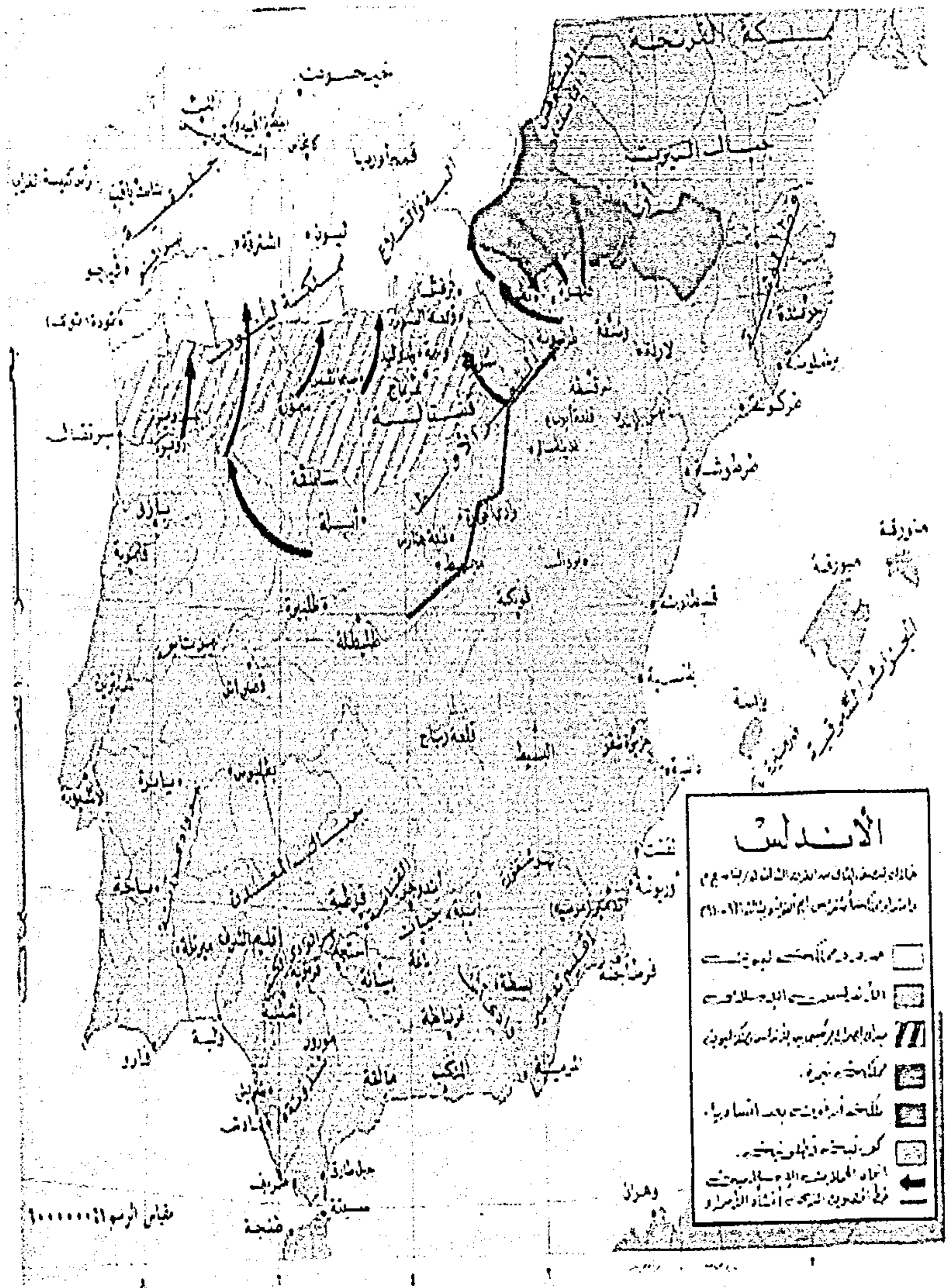
العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص ١١٩

خريطة رقم (٥)



مؤنس ، حسين ، أطلس التاريخ الاسلامي ، ص ٢٩١

خريطة رقم (٦)



مؤنس ، حسين ، أطلس التاريخ الاسلامي ، ص ٢٩٩

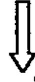
ملحق رقم (٢)

قائمة بأسماء أمراء الأندلس حتى عام (٣٠٠هـ/٩١٢م)

(١) عبدالرحمن الأول الداخل بن معاوية بن هشام (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)



(٢) هشام الأول (المُرتضى) (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)



(٣) الحكم الأول (الربَضى) (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)



(٤) عبدالرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)



(٥) محمد الأول (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)



(٦) المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) (٧) عبدالله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢)

ملحق رقم (٣)

كتاب الصلح الذي عقد بين عبدالرحمن الداخل وفرويلا الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أمان ورحمة ، وحقن دماء وعصمة ، عقدة الأمير الأكبر الملك المعظم عبدالرحمن بن معاوية ، ذو الشرف الصميم ، والخير العميم ، للبطارقة والرهبان ، ومن تبعهم من سائر البلدان ، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه ، فأشهد على نفسه أن عهده لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب ، وعشرة آلاف رطل من الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع ذلك ألف درع وألف بيضة ، ومن الرماح الترداِر مثلها في كل عام ، ومتى ثبت عليها النكث بأسير يأسرونه ، أو مسلم يغدرونه ، انتكث ما عوهدوا عليه ، وكتب لهم هذا الأمان بأيديهم إلى خمس سنين ، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة .

الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ س ٢٥٠

ملحق رقم (٤)

سبق العرب الإسبان بكثير من العلوم والأفكار ، وكانت اللغة العربية وسيلة عظيمة لنقل علومهم وأفكارهم ، وهي بطبيعتهم مطواعة ذات مفردات كثيرة غنية .

ولم تقتصر هذه الألفاظ على العلوم كالطب والفلسفة والفلك والكيمياء والموسيقى ، وإنما تجاوزت ذلك إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والتقاليد العسكرية ونظم الزراعة والتجارة والصناعة والعمارة وهي أبلغ سجل خُلدت فيه الحضارة الأندلسية .

أسماء الأنهار والمواضع :

Guadalquivir	الوادي الكبير
Guadalajara	وادي الحجارة
Alcala	القلعة
Algeciras	الجزيرة الخضراء
Tarif	طريف
Arrabal	ربض
Medinaceli	مدينة سالم
Gibraltar	جبل طارق
Adarve	درب
Valladolid	بلد الوليد
Calatrava	قلعة رباح

الألفاظ الخاصة بالزراعة :

Acequia	ساقيه
Noria	ناعورة
Alberca	البركة
Azud	السد
Arriate	الرياض
Rauda	الروضة

أسماء الزهور والفواكه :

Jazmin	الياسمين
Arrayan	الريحان
Albaricoque	البرقوق
Azueena	سوسنة
Naranjo	النارنج

أسماء المأكولات والبقول :

Arroz	الأرز
Berenjenas	البانتجان
Altramaco	الترمس
Almojabanas	المجبنات
Aceite	الزيت
Alubia	اللوبيا
Azafran	الزعفران
Algarroba	الخروب
Azucar	السكر
Aceituna	الزيتون

أسماء المؤسسات الاقتصادية والدينية :

Atahona	الطاحونة
Atarazana	دار الصناعة
Almacen	المخزن
Alhondiga	الفندق
Mederza	مدرسة
Rabita	رباط
Mezquita	مسجد
Aduana	الديوان الجمركي

الألفاظ الشائعة في العمارة والزخرفة :

Albanil	البناء
Alcoba	القبة
Adobe	الطوب
Alminarete	المنارة
Azotea	السطح
Alizar	الإزار الزخرفي
Alfiz	الافريز الزخرفي
Citara	الستارة (الحائطية)

المنسوجات والمفروشات :

Alizar	الإزار
Albornos	البرنس
Almaizer	المنزر
Algodon	القطن
Almohada	المخدة
Chupa	الجبة
Zaraguelles	السراويل
Alifafes	الخفاف

آلات الطرب :

Alauo	العود
Adufe	الدف
Atabale	الطبل
Alboque	البوق
Guitarra	القيثارة

أدوات الطبخ :

المهراس (الهاون)	**Almirez**
السطل (الدلو)	**Actre**
الربع (كيل الزيت)	**Arrope**

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر :

- القرآن الكريم
- ابن الأبار ، أبو عبدالله ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)

الحلة السيراء ، ٢ج ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط ٢ ، (د.ن) ١٩٨٥م .
- ابن الأثير ، أبو الحسن ، عز الدين علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

الكامل في التاريخ ، ١٣م ، دار صادر (ب . ط) ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- ابن بسام ، أبو الحسن ، علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٨ ج ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة (ب . ط) ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م .
- البكري ، الوزير الفقيه أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)

جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبدالرحمن الحجي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت–لبنان ، ١٩٦٨م.
- البلاذري ، الإمام أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)

فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، منشورات مؤسسة المعارف ، (ب.ط) ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧م .
- ابن حبيب ، عبدالملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت ٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م)

كتاب التاريخ ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري ، منشورات دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت – لبنان ، ١٩٩٩م .

- ابن حزم ، أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م)

* **جمهرة أنساب العرب** ، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، (ب.ط) ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨م .

* **نقط العروس في تواريخ الخلفاء** ، تحقيق شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ،القاهرة ،مجلد ١٣، ج١ ، ١٩٥١م.

* **طوق الحمامة** ، تحقيق سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٧م.

– الحميدي ، الإمام أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق روحية عبدالرحمن ، منشورات دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت–لبنان ، ١٩٩٧م.

– الحميري ، أبو عبدالله ، محمد بن عبدالمنعم (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، بيروت–لبنان ، ١٩٨٤م.

– الحنبلي ، أبو الفلاح ، عبدالحي بن العماد ، (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ ج ، دار الآفاق الجديدة ، (ب.ط) ، (د.ن) ، (ب.ت)

– ابن حوقل ، أبو القاسم ، محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)

صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (ب.ط) ، بيروت–لبنان ، ١٩٧٩م.

– ابن حيان ، أبو مروان ، حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)

المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، القطعة الخاصة بعصر عبدالرحمن الأوسط ، تحقيق محمود علي مكي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (ب.ط) ، القاهرة –مصر ، ١٩٩٤م.

القطعة الخاصة بعصر الأمير محمد بن عبدالرحمن ، تحقيق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، (ب.ط) ، بيروت– لبنان ، ١٩٧٣م.

– ابن خاقان ، الوزير الكاتب أبو نصر، الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان ابن عبدالله الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م)

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، (ب.ن) ، (ب.ط) ،(د.ن) ، (ب ، ت)
- ابن خرداذبة ، أبو القاسم ، عبيدالله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)

المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية ، (ب.ط) ، القاهرة – مصر ، (ب.ت)
- الخشني ، أبو عبدالله ، محمد بن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي (ت ٣٦١هـم٩٧١م)

قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، مراجعة السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي ، ط٢ ، القاهرة – مصر ، ١٩٩٤م.
- ابن الخطيب، الوزير لسان الدين محمد بن عبدالله ابن الخطيب التلمساني
(ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

- **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ٤ ج ،تحقيق عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، ط١، القاهرة -مصر ١٩٧٧م.
* **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .**
تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، ط٢ ، بيروت-لبنان ، ١٩٥٦م.
ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
* **المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت- لبنان ، ١٩٩٨م.**
* **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، ٨ج
ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب.ط) ، بيروت- لبنان ، (ب.ت)
- ابن خلكان ، أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد بن بي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٨ ج ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ،(ب.ط) ، بيروت - لبنان ، (ب.ت)
- ابن دحية ، أبو الخطاب ، عمر بن الحسن

المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد ، المطبعة الأميرية ، ط١ ، ١٩٥٤م.
- ابن أبي دينار ، أبو عبدالله ، محمد بن أبي القاسم الرعيني ، (ت ١١١٠هـ/١٦٦٨م)

المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، جامع الزيتونة ، (ب.ط) ، تونس ، (ب.ت)

– الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)

سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ، تحقيق نذير حمدان ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ، بيروت–لبنان ، ١٩٩٠م.

– الزهري ، أبو عبدالله ، محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري)

كتاب الجعرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، (ب.ط) ، مصر ، (ب.ت)

– ابن سعيد ، علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك الغرناطي ، (ت ٦٥٨هـ، ١٢٨٦م)

المغرب في حلى المغرب ، ٢ ج ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٧م.

– ابن السماك ، أبو القاسم ، محمد بن أبي العلاء بن سماك المالقي الغرناطي (توفي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) .

الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة ، تحقيق محمود علي مكي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م العشرون ١٩٧٩–١٩٨٠ م ، والمجلد الحادي والعشرون ، ١٩٨١ – ١٩٨٢م.

– السيوطي ، أبو الفضل ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد الخضيري (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

تاريخ الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨م.

– ابن الشباط ، محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق أحمد مختار العبادي ،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، م١٤ ، ١٩٦٧–١٩٦٨م.

– الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق روحية عبدالرحمن ، منشورات دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م.

– الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

تاريخ الرسل والملوك ، ١١ ج ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، ط٤ ، (د.ن) ، (ب،ت)

– ابن عبدالحكم ، أبي القاسم ، عبدالرحمن بن عبدالله القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)

فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد الحجيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت-لبنان ، ١٩٩٦.

– ابن عبد ربه ، أبو عمر ، أحمد بن محمد .

العقد الفريد ، ٧ ج ، دار الكتاب العربي ، (ب.ط) ، بيروت –لبنان ، ١٩٨٢م.

– ابن عذارى المراكشي ، أبو العباس ، أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ/١٣١٢م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ ج ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان و إ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط٥، بيروت –لبنان، ١٩٩٨م.

– العذري ، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق عبدالعزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، (ب.ط) ، مدريد ، ١٩٦٥م.

– أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

تقويم البلدان ، دار صادر ، (ب.ط) ، بيروت –لبنان ، (د.ن) ، (ب.ت)

– ابن الفرضي ، أبو الوليد ، عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هت/١٠١٢م)

تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (ب.ط) ، القاهرة-مصر ، ١٩٦٦م .

– القلقشندي ، أبو العباس ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ ج ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (ب.ط) ،(د.ن) ، (ب.ت) .
- ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الناشرون : دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، (ب.ط) ، بيروت-لبنان ، ١٩٨٠م.

- الكتبي ، صلاح الدين ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

فوات الوفيات ، ٥ م ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ط١، بيروت-لبنان ، ١٩٧٣م.
- ابن كثير ، أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

البداية والنهاية ، ٨ م ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط٢، بيروت-لبنان ، ١٩٨٨م.
- ابن الكردبوس ، أبو مروان ، عبدالملك بن الكردبوس التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) .

تاريخ الأندلس ، وهو قطعة من كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ١٣ ، ١٩٦٥-١٩٦٦م.
- الماوردي ، أبو الحسن ، علي بن محمد حبيب المصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

الأحكام السلطانية في الولايات الدينية ، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد عبداللطيف العلمي ، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت – لبنان ، ١٩٩٤م.

- مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (ت ٤٨٣هت/١٠٩٠م)
المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق إ ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، (ب.ط) ، (ب.ت)

- المراكشي ، محي الدين بن محمد بن عبدالواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، (ب.ط) ، (د.ن) ، ١٩٩٤م.
- مصعب الزبيري ، أبو عبدالله ، المصعب بن عبدالله (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م)

نسب قريش ، نشره إ ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ،ط٢ ، (د.ن) ،(ب.ت)
- المسعودي ، أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ ج ، شرحه وقدم له : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت-لبنان،١٩٨٥م.
- المقدسي ، أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه :محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، (ب.ط)، بيروت-لبنان ، ٢٩٨٧م.
- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٨ ج ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ط١، بيروت-لبنان ، ١٩٦٨م .

- مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ١٩٨١م ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م.

- مؤلف مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي)
الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، ط١ ، (د.ن) ، ١٩٧٩م .

مؤلف مجهول (ت أواسط القرن الثالث الهجري).
الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء ، ج٢ ، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة-مصرة ، ١٩٦٧م.

- الناصري ، الشيخ أبو العباس ، أحمد بن خالد (ت ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م)

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ٣ ج ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، (ب.ط) ،(د.ن) ، ١٩٩٧م .

- النباهي ، أبو الحسن ، علي بن عبدالله بن الحسن الجذامي المالقي (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)

تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) ، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م) ، صححه وعلق عليه : محمود فاخوري ، دار الشرق العربي ، (ب.ط)، بيروت – لبنان ، ١٩٩١م.

- الونشريسي ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)

* **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب** ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي

* **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه من النصارى ولم يهاجر** ، تحقيق حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، ع (١–٢) م ٥ ، ١٩٥٧م .

ياقوت الحموي ، أبو عبدالله ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

معجم البلدان ، ٤ م ، دار إحياء التراث العربي ، ط١، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م.

ثانياً – المراجع العربية :

- أرسلان ، شكيب ، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، ٢م ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧ .

* **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، دار الكتب العلمية، (ب.ط) ، بيروت – لبنان، (ب.ت) .

– أمين ، أحمد ، **ظهر الإسلام** ، ٤ ج ، مكتبة النهضة المصرية، ط٣ ، (د.ن) ، ١٩٦٢م .
– الأمين ، اسماعيل ، **العرب لم يغزو الأندلس**، نشره رياض الريس للكتب والنشر، ط١ ،(د.ن) ، ١٩٩١م.

– بشتاوي ، عادل ، سعيد ، **الأمة الأندلسية الشهيدة** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، بيروت– لبنان ، ٢٠٠٠م .

– بيضون ، إبراهيم ، **الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (ب.ط) ، بيروت –لبنان، ١٩٧٨م.

– الثعالبي ، عبدالعزيز ، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية** ، تحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢، بيروت – لبنان ، ١٩٩٠م.

– حتاملة، محمد عبده ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ٢ ج ، المكتبة الوطنية ، ط١، عمان– الأردن ، ١٩٩٩م .

– الحجي ، عبدالرحمن علي ، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)** ، دار القلم ، ط٤، دمشق – سوريا، ١٩٩٤ م .

– حسين ، حمدي عبدالمنعم .
* **ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ-٧٥٦-٩٢٨م)** .
مركز الإسكندرية للكتاب ، (ب.ط) ،(د.ن) ، ١٩٩٥م.

* **أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣٢٠هـ/٧٥٦-٩٣٢م)**
مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب.ط) ، الإسكندرية– مصر ، ١٩٩٨م.
* **التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي** ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب.ط) ، الإسكندرية– مصر، ١٩٨٧م.

- حمدان ، جمال ، **بين أوروبا وآسيا ، دراسة في النظائر الجغرافية** ، عالم الكتب ، (ب.ط)، القاهرة – مصر، (ب.ت) .

الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الإسلامية ، ٢ج ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، بيروت – لبنان ١٩٩٨م .

- الدوري ، إبراهيم ، ياسر خضير ، **عبدالرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية**، دار الرشيد للنشر ، (ب.ط) ، بغداد – العراق، ١٩٨٢م.

- أبو أرميلة ، هشام ، **نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس** ، (ب، ن) ، (ب. ط) ، القدس–فلسطين ، ١٩٨٠م.

- سالم ، سحر السيد عبدالعزيز ، **شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي** . مؤسسة شباب الجامعة ، (ب.ط) ، الإسكندرية– مصر ، ١٩٩٥م.

- سالم ، السيد عبدالعزيز ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (ب.ط) ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٠م.

- سالم ، السيد عبدالعزيز والعبادي ، أحمد مختار ، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس** دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (ب.ط) ، بيروت –لبنان ، ١٩٦٩م.

- شلبي، أحمد ، **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٠، القاهرة –مصر ، ١٠ج ، ١٩٩٥م.

- الشيخ ، محمد مرسي ، **دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (٧٥٥-٩٧٦م/١٣٨-٣٦٦هـ)** ، مؤسسة دار الثقافة الجامعية ، (ب.ط) ،(د.ن)، ١٩٨١م.

- الصوفي ، خالد ، **تاريخ العرب في الأندلس ، عصر الإمارة من عبدالرحمن الداخل إلى عبدالرحمن الناصر (١٣٨ـ٣٥٠هـ/ ٧٥٥ـ٩٦٠م)** ، منشورات جامعة قاريونس ، ط٢ ،(د.ن) ، ١٩٨٠م.

- الطباع ، عبدالله أنيس ، **القطوف اليافعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامية الدانية** ، دار ابن زيدون ، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م .

- طه ، عبدالواحد ذنون ، **دراسات في التاريخ الأندلسي**، (ب.ن) ، ط١ ،(د.ن)، ١٩٨٧م .

- عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، **أوروبا العصور الوسطى** ، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢ ج ، ط٩ ،(د.ن) ، ١٩٨٣م.

- عبادة ، كحيلة ، **تاريخ النصارى في الأندلس** ، (ب.ن) ، ط١ ،(د.ن) ، ١٩٩٣م.

* **الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ط١، الهرم – مصر ، ١٩٩٥م.

- العبادي ، أحمد مختار ، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (ب.ط)، الإسكندرية– مصر ، (ب.ت) .

* دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، **مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب.ط) ، الإسكندرية–مصر، (ب.ت)** .

- عبدالبديع – لطفي ، **الإسلام في إسبانيا** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١، القاهرة – مصر ، ١٩٥٨م.

- عبدالحليم ، رجب محمد ، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** ، الناشرون : دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر ، دار الكتاب اللبناني ، (ب.ط)، بيروت – لبنان ، (ب.ت) .

- عبدالحميد ، سعد زغلول ، **محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي** ، مكتبة كريديه ، (ب.ط)، بيروت – لبنان ، (ب.ت) .

- عبدالمنعم ، حمدي ، **المغرب والأندلس** ، دار المعرفة الجامعية ، (ب.ط) ، (د.ن) ، ١٩٩٩م.

- عمايرة ، محمد نايف ، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان** ، (ب.ن) ، ط١ ،(د.ن)، ١٩٩٩م .

- عمر ، فاروق ، **العباسيون الأوائل** ، دار الفكر ، ج٢ ، ط٢ ،(د.ن) ، ١٩٧٣م.

- عنان ، محمد عبدالله ، **دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر ، ع١ ق١** ، مؤسسة الخانجي ، ط٣، القاهرة – مصر ، ١٩٦٠م.

* **دولة الإسلام في الأندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ع١ ق٢** ، مكتبة الخانجي ، (ب.ط)، القاهرة – مصر ، (ب.ت)

* الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، **مكتبة الخانجي ، ط٢، القاهرة – مصر ، ١٩٩٧م.**

- أبو الفضل ، محمد أحمد ، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس** ، دار المعرفة الجامعية ، (ب.ط)، الإسكندرية– مصر ، ١٩٩٦م.

- الفقي ، عصام الدين ، **تاريخ المغرب والأندلس** ، مكتبة نهضة الشرق ، (ب.ط)، القاهرة – مصر ، ١٩٨٦م.

- القاسمي ، جاسم بن محمد ، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط١، الإسكندرية– مصر ، ٢٠٠٠م.

- أبو مصطفى ، كمال السيد ، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، (ب.ط) ،الاسكندرية-مصر ، (ب.ت)

بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي ، **مؤسسة شباب الجامعة ، (ب.ط)، الإسكندرية – مصر ، ١٩٩٣م.**

- مؤنس ، حسين ، **فجر الأندلس** ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٥٩ م .

معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار ومطابع المستقبل ، (ب.ط)، مصر، (ب.ت) .

* **أطلس تاريخ الإسلام** ، الزهراء للإعلام العربي ، ط١، القاهرة – مصر ، ١٩٨٧م.

* **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** . مكتبة مدبولي ، ط٢ ،(د.ن) ، ١٩٨٦م.

- نوار ، صلاح الدين محمد ، **نظرات في تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي**

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، ط١، الإسكندرية – مصر ، ١٩٩٤م.

ثالثاً : المراجع المعربة

- أجيوس ، ديونيسيوس وريتشارد هيتشكوك ، **التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى.** ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ط١ ، (د.ن) ، ٢٠٠٠م.

- أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبدالله عنان، مؤسسة الخانجي ، ط٢، القاهرة – مصر ، (ب.ت)

- اينهارد ، **سيرة شارلمان** ، ترجمة عادل زيتون ، دار حسان للطباعة والنشر ، (ب.ط) ، دمشق – سوريا ، ١٩٨٩م.

- بالنثيا ، آنخل جنثالث ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١، القاهرة – مصر ، ١٩٠٠م.

- بروكلمان ، كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة بنيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط١٢، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣م.

- دوزي ، رينهرت ، **المسلمون في الأندلس** ، ج١ (**المسيحيون والمولدون**) ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (ب.ط) ،(د.ن) ، ١٩٩٨م.
*__المسلمون في الأندلس__ ، ج٢ (**إسبانيا الإسلامية**) ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (ب.ط) ، (د.ن) ، ١٩٩٤م.
*__تاريخ مسلمي إسبانيا__ ، ج١ (**الحروب الأهلية**) ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف ، (ب.ط)، القاهرة – مصر، ١٩٦٣م.

- كولان ، ج. س ، **الأندلس** ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان، دار الكتاب المصري ، ط١، القاهرة – مصر ، ١٩٨٠م.

- لوبون ، غوستاف ، **حضارة العرب** ، ترجمة عادل زعتير ، دار إحياء الكتب العربية ، ط٣، القاهرة – مصر ، ١٩٥٦م.

- لومبارد ، موريس ، **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر ، (ب.ط) ، دمشق – سوريا ، ١٩٧٩م.

- ليفي ، بروفنسال ، **حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (ب.ط) ، بيروت – لبنان، (ب.ت) .

- لين بول ، ستانلي ، **قصة العرب في إسبانيا** ، ترجمة علي الجارم ، دار المعارف بمصر ، ط٩ ، (د.ن) ، (ب.ت) .

- مورينو ، مانويل جوميث ، **الفن الإسلامي في إسبانيا** ، (ب.ن) ، (ب.ط) ،(د.ن) ، (ب.ت) .

- وات ، مونتجمري ، **فضل الإسلام على الحضارة الغربية** ، ترجمة حسين أحمد أمين ، دار الشروق ، ط١ ، (د.ن) ، ١٩٨٣م.

* **في تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، (د.ن) ، ١٩٩٤م.

رابعاً : دوائر المعارف والدوريات

- سيبولد ، **برشلونة** ، دائرة المعارف الإسلامية ، م١٣ ، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون ، ص ٥٤٢- ٥٤٣ .

- ليفي بروفنسال ، **بنبلونة** ، دائرة المعارف الإسلامية ، م١٣ ، ترجمة أحمد الشنتناوي ، ص ١٩٢ .

* **الصقالبة** ، دائرة المعارف الإسلامية ، م ١٤ ، ترجمة أحمد الشنتناوي ، ص ٢٥٠- ٢٥٢ .

- شحلان ، أحمد ، **مكونات المجتمع الأندلسي وكافة أهل الذمة فيه** ،التاريخ العربي ، ع١ ، ١٩٩٦م ، ص ٢٦٧ – ٢٨٧.

* صور من اللقاء العلمي بين المسلمين وأهل الذمة في الأندلس ، التاريخ العربي ، ع٤ ، ١٩٩٧م ، ص ٢٨١- ٢٨٩ .

- سالم ، السيد عبدالعزيز ، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ، عالم الفكر ، م١٣ ع (١-٢) ، ص ٨١ - ٩١ .

- العبادي ، أحمد مختار ، الإسلام في أرض الأندلس ، عالم الفكر ، م ١٠ ع ٢ ، ١٩٧٩م. ص ٥٩-١١٠

- مفتاح ، محمد ، مفهوم الجهاد والإتحاد في الأدب الأندلسي ، عالم الفكر ، م١٢ ع١ ص ١٧١ - ٢٠٠

- أبو دياك ، صالح محمد فياض ، الزراعة في الأندلس وأثرها على التصنيع الزراعي ، المؤرخ العربي ، ع٤٤، ١٩٩١، ص ١٩٩- ٢١٠

- الكبيسي ، خليل إبراهيم ، غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية ، المؤرخ العربي ، ع ٤٠ ، ١٩٨٩، ص ١٤٥-١٥٧.

- يونشيش ، إبراهيم القادري ، الإنحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة هل كان وراءه تفوق مسيحي ، ع ٣٤ ، ١٩٨٧م، ص ١٧٤- ١٨١ .

- مؤنس ، حسين ، بلاي وميلاد اشتريس ، وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا ، مجلة كلية الآداب ، م ١١ ج١ ، ١٩٤٩، ص ٥٧- ٨٣ .

- أبو ارميلة ، هشام ، الإسبان والحضارة الإسلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية – الكويت م ٣٠ ج٢ ، ص ٦٦١ – ٦٨٣ .

- ذنون ، عبدالواحد طه ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي ، المورد ، م ١٧ ع١ ، ١٩٨٨ م ، ص ٥ – ٢٥ .

- ضيف ، شوقي ، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م ٢٣ ، ١٩٨٦ ، ص ٧- ٢٥ .

– العبادي ، أحمد مختار ، **التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية** ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م ٢٦ ، ١٩٩٤ ، ص ٩ – ١٧ .

* **صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا العصور الوسطى**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م٢٦ ، ١٩٩٤، ص ٩ – ١٧.

* **شخصية عبدالرحمن الأول الأموي الملقب بالداخل وصقر قريش** ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م ٢٩ ، ١٩٩٧، ص ٢٣– ٢٦ .

- مؤنس ، حسين ، **المدجنون** ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، م٥ ع (١-٢) ، ١٩٥٧ ، ص ١١ – ١٩.

خامساً :– المراجع الأجنبية

- Chapman , charles .
Ahistory of Spain Newyork 1965 .

- Collins , Roger .
Early Medieval Spain , Newyork 1983 .

- CROW , John Armstronh .
Spain : the root and the flower , printed in the USA , 1985 .

- Hole , Edwyn .
Anda Lus : Spain under the muslims , London 1958 .

- I mamuddin , S.M .
Apolitical History of Muslim Spain , Pakistan 1969.

Abstract

The Relationship Between the Umayyad Emirate in Andalusia with Christian Kingdoms in Spain (138-300 Hijri / 755-912 AD)

This study discussed the relationships between the Islamic Andalusia with Christian Spain during the Umayyad Emirate. It contains four chapters :

Chapter One discusses the conditions of Islamic Andalusia that affected its relationships with Christian Spain. It includes the external threats represented by the failing Charlemagne campaign at saragossa in 161 Hijri (778 AD), the Abbasid attemt to recapture Andalusia through their support of opponent movements, and finally the Norman attacks at the Andalusian coasts and the devastation they left behind them.

But the biggest danger came from within Islamic Andalusia itself represented by the conflict among some of the princes and their alliances with the enemy.

In addition, the social classes of the Andalusian society lacked harmony, which increased the number of rebels who took part in tribal and factional conflicts. They also sought alliance with the Christians of the north against the government of Cordoba. Another factor that made up a major abstacle for the government of Cordoba is the difficulties of the geographical features that increased the duration of some rebellions that sometimes lasted for many long years such as the rebellion of Omar Ben Hafson.

Chapter Two discusses the origin and development of the Christian Kingdoms during the Emirate age. The first Christian assembly against Muslims started at the Asturia region (98 Hijri / 716 AD). By this movement, the Reconquest

started in slow but firm steps. In the year 294 Hijri / 910 AD, the capital was moved to leon and this Kingdom was henceforth known as the Kingdom of leon.

The second Christian assembly was known as the Kingdom of Nabra whose base was the fortified Pambelona, which was inhabited by a strong population known as the Bushkan. This Kingdom became independent towards the end of the second Hijri century, the eighth century AD.

The third Christian assembly was the Catalonia Emirate whose bese was Barcelona which was established after the fall of Barcelona in 185 Hijri, 801 AD. This Emirate was ruled by a number of Lords who were subordinates of the French kings. However, this subordination to the French kings did not last long; Catalonia became independent during the third Hijri century/ the ninth century AD.

After studying the north Spanish Christian assembly centers, it was necessary to identify the internal conditions there and to what extent they contributed to strengthening the Reconquest movement. Despite the fact that the conditions of Christian Spain were not much better than the conditions of its neighbor due to the tyranny of its kings, noblemen, and clergymen in addition to the weakness of the Spanish economy. Nevertheless, it was always able to achieve new gains at the expense of Islamic Andalusia, not because of its self-power and military supremacy as much as the weak internal Islamic front.

The fourth chapter discusses the civilization relatinship beween Islamic Andalusia and Christian Spain during the Emirate age. Despite the continuous wars between the two sides, they had wide civiliztion relationships of which the Christians of north Spain made the best. However, although they were enchanted by this great civilization, they did notforget prime objective-brining Spain back to Christianity.

Al-Najah National University
High College Education
Histirian Part

The Relationship Between the Umayyad Emirate in Andalusia with Christian Kingdoms in Spain

(138-300 Hijri / 755-912 AD)

Supervisor
D. Hisham Abu Irmailah

Introduce
Sayda Abdelfatah Anees Sweilem

This Letter Has Introduced To Complete And To Obtain How To Take Majesteer Degree In The High College Education

Al-Najah National University

Nablus-Palestine

2001